# الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

## وزارة التعليم العالي والبحث العلمي


## جامعة إبن خلدون –تيارت-

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية


مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي الموسومة بـ:

# موقف علماء المغرب الإسلامي من الصراع الإسلامي المسيحي بالأندلس من القرن 06هـ/12م إلى القرن 09هـ/15م


**إعداد الطالبتان:**

- سعد فريحة
- ملياني حليمة

**إشراف الأستاذ:**

- عبد الرحمن كوريب


| | | |
|---|---|---|
| الأستاذ | عمر راكة | مناقشا |
| الأستاذ | عبد الرحمن كوريب | مشرفا |
| الأستاذ | عمر بوخاري | رئيسا |

السنة الجامعية:1436- 1437هـ/2015-2016م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

## شكر وعرفان

اللهم لك الحمد كله ،وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسره،لا أحصي ثناءا عليك..أنت كما أثنيت على نفسك..فأنت أهل الثناء والحمد..ثم الصلاة والسلام على النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم.وبعد:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لا يشكر الله من لا يشكر الناس».

وبعد:

فإننا نزف أسمى عبارات الشكر إلى من لقننا معاني الصبر وعلمنا كيف نمسك بزمام الأمور ونتحدى الصعاب..إلى الذي دفعنا إلى الأمام خطوة خطوة ..إلى الذي نسعى للسير على خطاه لعلنا نصبح مثله في يوم من الأيام..الأستاذ المشرف القدير"عبد الرحمن كوريب" كان لنا الشرف الكبير بمعرفتك..لك منا فائق التقدير والإحترام وعمق الإمتنان.

نتوجه بجزيل الشكر والإمتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد على إنجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات.

إلى جميع أسرة جامعة إبن خلدون –تيارت- من أساتذة وطلبة وموظفين،

ونوجه شكرنا إلى أعضاء اللجنة المناقشة.

والله ولي التوفيق.

## إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم
(قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك..ولا يطيب النهار إلا بطاعتك..ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك..ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك..ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة..ونصح الأمة..إلى نبي الرحمة..ونور العالمين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام

إلى من هم أكرم منا مكانة ..شهدائنا الأبرار

إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة..إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم..

إلى القلب الكبير والدي العزيز عبد القادر

إلى ملاكي في الحياة..إلى معنى الحب..وإلى معنى الحنان والتفاني..إلى بسمة الحياة وسر الوجود..

إلى من كان دعائها سر نجاحي..إلى أغلى الحبايب أمي العزيزة مسعودة

إلى من يحملون في عيونهم طفولتي وشبابي..إخوتي و أخواتي

إلى من ضاقت السطور من ذكرهم فوسعهم قلبي ..صديقاتي

إلى ورود البيت وأمل الحياة..فاطمة ومحمد ومختار و حسام و أية و كادي.

إلى فردوسنا المفقود الأندلس هبة العرب

إلى كل محبي العلم والمعرفة

أهدي هذا العمل المتواضع

**فريحة**

## الإهداء

نحمد الله ونشركه شكرا يليق بجلاله الذي ألهمنا القدرة على إنجاز هذا العمل

الذي أهديه إلى من تحمل مشاق الدنيا وعنائها من أجل أن أعيش معززة مكرمة ..

إلى من علمني وشجعني كثيرا حتى كبرت..أبي العزيز

وإلى التي غمرتني بحنانها ودعواتها ..إلى التي أنارت درب حياتي ..صاحبة القلب الكبير..أمي العزيزة

ألى إخوتي وأخواتي..حمزة ..هاجر..صفية..عباس..حميدة..خولة

إلى البراعم ..بتول..عبد الإله..سجى

إلى خالتي..ربيعة..إلى بنات عمي..حنان..هدى..خذيجة

إلى من قاسمتني أتعاب هذه المذكرة..أختي وصديقة دربي..فريحة

إلى كل الأحباب وصديقاتي..رقية..أمينة..جهيدة

إلى كل من لم يذكره قلمي ووسعه قلبي

إلى فردوسنا المفقود..الأندلس هبة العرب

أهدي هذا العمل المتواضع

حليمة

إع:إعتناء

ج:الجزء

د.م.ن:دون مكان نشر

د.ط:دون طبعة

درا:دراسة

د.ت:دون تاريخ

ط:طبعة

مج:المجلد

س:سفر

تح:تحقيق

تع:تعليق

تر:ترجمة

ص:صفحة

# مقدمة

للعلماء مكانة رفيعة عند الله ،ومنزلة سامية في المجتمع الإسلامي ،فهم ورثة الأنبياء وحاملوا راية الدين وهم أهل الصلاح والتقى، وإليهم يرجع المجتمع الإسلامي في فهمه وتصوراته،وبفتاواهم يستنير،وهم حصن الدفاع الأول عن المجتمع الإسلامي أمام موجات الفتن والمحن التي يتعرض لها،ومن أعظم المحن التي واجهت المسلمين في تاريخهم، **الصراع الإسلامي المسيحي بالأندلس**، هذا الأخير الذي كان يشتد في فترات ويخف في فترات أخرى.

وقد غدا الحول والطول في عهد ملوك الطوائف للنصارى،فاستأسدوا على المسلمين وصار لهم أقصى بلاد المسلمين مرتعا، وأمسى لا هم لهم إلا استرجاع البلاد والأقطار، ومع أن المرابطين لما جاءوا إلى الأندلس تصدوا للإعتداءات النصرانية عليها إلا أن النصارى تربصوا بالمسلمين واحتلوا بقاعا متفرقة من البلاد،وكذلك الشأن في عصر الموحدين، إذ وقف هؤلاء بقدر وسعهم أمام العدوان النصراني على الأندلس، ولكن النصارى من جانبهم أيضا استغلوا الفرص في ذلك العصر لاقتطاع الأراضي الإسلامية، وحالما أخذت دولة الموحدين في الاضمحلال ،انطلق النصارى في عدوانهم النهم على المدن الأندلسية،لتحقيق مشاريعهم التوسعية على حساب الأراضي الإسلامية في المرحلة الأولى تمهيدا لاجتثاث الوجود الإسلامي في المرحلة التالية التي عرفت إتحاد مملكتي أراغون و قشتالة والقضاء على آخر معقل للمسلمين في الأندلس مملكة غرناطة سنة 897هـ/1492م.

ومما لا شك فيه أن تلك الإنتهاكات العدوانية للأراضي الإسلامية من طرف النصارى، وما نجم عنها من تهاو لكثير من الحصون والقرى والمدن في أيديهم قد شهد أحداثها علماء المغرب الإسلامي، وعايشوا مآسيها، وتجرعوا آلامها، ولذلك هبوا يستنفرون الناس ويستنهضون الهمم ويستثيرون الحماس ، ويذكون جذوة الإيمان في القلوب لمجابهة ذلك العدو ، والتصدي لأعماله العدوانية وغاراته التخريبية، ومخططاته التوسعية.

و هذا ما دفعنا إلى البحث في مظاهر تصدي العلماء للعدوان المسيحي على الأندلس جاء موضوع بحثنا موسوما كما يلي:

موقف علماء المغرب الإسلامي من الصراع الإسلامي المسيحي بالأندلس

من القرن 6هـ/12م إلى القرن 9هـ/15م.

ويتضح من خلال هذا العنوان أن موضوعنا يتناول إسهامات هؤلاء العلماء في ميدان الصراع مع النصارى ومواقفهم من تلك الأحداث والوقائع التي عرفتها الأندلس، بالإضافة إلى تبيان مواقف دول المغرب الإسلامي من الإعتداءات النصرانية على المسلمين و الأندلس خلال هذه الفترة ونظرا لطبيعة الموضوع وأثاره ، ونتيجة لمخلفات الصراع وانعكاساته على الوجود الإسلامي في الأندلس ورغبة في تتبع مصير المسلمين في هذه العدوة المختصبة فإنه تحتم علينا تجاوز الفترة المحددة نوعنا ما لتتبع مسار الصراع إلى ما بعد سقوط مملكة غرناطة و موقف العلماء من الأوضاع التي أل إليها المسلمون والأندلس .

وتكمن أهمية الموضوع في أنه يكشف لنا عن الدور الذي إضطلع به العلماء في الوقوف في وجه العدوان والمحافظة على الدين الإسلامي، كما يكشف لنا عن إسهامات العلماء في ميدان الجهاد الحربي ضد النصارى، وقد تنوعت جهود العلماء في هذا الميدان–ميدان الجهاد– فمنهم من لجأ إلى التأليف و الأشعار ومنهم من إستغل فرصة تجمع الناس في المساجد لإلقاء الخطب والدروس بهدف شحذ الهمم ، وتقوية العزائم لمجابهة الأعداء، ومنهم من فضل حمل السلاح ومقاتلة العدو حتى ينال شرف الشهادة في سبيل الدفاع عن الأندلس ،وقد كانت لتلك الروح الجهادية التي بعثها العلماء في نفوس الناس أثر واضح في الصمود لفترات طويلة أمام هجمات النصارى، ومكنتهم من المحافظة على شخصيتهم الإسلامية.

ومما دفعنا لاختيار هذا الموضوع هو:إهتمامنا بتاريخ المغرب الإسلامي عامة،وبتاريخ الأندلس خاصة باعتباره جزءا من تاريخنا المجيد،وكذلك رغبة منا في جمع أكبر عدد من أسماء هؤلاء القدوة الصالحة من العلماء الذين أدوا الأمانة التي حملوها،وأن نتعمق في دراسة هذه الشخصيات

العظيمة، ونلقي مزيدا من الضوء على المعروفة منها، ونزيح الستار عن الشخصيات الأخرى منها التي ظلت في طي النسيان.

وقد تمحورت عناصر الموضوع حول الإشكالية التالية: فيما تجلى موقف علماء المغرب الإسلامي في رد العدوان المسيحي على بلاد الأندلس ؟

وقد تفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات منها:

كيف كانت مواقف دول المغرب الإسلامي في مواجهة الممالك المسيحية بالأندلس؟

ما هي مواقف العلماء من الأحداث والوقائع التي شهدتها الأندلس؟

فيما تمثلت إسهامات العلماء في مواجهة العدوان المسيحي بالأندلس؟

ما المعارك الحربية التي شارك فيها العلماء؟ وما دورهم في المعركة؟

ما هو دور العلماء في حماية المسلمين و الحفاظ على الهوية الإسلامية بعد سقوط الأندلس ؟

أما فيما يخص الدراسات السابقة، ففي حدود علمنا تبين لنا عدم وجود دراسات سابقة بهذا العنوان وإنما كل الدراسات ركزت على دور علماء العدوة الأندلسية في الصراع مع النصارى دون العدوة المغربية، منها ماهو موجود في كتاب الدكتور محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين أبا الخيل تحت عنوان "**جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين**" حيث عرض جهود العلماء في ميدان الجهاد الحربي أيام المرابطين والموحدين ، وعدد إسهامات هؤلاء العلماء في هذا الميدان إلا أن قطر الأندلس نال النصيب الأوفر من الدراسة في حين لم تنل بقية المناطق بما في ذلك العدوة المغربية ، و يكاد الأمر ينطبق على دراسة الدكتور خالد بن ناصر بن سعيد أل حسين العبدلي الغامدي فقد تطرق في كتابه المعنون ب"**الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**"

إلى إسهامات علماء الأندلس في ميدان الصراع مع النصارى في الفصل الرابع من الباب الثاني من هذا الكتاب، حيث جاء بعنوان" **إسهام العلماء في جهادهم النصارى دفاعا عن دين المسلمين وبلادهم**"، أورد فيه دور علماء الأندلس في الحض على الجهاد والرباط ودورهم في الإستنجاد والإهتمام بشؤون الجهاد، وكذا دورهم في الإفتاء بالجهاد ووقوفهم في الثغور وجبهات القتال، كما ذكر مشاهير العلماء المجاهدين.

بالإضافة إلى ماهو موجود في رسالة ماجستير لمحمود محمد أبو ندى المعنونة ب"**الدور الجهادي للعلماء في الأندلس (422هـ-609هـ/1031م-1212م)**"،وكذلك رسالة ماجستير لعبد القادر علي أحمد الدرة المعنونة ب"**العلماء الشهداء في الأندلس (400هـ-897هـ/1009م-1492م)**".

تمثل المنهج الذي إتبعناه في دراستنا في المنهج التاريخي ،فعمدنا في المرحلة الأولى إلى إستقراء المادة التاريخية من المصادر التي أرخت لفترة الدراسة ، واستخلاص ماله علاقة بها ، ثم تقسيمها وفقا لخطة الموضوع ، كما لجأنا إلى المنهج التحليلي وذلك بتحليل مواقفهم من تلك الأحداث والوقائع وكذلك أثر تلك المواقف على أحداث عصرهم.

وفيما يتعلق بالبحث فقد قسمناه إلى مقدمة ومدخل وثلاثة فصول ، ثم خاتمة ومجموعة ملاحق.

أما **المقدمة** فتضمنت التعريف بالموضوع مع دوافع اختيارنا له وأهميته وإشكاليته والمنهج المتبع وأهم الصعوبات التي واجهتنا في البحث مع عرض لأهم ما جاء في دراستنا وكذا تحليلنا لأهم المصادر والمراجع المعتمدة

واشتمل **المدخل** على صراع المسلمين مع النصارى قبل القرن 6هـ/12م، أشرنا فيه إلى صراع المسلمين مع النصارى في عهد ملوك الطوائف وعهد المرابطين مع ذكر لأهم المعارك التي دارت بين المسلمين والمسيحيين في الأندلس.

أما **الفصل الأول** فخصصناه لصراع دول المغرب الإسلامي مع الممالك المسيحية في الأندلس ، أشرنا فيه إلى أهم الحروب والمعارك التي دارت بينهم في عصر الموحدين ثم المرينيين والحفصيين والزيانيين.

أما **الفصل الثاني** فتناولنا فيه إسهامات علماء المغرب الإسلامي في الدفاع عن الأندلس ، وذلك من خلال دورهم في الحض على الجهاد عن طريق الفتاوى والتأليف والدروس وغيرها ، ودورهم في الجهاد الحربي ضد النصارى عن طريق المشاركة الفعلية في المعارك ،وإنفاقهم الأموال سواء في سبيل التصدي للنصارى أو في إفتكاك المسلمين من الأسر.

أما **الفصل الثالث** فكان الحديث فيه عن دور العلماء في الحفاظ عن العقيدة الإسلامية بعد سقوط الأندلس، أشرنا فيه إلى أوضاع المسلمين عقب تسليم أخر معقل للمسلمين في الأندلس للنصارى وموقف العلماء من هذه الأوضاع .

أما **الخاتمة** فقد إشتملت على أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث، وأتبعناها بملاحق لها علاقة بموضوع البحث ثم قائمة المصادر والمراجع .

## دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع :

### المصادر:

بما أن موضوع البحث يتناول **موقف علماء المغرب الإسلامي من الصراع الإسلامي المسيحي بالأندلس (ق6هـ/12م–ق9هـ/15م)** فإن ذلك يفرض علينا الرجوع إلى عدد من المصادر المتنوعة سواءا كانت كتب تراجم وطبقات أو مصادر تاريخية أو أدبية ، وقد اتضحت أهمية

كتب التراجم لموضوع البحث لكون المعنيين بالدرجة الأولى هم العلماء ، وهؤلاء إحتضنتهم كتب التراجم أكثر من أي نوع آخر ، ثم الموسوعات الأدبية ، ثم كتب التاريخ العام.

**كتب التاريخ العام:**

كتاب"**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**"لإبن عذارى المراكشي ويقع في أربعة أجزاء، إعتمدنا على الجزء الخاص بالموحدين الذي يشتمل على تاريخ دولة الموحدين وأحوالهم، وقد أفادنا في إعطاء صورة واضحة عن الأحداث التاريخية ، وعن الكثير من الجوانب السياسية والعسكرية ، وهذا ما ساعدنا على إستقاء أكبر قدر من المعلومات حول جهاد الموحدين بالأندلس.

كتاب "**المعجب في تلخيص أخبار المغرب** " لمحي الدين أبو محمد عبد الواحد التميمي المراكشي (ت في النصف الثاني من القرن 7هـ/13م)، أفادنا هذا الكتاب بأخبار وافية عن بعض المعارك الكبرى الدائرة بين المسلمين والنصارى في الأندلس، كما أفادنا بمعرفة جهود بعض العلماء ومواقفهم السياسية والعسكرية في حقل الصراع ضد الأعداء.

وثمة مصادر تاريخية غير ما سبق إعتمدنا عليها في أغلب فصول البحث ، وذلك عند شرح الأحداث والمواقف المرتبطة بجهود العلماء في ميادين المواجهة مع المسيحيين ، وكذلك المرتبطة بذكر أثر العلماء في تلك الميادين ، ومن أهم هذه المصادر كتاب **"ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"** لعبد الرحمن إبن خلدون (ت808هـ/1406م)، وكتاب **"المن بالإمامة"** لعبد الملك بن صاحب الصلاة (ت 594هـ/1198م) ،وكتاب**"الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"** لإبن أبي زرع أبا الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت 726هـ/1325م) .

**كتب التراجم:**

كتاب"**الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**" لإبن عبد الملك المراكشي ( ت 703 هـ / 1303م )، أفادنا في ترجمة العديد من العلماء المشاركين في الصراع ضد النصارى ، كما أفادنا في الإضطلاع على إسهامات العلماء في ميدان الصراع مع النصارى من مختلف الجوانب .

كتاب"**نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**" لأحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ/1627م) والذي يعد موسوعة كبيرة ترجم فيها لستمائة وثلاثين شخصية من الأعيان والمشاهير والفقهاء وحفاظ الحديث ، مما جعله سجلا أساسيا للأعلام الأندلسيين والتونسيين والمغاربة والجزائريين .

كتاب"**جذوة الإقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس**"لأبي العباس أحمد بن القاضي المكناسي (ت 1025هـ/1616م) والذي عرف فيه بمدينة فاس وعلمائها ، وجاءت إستفادة الدراسة من هذا الكتاب في معرفة العلماء الذين شاركوا في ميدان الصراع مع النصارى في الأندلس.

إضافة إلى هذا كانت الإستفادة من مصادر أخرى منها كتاب "**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**" لمحمد بن محمد مخلوف المالكي ، وقد ترجم فيه لحوالي 1849 عالما من علماء المالكية في جميع الأقاليم والبلدان الإسلامية ، وكتاب"**شذرات الذهب في أخبار من ذهب** "لإبن العماد الحنبلي (1089هـ/1680م) ، كتاب "**التكملة لكتاب الصلة**"لإبن الأبار (ت 658هـ/1650م) ، وكتاب"**البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**" لإبن مريم التلمساني (ت1014هـ/1605م).

**الموسوعات الأدبية:**

كتاب"**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**" للمؤرخ الأديب أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ/1631م) ويعتبر هذا الكتاب الموسوعة من أعظم ما ألف عن الأندلس ويتناول

الكتاب تاريخ الأندلس منذ دخول المسلمين إليها حتى خروجهم ، أما أهميته بالنبسة إلى هذه الدراسة فتبدو في إحتفاظه بمجموعة كبيرة من المواد التاريخية والأدبية وخاصة المتعلقة بأحداث الصراع مع المسيحيين .

كتاب"**الإحاطة في أخبار غرناطة**" للسان الدين إبن الخطيب (ت776هـ/1374م)،يعد هذا الكتاب موسوعة ثقافية في التاريخ ساهم فيه بالتعريف والترجمة لمئات العلماء والفقهاء ، وقد إستفدنا من هذا الكتاب طول مراحل البحث .

كتاب"**أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**" لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني يعد هذا الكتاب موسوعة ضخمة تقع في خمسة مجلدات يتميز هذا الكتاب الموسوعة بطائفة كبيرة من الأخبار والنصوص المغربية والأندلسية التي لم ترد في نفح الطيب ولا غيره من الكتب ، وقد ألم هذا الكتاب بكثير من شؤون بلاد الأندلس وأحوال المسلمين في عصر الجلاء عنها .

**كتب النوازل:**

كتاب "**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**"لأحمد بن يحي الونشريسي، لهذا الكتاب أهمية بالغة في التاريخ الحضاري للمغرب الإسلامي ، ويعد هذا الكتاب موسوعة في الفقه المالكي ، اعتمدنا على الجزء الثاني منه ، وقد أفادا في معرفة العديد من فتاوى العلماء ، كما أفادنا في معرفة موقفه من بقاء المسلمين في الأندلس عقب سقوط مملكة غرناطة.

**المعاجم:**

كتاب"**الروض المعطار في خبر الأقطار**"لإبن عبد المنعم الحميري، وهو مفيد في تحديد المواقع الجغرافية للمدن الأندلسية وضبط أسماءها ومعرفة التطورات التي مرت بها والأحداث التي تعرضت لها

ونجد خلال ذلك أحاديث مفيدة عن أوضاع هذه المدن خلال الفترة المدروسة ، وما كانت تعانيه من إعتداءات النصارى.

كتاب "**معجم البلدان** "لصاحبه شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت626هـ/1228م) ، الذي يتكون من خمسة أجزاء ، صنف الحموي هذا المعجم مرتبا على ترتيب الحروف الهجائية وقد جمع به عددا ضخما من المدن ، كان لها أثر كبير في تعريف المدن وما تحتويه.

## أهم المراجع:

### المراجع العربية:

كتاب"**الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**"لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي (ت1315هـ/1897م)،أفادنا خاصة الجزئية الثانية والثالثة، في تتبع الأوضاع السياسية بالمغرب الأقصى وبلاد المغرب الإسلامي ، كما لم يخل هذا الكتاب من بعض الإشارات المقتضبة عن أدوار علماء المغرب الإسلامي في مواجهة العدوان المسيحي في الأندلس .

كتاب"**دولة الإسلام في الأندلس**" لمحمد بن عبد الله عنان فقد إعتمدنا في دراستنا على الجزء الخاص بالموحدين والجزء الخاص بنهاية الأندلس، أفادنا بمعلومات مفصلة عن الأحداث السياسية والعسكرية و الإجتماعية في الأندلس في هذه الفترة .

كتاب "**معجم أعلام الجزائر** " لعادل نويهض الذي ساهم في تسهيل عملية البحث إذ جاء بتراجم مختصرة مع ذكر مصادرها ومراجعها في الهامش ، الأمر الذي كان له أهمية كبيرة .

ولا نستثني من هذه القائمة كتاب **"تراجم المؤلفين التونسيين"** لمحمد محفوظ،وكتاب **"الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة "**لمحمد عبده حتاملة ، وكتاب **"التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة"** لعبد الرحمن علي الحجي.

**المراجع الأجنبية المترجمة:**

كتاب**"تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين"** ليوسف أشباخ ،ترجمة عبد الله عنان، وقد إستفدنا منه فيما يتعلق بفترة الموحدين،و كتاب**"الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون"** للوي كارديلك، تعريب وتقديم عبد الجليل التميمي أفادنا هذا الكتاب في معرفة أوضاع المسلمين عقب سقوط غرناطة،إضافة إلى المصادر والمراجع إستفدنا من مستندات أخرى المتمثلة في المقالات الموجودة في المجلات والموسوعات.

وقد واجهتنا في صدد إنجاز هذا البحث مجموعة من الصعاب ومن أهمها تفرق المادة العلمية في مصادر متعددة إستغرق جمعها والبحث عنها جهدا ووقتا كثيرا ،إضافة إلى كيفية التعامل مع المادة العلمية ، فبقدر ما يشكل شح المعلومة حاجزا لإكمال الموضوع على الشكل المطلوب، فإن كثرتها تكون كذلك،وهذا ينطبق على الصعوبة في إيجاد الطريقة المثلى في استنباط المعلومة الموافقة وموضوعنا هذا ومدى إمكانية تنسيقها ووضعها في القالب المناسب.

وفي الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا في الإلمام بأهم مباحث هذه المذكرة وما إخترناه لها من مصادر ومراجع ، وحسبنا أننا بذلنا ما تيسر من الجهد على ما قد يشوبها من ضعف ، وقلة خبرة فإن أصبنا فذلك محض توفيق من الله ، وإن كان غير ذلك فحسبنا أننا إجتهدنا فلا نعدم بعد ذلك أجر المجتهدين ، والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

# المدخل

## أولا :الصراع الإسلامي المسيحي في عهد ملوك الطوائف:

غداة فتح المسلمين للأندلس كانوا قد وصلوا إلى المناطق الشمالية الغربية لهذه البلاد لكنهم لم يفرضوا سلطانهم على هذه البلاد بشكل فعال خاصة إقليم أشتوريش في جليقيه،وذلك لوعورة المنطقة، وعليه إستغلت بعض فلول القوط المنهزمة هـذه الظروف ولجأت إلى هذه المناطق وأخذت تستعد لمقاومة المسلمين في الأندلس ،وكان المسلمون قد إستهونوا أمر هذه المناطق فتهيأ لهذه الأعداد القليلة الجو لتكون كيان قوي فتجمعوا في جبهتين :الأولى في هضاب كنتبريه وكانت إمارة قليلة الخطر والأهمية أما الإمارة الثانية فهي إمارة جليقيه أو مملكة أشتوريش فكانت أعظم خطر لأنها تقع في جبال وعرة بعيدة عن طريق غزوات الفاتحين[1].

وقد شهد القرن( 5 هـ/ 11م) إنقلابا في ميزان القوى السياسية والعسكرية لصالح الممالك النصرانية في شمال إسبانية[2] ، فمنذ ضعف السلطة المركزية وتلاشي مؤسسة الخلافة إلى دويلات عدة عرفت باسم "ملوك الطوائف"[3] ، بدأت سلسلة الإستعداء لملوك النصارى مستغلين فرصة تمزق وحدة الأندلس الإسلامية أعظم إستغلال[4].

وقد اتحدت الممالك النصرانية في بداية القرن (5هـ/11م)، تحت قيادة الملك "سانشو الثالث الكبير"(426هـ/1035م)،وقبل وفاته كان قد قسم مملكته على أولاده الأربعة:

---

[1]- إبراهيم خليل السامرائي وآخرون:تاريخ العرب وحضاراتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديدة المتحدة ،بيروت لبنان ،ط 1 ،2000م ،ص ص:134-135.

[2]- يوسف أشباخ:تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين،تر:عبدا لله عنان، مكتبة الخانجي،القاهرة، ط2،1958م،ص:08.

[3]- حكمت هذه الدويلات الأندلس بعد اضطراب الأوضاع بها،وامتد حكمهم من 422-479هـ/1031-1076 م.عبد السلام التريمانيني:أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين،القاهرة،ط1،1417هـ/1997م، ج4،ص219.

[4] -محمد عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطين،مكتبة الخانجي،القاهرة ،ط2،1970م، ص:382.

.

فرناندو،غرسيه،راميرو،جونزالو،فكان نصيب فرناندو قشتالة وليون[1].وقد استطاع هذا الأخير أن يحافظ على مملكته ويوجه كل جهوده نحو محاربة ملوك الطوائف[2].

بدأت سياسة الإسترداد على يد "فرناندو" فما أن إنتهى من الصراع الداخلي الذي نشب بينه وبين إخوته، حتى تأهب لغزو أراضي المسلمين،ففي سنة( 449هـ/1057م)، عبر بقواته نهر دويرة وتورمس ،وهاجم الحدود الشمالية لمملكة بطليوس[3] ونفذ إلى ولاية لوزيتانا[4]،فاجتازها واستولى على بعض الحصون[5].

ثم قصد "فرناندو" مدينة بازو وضرب حولها الحصار وعاث بها فسادا وتخريبا،فثبت أهلها المسلمون ودافعو عنها دفاعا مجيدا لكن فرناندو زاد من إستعداداته واقتحمت المدينة بصورة عنيفة قتلا وأسرا،ثم قام بعملية تصفية وتطهير عرقي ضد المسلمين فطردهم منها واستوطنها النصارى[6]،ثم سار إلى مدينة لاميجو الواقعة شمال بازو فاقتحمها واستولى عليها بعد ذلك بعدة أشهر وقتل معظم أهلها،غير أن ذلك لم يشبع نهم "فرناندو" ففي سنة(454هـ/1062م) وجه جيشا قدره عشرة ألاف فارس نحو بطليوس.

ولما علم أمير بطليوس بتحرك العدو سبقه إلى المدينة ثم تفاوض الطرفان وانتهوا إلى إتفاق يقضي بدفع ضريبة سنوية،قدرها خمسة ألاف وقد كان أميرها على أمل أن يدفعها مقابل حماية بلاده

---

[1]- قاعدة من قواعد قشتالة بها معاملات وتجارات ومكاسب ولأهلها همة ونفاسه.الحميري:الروض المعطار في خبر الأقطار، تح،إحسان عباس ،مطابع هيدلبرغ،بيروت لبنان،ط2، 1984م،ص:514.

[2]يوسف أشباخ :المرجع السابق،ص:11.

[3]- مدينة بالأندلس من أعمال ماردة تقع على نهر غربي قرطبة.شهاب الدين ياقوت الحموي:معجم البلدان، دار صادر،بيروت لبنان،1997م،مج،1،ص447.

[4]- لوزيتانا:تقع شمال البرتغال وهي تابعة لمملكة بطليوس.عبد الله عنان:المرجع السابق،دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، ص ص: 382-383.

[5]- نفسه،ص ص:382-383.

[6]- عبد الرحمن الحجي:التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة،دار القلم ،دمشق ،ط2،1402هـ/1981م، ص330.

من غارات قشتالة إلا أنها لم تحقق شيئا بل فتحت شهية فرناندو بغزو أراضي بطليوس[1]،كما تحرك النصارى وصولا إلى نواحي اشبيلية[2] وأحرقوا قراها وحقولها وخربوا أراضيها[3]،وفي سنة (456هـ/1064م) استولى فرناندو على قلمرية[4] .

**أ–الحملة النورماندية على برشتر[5] :(456هـ/1064م):**

حلت بمدينة برشتر نكبة اهتزت لها كامل الأندلس واعتبرت من أشد وأفضع ما حدث فيها،لما إرتكب معها من أعمال وحشية مبيرة وجرائم مثيرة هذه الحادثة هي غزوة النورمانديين للمدينة وفتكهم بأهلها سنة (456هـ/1064م)،وتمثلت هذه الغزوة في حملة انطلقت من الأرض الكبيرة أوغاليش–فرنسا حاليا– وقدر عدد أفراد هذه الحملة بعشرة آلاف فارس أو يزيدون ،واستمر الحصار أربعين يوما ولم يتحرك صاحبها يوسف المظفر بن هود لنجدتها فوقع فيما بين أهلها تنازع في القوت لقلته وشدد العدو عليها القتال والحصار[6].

إستطاع النورمانديون بعد قتال عنيف اقتحام المدينة وجرت معارك أخرى وتحصن المسلمون بالقصبة والمدينة مصممين على الثبات ،حتى آخر رمق ،لكن حدث أن القناة التي كان الماء يجري فيها من النهر إلى المدينة تحت الأرض في سرب موزون انهارت، وفسدت ووقعت فيها صخرة

[1]– ابن عذارى أبو العباس:البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تح:ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة،بيروت ،ط3 ،1983،ج3،ص238.

[2]– مدينة كبيرة عظيمة بالأندلس وهي قاعدة ملك الأندلس.الحموي:المصدر السابق،مج01،ص195.

[3]– عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص328.

[4]– أعظم القواعد الإسلامية في شمال الأندلس.عبد المنعم الحميري: المصدر السابق،ص460.

[5]– مدينة عظيمة في الشمال الشرقي للأندلس وهي من أمهات الثغر الفائقة الحصانة والمناعة.الحموي: المصدر السابق، مج1، ص90.

[6]– ابن عذارى:المصدر السابق، ج3، ص225.ابن بسام الشنتريني:الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تح:سالم مصطفى البدري،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان ،1419هـ/1998 م.ج1،ق3،ص181.

عظيمة سدت السرب بأسره فانقطع الماء عن المدينة ويئس من بها من الحياة واشتد بالمدافعين العطش ،فعرضوا على النورمانديين التسليم وطلبوا الأمان على أنفسهم[1].

وكان الخطاب بالمدينة أعظم من أن يوصف أو يتقصى فقد غدر النورمانديين بالمسلمين وقتلوهم ،وقدر عدد القتلى والأسرى أربعين ومائة ألف ،ثم أعطى قائد الحملة الأمان فانتشر المسلمون في بسيط من الأرض، ولما رأى ذلك خاف أن تدركهم حمية في استنقاذ أنفسهم، فأمر ببذل السيف فيهم ،وقيل أنه قتل منهم يومئذ ستة آلاف ،ثم نادى برفع السيف عنهم وأمر بخروجهم من المدينة مزدحمين على أبوابهم فمات في ازدحامهم خلق كثير[2] ،ثم نودي فيهم بأن يرجع كل ذي دار داره بأهله ،وولده ،ولما إستقروا بالدور إقتسمهم المشركون،وفي هذا يقول "ابن عذارى":«**ثم إنهم إنتهبوا المدينة واحتلوا دورها لأنفسهم وارتكبوا أبشع الجرائم قتلا وهتكا للأعراض وكان الخطب أعظم من أن يوصف أو يتقصى**»[3].

كان لهذه النكبة أثر كبير وصدى عميق في أنحاء الأندلس كافة، فاهتزت لها القلوب وتزلزلت لها النفوس، فأسرع المقتدر بن هود الذي لحقه العار لأنه ترك المدينة ،ولم ينجدها باعتبارها من أملاك أخيه يوسف ،فأعلن تيار الجهاد وقام بالنفير في بلاد الأندلس ،فاجتمع له كثير من المتطوعة من مختلف الجهات، وبعث له "المعتمد بن عباد" خمسمائة فارس من إشبيلية[4] يذكر "ابن عذارى" :إن عدد المجاهدين بلغ ستة ألاف حاصروا مدينة برشتر ونجحوا في اقتحامها وجرت معركة شديدة مزق فيها المسلمون النصارى وقتلوا منهم ألف فارس وخمسمائة راجل ،وتم إسترجاع المدينة

[1]-عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص:359.

[2]-حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، ط01، 1416هـ/1996، ج02، ص:25.

[3]- ابن عذارى:المصدر السابق، ج3، ص225.ابن بسام:المصدر السابق:ج1، ق3، ص: 118.

[4]- عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص359.

في سنة (457هـ/ 1065م) بعد أن دام احتلالها والعبث فيها تسعة أشهر فغسلوها من رجس الشرك وجلوها من صدإ الإفك[1].

وفي هذه السنة أي:(457هـ /1065م)خرج فرناندو في قواته قاصدا بلنسية[2] وفرض عليها الحصار،ولما طال الحصار ورأى فرناندو أن حصون المدينة منيعة ووسائل الدفاع لديها قوية عزم على الحيلة والمكيدة فتظاهر بالإنسحاب والمغادرة،فخرج أهلها المدينة فرحين بالنصر متتبعين فلول المنهزمين متزينين بزينة النصر والأبهة ،وهنا في غفلة من أهل بلنسية وأميرها إرتدت القوات الصليبية وأعملت في أهل بلنسية القتل والأسر واستسلمت المدينة لفرناندو،لكنه بعد ذلك أحس بالمرض فآثر العودة إلى ليون ولم تمضي أيام حتى توفي في نفس السنة[3].

وكان قبل وفاته قد قسم مملكته بين أولاده الثلاثة:"سانشو"،"ألفونسو"،غرسيه،ورغم اقتسام المملكة فان "ألفونسو السادس" إستطاع بعد حروب طويلة أن يضم إليه ممتلكات إخوته بعد مقتل أخيه سانشو الثاني في أكتوبر (468هـ/1075م)،واسر آخيه الأصغر غرسيه في سنة (465هـ/1072م)[4].

بدأ "ألفونسو" يستغل الأوضاع السياسية التي شهدتها الأندلس في ظل دويلات الطوائف المتناحرة وكانت غايته الكبرى إسترداد كامل الأندلس،وهكذا بدأ إزدياد نفوذ الممالك النصرانية والتي قامت بتوجيه عدة ضربات للمسلمين حيث شنوا حربا كان الهدف فيها إخراج المسلمين من الأندلس[5]، و إلى جانب "ألفونسو السادس" ظهرت شخصية عسكرية زادت من متاعب ومشاكل

---

[1]-لسان الدين بن الخطيب:أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ،تح وتع:ليفي بروفنسال،دار المكشوف،ط2،1956م،ص:171.ابن عذارى:المصدر السابق،ج3،ص:227 .

[2]- تقع شرق الأندلس وهي مدينة سهلية و من قواعد الأندلس.الحميري:المصدر السابق،ص:119.

[3]- عبد الله عنان،المرجع السابق،دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،ص:386.

[4]- نفسه،ص:389.

[5]- سعدون نصر الله:تاريخ العرب السياسي من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة، دار النهضة العربية،لبنان، ط1،2003 م ،ص:59.

مسلمي الأندلس وخاصة الجهة الشرقية منها وهي شخصية السيد القمبيطور[1]، الذي لم يكن سوى لص محترف تحول إلى قائد غارات[2] يصفه ابن بسام بـ:«**كلب من أكلب الجلالقة يسمى رذريق ويدعى بالقنبطور وكان داءا عضالا له في الجزيرة وقائع وعلى طوائفها بضروب المكروه إطلاعات ومطالع**»[3].

إستطاع الفونس وان يستثمر عناصر الاضطراب والفوضى التي ألمت بالأندلس في هذه الفترة فاستولى على كثير من المدن والحصون،ولعل أهم الهزات التي أصابت الأندلس وكان لها الأثر الوخيم على مستقبل الإسلام في المنطقة هي:

**ب–سقوط طليطلة[4]:(478هـ/1085م)**

تعتبر مملكة طليطلة من أهم ممالك الطوائف نظرا لمتاخمتها حدود الممالك الاسبانية النصرانية في الشمال،واعتبارها بذلك حاجزا للدولة الإسلامية ضد عدوان النصارى، وبذلك أصبح الإستيلاء عليها شغل ألفونسو الشاغل الذي بدأ منذ سنة (470هـ/1078م)، بدأ ألفونسو يعمل لتنفيذ هذا الأمر بالإغارة على أراضي مملكة طليطلة ويعيث فيها سفكا وتخريبا وينتسف مزارعها، إستمر لذلك سنوات لنهك قوتها حتى سقطت في يده (478ه/1085م)[5]،وينقل لنا "المقري" في نفح الطيب فيقول:«**أخذ الأذفنش –ألفونسو– طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون بن**

[1]– هو روديجو دياث دي فيفار ويعرف في المصادر العربية بالسيد كان من جنود شانجه اخو ألفونسو السادس. ابن بسام :المصدر السابق،ج2،ص:168

[2]– حسين مؤنس:معالم تاريخ المغرب والأندلس ،مكتبة الأسرة ،د.د.ن،2004،ص:194.

[3]– ابن بسام:المصدر السابق، ج1، ق3، ص:95.

[4]–تقع بالأندلس ، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس لها أسوار حصينة.الحميري:المصدر السابق،ص:392.

[5]– عبد الله عنان:المرجع السابق،ملوك الطوائف منذ قياها حتى الفتح المرابطي،ص ص:396–397.عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص:331.

**يحي ذي النون بعد أن حاصرها سبع سنين وكان أخذه لها في منتصف محرم( 478هـ/ 1085م)»**[1].

كان إيواء طليطلة "لألفونسو السادس" أيام نفيه نقمة عليها ،وسببا للتعجيل بسقوط المدينة ،والبدء بشن الحرب عليها وإسقاطها ،يشير إلى ذلك "ابن الخطيب" بقوله:«**وسكناه بطليطلة واطلاعه على عمرانها هو الذي أوجب تملك النصارى بها**»[2]، بل إنه فضلا عن إنتفاعه حين إقامته بطليطلة من معرفة دروبها وخططها وتذكر بعض الروايات أن ألفونسو إستمع ذات يوم ،وهو متظاهر بالنوم إلى حديث المأمون مع وزرائه في كيفية الدفاع عن طليطلة ،واحتمال مهاجمة النصارى لها ،واستيلائهم عليها ،وقد أجاب بعضهم أن النصارى لا يستطيعون الإستيلاء على مدينة بمثل هذه الحصانة إلا إذا أنفقوا سبعة أعوام في تخريب أحوازها وإنتساف مؤنها[3].

قام حاكم بطليوس عمر بن محمد بن الأفطس الملقب بالمتوكل بالله ببعض واجبه اتجاه طليطلة في محنتها ،التي لو أدى بقية ملوك الطوائف ما يجب عليهم لما لاقت هذا المصير ولحموها وحمو أنفسهم لكن الطاقة كانت اقل والدفع اضعف لردع قوة ألفونسو والقضاء على محاولته وإنقاض المدينة،فضيق عليها الخناق حتى سقطت وارتكبت خلال ذلك وبعده بها وبأهلها الأفاعيل وأنزلت الآثام يذكر البعض أن الطابع الصليبي كان ظاهرا في هذه الأحداث ،حيث كان مع قشتالة وليون جنود من أراغون ومتطوعون مغامرون من فرنسا وغيرها[4] .

دخل "ألفونسو" طليطلة بعد أن أعطى لأهلها الأمان بضمان حرياتهم واحترام شعائر دينهم وحقوقهم وحرمة مساجدهم ،لكن بعد شهرين فقط نقض هذه العهود وحول مسجد مدينة

---

[1]-المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،تح:إحسان عباس، دار صادر،بيروت، 1433هـ/1968م، ج4،ص ص:351-354.

[2]- ابن الخطيب:المصدر السابق،أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، ص:230.

[3]-عبد الملك ابن كردبوس:تاريخ الأندلس،تح:أحمد مختار العبادي ،معهد الدراسات الإسلامية،مدريد،1971م،ص:89.

[4]-عبد العزيز سالم تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ،مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر،الإسكندرية، 1999م،ج2، ص:. عبد الله عنان : المرجع السابق،ملوك الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،ص:396.

طليطلة الجامع إلى كنيسة بقوة السلاح وحطم المحراب ليقام الهيكل مكانه علما أنه قد نص في شروط تسليم المدينة بأن يحتفظ المسلمون إلى الأبد بمسجدهم الجامع[1].

بعد ذلك مباشرة سقطت جميع المدن والقرى التابعة لها، والتي كانت تقدر بأكثر من ثمانين منبرا بين مدن وقرى[2]، وكان لسقوط طليطلة أعمق الأثر في ميزان القوى في شبه الجزيرة وبه توج تفوق إسبانيا النصرانية السياسي والعسكري واتخذ ملك قشتالة على إثره لقب الإمبراطور ذي الملتين الإسلامية والنصرانية[3] .

[1]-عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص ص:334-335.

[2]-يوسف أشباخ:المرجع السابق، ص:56.

[3]-ابن الكردبوس:المصدر السابق،ص:90.

## ثانيا:الصراع الإسلامي المسيحي في عهد المرابطين[1]:

### أ–موقعة الزلاقة[2]: (479هـ/1086م)

أحدث سقوط طليطلة في أيدي القشتاليين دويا هائلا في المغرب والأندلس على السواء منذرا بذلك ملوك الإسلام بالأندلس بسوء المصير، فأحسوا بضعفهم وتنبهوا بعد فوات الأوان إلى نهايتهم الوشيكة[3].

إزاء هذا المصاب الجلل تزعم صالح العلماء والفقهاء في الدعوة إلى توحيد الأندلس من أجل رد كيد ألفونسو السادس ،ووضع حد لأطماعه التوسعية على حساب الأراضي الأندلسية إلا أن هذه الدعوة لم تأتي بالنتيجة المطلوبة أمام الانهيار النفسي لأكثر ملوك الطوائف،فاتجهت أنظار الشعب وصالح العلماء وبعض الأمراء صوب القوة الفتية والتي ظهر كيانها السياسي وهي دولة المرابطين ، من أجل رد خطر الإسبان فجاءت هذه الدعوى بعد ثلاثة أشهر من سقوط طليطلة[4].

وفي هذا الصدد يقول: صاحب الحلل الموشية :«**ثم إن أهل الأندلس لما بلغهم ما كان عليه يوسف بن تاشفين[5] أمير المرابطين من القوة والاستعداد والحجة والجهاد وما حققه من**

---

[1]–ينتسبون إلى صنهاجة ،وهم أقوى قبائل البربر إعتنقوا الإسلام،يرجع لهم الفضل في نشره في ربوع إفريقية والسودان الغربي.عبد الرحمن إبن خلدون:العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ضبط:خليل شحادة،مرا:سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت،1421هـ/2001م، ج6،ص:242.

[2]–من إقليم بطليوس غربي الأندلس،وفيها كانت الواقعة الشهيرة للمسلمين على الطاغية ألفونسو.الحميري:المصدر السابق،ص:288.

[3]عبد النعم محمد حسين:التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ،دار المعرفة الجامعية،مصر ،دط،ص:51.

[4]–ابن الخطيب:المصدر السابق،أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام،ص:245.إبراهيم السامرائي وآخرون:المرجع السابق،ص:251.

[5]–هو يوسف بن تاشفين بن تورقيت بن ورتاقطن بن منصور بن مصالة بن مائية الصنهاجي،استخلف ابن عمه أبو بكر في الحكم سنة 454هـ/1060م،توفي سنة 500هـ/1106م. مؤلف مجهول:المصدر السابق،الحلل الموشية،ص:24.حسن علي حسن:الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس"عصر المرابطين والموحدين"،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط1،1980م،ص ص:26-31.

**إنتصارات،قاموا بإرسال وفد مكن وجهائها لإنقاضهم من الطاغية ألفونسو السادس،وكان هذا سنة 478هـ باستيلائه على مدينة طليطلة وعلى أعمالها»**[1].

بعد ذلك سار "يوسف ابن تاشفين" في تلبية طلبهم ،ثم طلب من المعتمد إخلاء الجزيرة الخضراء ليضع فيها أجناده وأثقاله،ثم شرع في تجويز الجيوش إلى الأندلس فجوز منها ما لا يحصى كثرته ،فلما كمل جواز الجيش واستوفت عساكر المجاهدين بساحل الخضراء جاز هو في أثرهم في جيش عظيم من قواد المرابطين وصلحائهم[2].

ولما بلغ خبر جواز يوسف بن تاشفين إلى ألفونسو كان في هذه الثناء محاصرا سرقسطة طمعا في أخذها فقام برفع الحصار عنها[3].واستنفر الإفرنجة للخروج ورفع القسيسون والرهبان والأساقفة صلبانهم فاجتمع له مالا يحصى عدده.وعلى عادات المسلمين قدم يوسف بن تاشفين كتابا إلى ألفونسو يعرض عليه الدخول في الإسلام أو أداء الجزية أو الحرب[4].

جرت الإستعدادات العسكرية بكل أشكالها واختار المسلمين أرض الزلاقة للمعركة بغية إستدراج العدو،وإخراجه من مواقعه الحصينة واجتناب التوغل في أرضه، وقد وقع الإختيار كذلك على سهل الزلاقة من جانب ألفونسو، الذي تجنب بدوره مهاجمة خصمه في أرضه،وإظهارا منه للجرأة على التوغل في أرض المسلمين ،وذلك للمبالغة في العبث والتخريب بعد النصر كما كان مخطط له، وقام الأساقفة والرهبان ،ورفعوا صلبانهم ،ونشروا أناجيلهم ،وتبايعوا على الموت،ما يبرز

---

[1]-مؤلف مجهول:المصدر السابق،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص:38.

[2]-حسين مؤنس:المرجع السابق،معالم تاريخ المغرب والأندلس،ص:196.

[3]-ابن أبي زرع الفاسي:الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور،الرباط،1972م، ص:94.السلاوي:الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،تح وتع:جعفر الناصر ومحمد الناصر ،دار الكتاب،الدار البيضاء ، 1954م ،ج1،ص ص:34-35.

[4]-عبد الواحد المراكشي:المعجب في تلخيص أخبار المغرب،تح:صلاح الدين الهواري ،المكتبة العصرية،بيروت ،ط1، 1426هـ/2006م ، ص:117.

الأبعاد الدينية الصليبية لهذه المعركة،ووعظ يوسف وابن عباد أصحابهما، وقام الفقهاء والصالحون مقام الوعظ، وحثوهم على الصبر والثبات[1].

لم يتوان "ألفونسو" على الإستعانة بالمكر والخديعة قبل المعركة،فمن المعروف تاريخيا ووفق الأعراف السائدة في تلك العصور، يحدد يوم المعركة من كلا الطرفين ،وقد أختلف في تحديد المعركة بين الطرفين، فأرسل ألفونسو والى إلى "المعتمد بن عباد" يوم الخميس من أول رجب خطابا،يقول فيه: «**إن الجمعة لكم والسبت لليهود ،وهم وزرائنا وكتابنا ،وأكثر خدم العسكر منهم فلا غنى بنا عنهم والأحد لنا فإذا كان يوم الاثنين كان ما نريد من الزحف قاصدا بذلك خديعة المسلمين**»[2]، وقد بعث المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين أن يكون على أهبة الإستعداد، وإن العدو صاحب مكر وخديعة في الحرب[3].

وبعد إستعدادات عسكرية بين الطرفين جرت المعركة في بطحاء الزلاقة يوم الجمعة من شهر رجب (479هـ/1086م)،بدأت المعركة أول النهار بصدام "المعتمد بن عباد" و "ألفونسو السادس" أثخن كل منهما الآخر في وقت لم يصل "يوسف بن تاشفين" إلى ساحة المعركة،ورغم عدم وصوله إلى ساحة القتال إلا أن المعتمد لم تثني عزيمته ،بل إشتد إصرارا على القتال ،حتى أنه عقرت من تحته ثلاثة أفراس و أصيب عدة إصابات في أنحاء جسده ،وبينما هو على هذا الحال إذ بفرقة من جيش المرابطين تدخل إلى ساحة القتال ثم يتتبعها "يوسف بن تاشفين" بكافة جنده فكانت الدائرة على ألفونسو ونال هزيمة ساحقة لم يبقى في جيشه سوى عدد يسير فر بهم إلى جبل منيع[4].

[1]-المقري:المصدر السابق،ج4،ص:364.

[2]-عبد الواحد المراكشي:المصدر السابق،ص:100.المقري:المصدر السابق،ج4،ص:365.

[3]-ابن الكردبوس:المصدر السابق،ص:87.ابن الخطيب:المصدر السابق،أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، ص:246.

[4]-المقري:المصدر السابق،ج4،ص:366.ابن أبي زرع الفاسي:المصدر السابق،ص ص:147-148.

يصف صاحب الحلل الموشية الأحداث في المعركة فيقول :«**واشتدت الكرات وعظمت الهجمات والحروب تدور على اللعين وتطحن رؤوس رجاله ومشاهير أبطاله، وتقذف بخيلهم عن يمينه وشماله،وتداعى الأجناد والحشم والعبيد للنزال والترحيل عن ظهور الخيل ودخول المعترك فأمد المسلمين بنصره....وفي أثناء ذلك تلاقى بالطاغية ألفونسو غلام اسود بيده خنجر قطع جرز درعه وطعنه في فخذه مع مدرار سرجه** »[1].

و في الغرض ذاته يقول "لسان الدين بن الخطيب":«**ولم تزل الكرات بين المحلات تتعاقب والهجمات سجالا تداول والحرب تدور،وأمر يوسف العبيد فترجلوا عن الخيل في نحو ألف و دخلوا المعركة بالمزراق–الرماح القصيرة الخفيفة– لعجز السلاح عن الخيل فأثرت فيها بالطعن وجعلت ترمح بفرسانها ولصق منهم بالأذفنش عبد قبض على عنانه وضربه بخنجره**»[2].

طارد المسلمون الفارين من جيش النصارى في كل مكان ومع حلول الظلام أمر أمير المسلمين بالكف،حيث إستمرت المعركة يوما واحدا أيد الله بنصره المسلمين، وخذل المشركين أعداء الدين، وتسلل في الظلام مع ألفونسو حوالي خمسمائة فارس جراحا متجهين إلى طليطلة حيث توفي أكثرهم في الطريق[3].

كانت معركة الزلاقة يوما مشهودا من أيام الإسلام وهي لا تعني فقط كف عدوان ألفونسو ،ورد جيشه خاسرا وأنها أنعشت النفوس وقوت الآمال، فهي فضلا عن ذلك أعانت في مد عمر إسلامية شبه الجزيرة الأندلسية لأربعة قرون أخرى[4].

---

[1]–مؤلف مجهول:المصدر السابق،ص:61.

[2]–ابن الخطيب:المصدر السابق ،ص:243.

[3]–عبد الرحمن الحجي :المرجع السابق،ص:408.

[4]–نفسه،ص:409.

**ب-سقوط حصن لييط[1]: (481هـ/1088م)**

لم تكن موقعة الزلاقة سوى صدمة أصابت القشتاليين لزمن قصير،فلم يمضي عامين على هزيمة ألفونسو حتى كان قد تمكن من إستعادة قواه فنقل ميدان نشاطه هذه المرة إلى شرق الأندلس، إذ أن غربها كانت تقوم فيه مملكتان قويتان هما:

مملكة إشبيلية وبطليوس تعضدهما فرقة من المرابطين قوامها ثلاثة آلاف مقاتل تركها يوسف بن تاشفين تحت تصرف المعتمد بن عباد،أما الشرق فعلى الضد من ذلك كان ممزق من الناحية السياسية بالإضافة إلى أن جيوش المرابطين لم تكن قد وصلت إليه بعد[2].

ولأجل هذا قام ألفونسو بحصار حصن لييط وجعله قاعدة يهاجم بها أراضي المسلمين الواقعة في الشرق،فكان تركيزه في الهجوم على مرسية وإشبيلية سرقسطة وغيرها من مدن وحواضر الأندلس فازداد عبثهم وأخذت سرايا النصارى تنطلق شرقا وغربا فتقتل وتأسر[3]. فشكلوا بذلك خطرا جديا على هذه المناطق وبثوا فيها الرعب والهلع،ما دفع بجملة من وجوه الأندلس بالعبور والوفود إلى يوسف بن تاشفين فشكوا له ما حل بهم من الحصار ومن شان حصن لييط،ولم تزل وجوه الأندلس تتوافد على أمير المسلمين بالشكوى حتى وعدهم بالجواز[4].

عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس مرة ثانية في ربيع الأول من سنة (481هـ/1088م) وسار صوب حصن لييط بعد أن توافدت إليه جيوش أمراء الطوائف وقد أعيتها مناعة الحصن وحلول فصل الشتاء فانسحبت هذه القوات صوب لورقة[5]،و خلال هذه الفترة إستعان الإسبان المحاصرين في

---

[1]-هو حصن على رأس جبل شاهق،أقامه النصارى بهدف السيطرة على شرق الأندلس.مؤلف مجهول :المصدر السابق،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص:67.

[2]-عبد العزيز سالم:المرجع السابق،ج2،ص:644.

[3]-محمد عبده حتاملة:الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، مطابع الدستور التجارية،الأردن،1420هـ/2000م،ص:543.

[4]-ابن عذارى:المصدر السابق،ج3،ص:140.

[5]-يوسف أشباخ:المرجع السابق،ج1،ص:90.عبد الله عنان:المرجع السابق،دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ص:335.

الحصن بملكهم "ألفونسو السادس" الذي أنجدهم مسرعا وخلصهم من الخطر، وانسحب صوب طليطلة لا ينوي شيئا لأنه كان يخشى أن تكرر هزيمة الزلاقة،[5]فجاء بجيوش جرارة ورأى ابن تاشفين أن يخلي بينه وبين الحصن ،إذ رأى أن هم ألفونسو لن يكون الحرب والقتال وإنما تخليص النصارى المحصورين مما هم فيه من ضيق[1].

إنسحب أمير المسلمين عائدا إلى المغرب بعد أن ترك بعض القوات المرابطية تصد هجمات الإسبان وخاصة في المشرق،أما ألفونسو وصل إلى الحصن فلم يجد فيه من الفرسان والرماة وغيرهم الذين كان عددهم ثلاثة عشر ألفا، لم يجد سوى عدد قليل فقد أتى عليهم القتل والجوع حتى لم يبقى فيه سوى نحو المائة،وكان هؤلاء جياعا لا يقدرون على إمساك الحصن ولذلك آثر ألفونسو السادس أن يحرق الحصن ويدمره تدميرا بعدما أخرج من فيه[2].

### ج–سقوط بلنسية[3]: (487هـ/1094م)

كان لسقوط بلنسية على يد القمبيطور وقع شديد على الأندلس كما كان بالنسبة لطليطلة فلما وصلت أخبارها إلى يوسف بن تاشفين سير جيشا نحو الأندلس وولى قيادة الجيش لابن أخيه "محمد بن تاشفين"،الذي توجه نحو بلنسية وضرب الحصار حولها وجرت مناوشات أصيب فيها المسلمون[4].

لقد عان سكان بلنسية من حصار شديد دام قرابة العشرين شهرا حتى أكلوا الجلود والدواب بل أكثر من ذلك،حتى أن الناس هان عليهم حرق أنفسهم من شدة الجوع وهو ما أكده "ابن عذارى" في قوله:«**فمن فر منهم فقئت عيناه أو قطعت يداه أو دقت ساقاه أو قتل**»[5]

---

[1]–السلاوي:المرجع السابق،ج2،ص:35.

[2]–محمد عبده حتاملة:المرجع السابق،الأندلس التربخ والحضارة والمحنة،ص:547.

[3]–تقع شرق الأندلس،وهي مدينة سهلية،وقاعدة من قواعد الأندلس.الحميري:المصدر السابق،ص:97.

[4]–عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص:385.عبد المنعم حسين:المرجع السابق،ص:72.

[5]–ابن عذارى:المصدر السابق،ج4،ص:33.

وأمام هذا الوضع المتدهور طالب الناس من القاضي تسليم المدينة ،وفتح الأبواب أمام الطاغية "القمبيطور" وجنوده،فرضخ لهذه المطالب وفتحت أبواب بلنسية ودخلها السيد على رأس جنوده القشتاليين في جمادى الأخر سنة (487هـ/1094م)[1].

كانت الجيوش المرابطية تخوض في ذات الوقت معارك أخرى غربي الأندلس قرب طليطلة مع جيوش ألفونسو سنة (491هـ/1097م)[2]،كما شدد محمد بن تاشفين الحصار على بلنسية بعدما تكاملت حشوده،بينما كان السيد القمبيطور قد استدعى ألفونسو إلى المدينة فدخلها وبقي فيها نحو شهر،والنصارى يحثونه على التمسك بها ويرغبونه فيها ويهونون عليه أمر جيوش المسلمين[3].

كان القمبيطور في تلك الأثناء قد توفي وذلك سنة( 493هـ/1099م) من جراح أصيب بها في إحدى معاركه مع المرابطين ،واستمرت في حكم بلنسية بعده زوجه "خيمانه" التي حاولت الدفاع عن بلنسية مستعينة بألفونسو الذي أدرك عندما طال حصار المسلمين لبلنسية،عدم جدوى مقاومتهم فنصح خيمانه بمغادرتها فغادرتها وخرج في أثرها ألفونسو،ولكن بعدم أحرق المدينة وجعلها أطلالا دارسة[4]،وبعد أن دخل المرابطون بلنسية في شهر رجب سنة(495هـ/1101م) قاموا بتطهيرها من رجس النصارى الذين مكثوا فيها نحو ثمانية أعوام وشهرا ونصف الشهر[5].

[1]-ابن الخطيب:المصدر السابق،،ص:204.

[2]-عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص:386.

[3]-ابن عذارى:المصدر السابق،ج4،ص:40.

[4]-إبراهيم السامرائي وآخرون:المرجع السابق،ص:548.عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص:386.

[5]-ابن عذارى:المصدر السابق،ج4،ص:42.

**د-وضمن حوادث متفرقة:**

**وقعة إقليش[1]:( 501هـ/ 1108م)**

أمد ألفونسو حاميتها بعشرة آلاف فارس بقيادة ولي العهد ابنه "شانجه" مع قائده "البرهانس"[2] ،وكان عدد الجيش القشتالي يفوق الجيش الإسلامي،كان فيها النصر حليف المسلمين وكانت هزيمة ساحقة للجيش القشتالي قتل فيها شانجه ،وكان نصرا أعاد ذكريات الزلاقة[3].

وفي سنة ( 509هـ/1116م) يتمكن المرابطون من استعادة الجزائر الشرقية- ميورقة ومنقورة ويابسة (البليار)- من النصارى الإسبان،وكان إسترجاع هذه الجزر ذا أثر بعيد في مستقبل الأندلس كلها ،لأنها لو بقيت في أيدي النصارى لأصبحت خطرا يهدد شرق الأندلس كله[4].

**وقعة قتنده[5]:( 514هـ/1120م )**

كان يقود المسلمين في هذه المعركة "أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين" اخو "علي بن تاشفين" ،واستشهد فيها من المسلمين ألوفا لأن الأندلسيين الذين خرجوا للجهاد مع المرابطين لم ينتظموا في الصفوف وتسارعوا في الهجوم على العدو فاختل مصاف الجيش فكانت الهزيمة[6] .

كذلك قامت القوات القشتالية بمهاجمة إشبيلية، والمدن المجاورة لها سنة (526هـ/ 1132م) ،وعام (536هـ/1142م)،كما هاجمت بطليوس وغربي الأندلس عام(532هـ/1137م) و (536هـ /1142م)، و بلغ من شدة هجوم القوات القشتالية أنها وصلت إلى أحواز مدن قرطبة وإشبيلية،وألقت الرعب في نفوس أهلها ،ولا ينكر دور القوات المرابطية في هذه الفترة التي كرست جل

[1]-مدينة لها حصن بالأندلس، وهي قاعدة من كور شنبرية.الحميري:المصدر السابق،ص:51.

[2]-هو القائد الإسباني إبن أخ السيد القمبيطور، وكان من كبار قواد الملك ألفونسو.ابن الكردبوس:المصدر السابق،ص:86.

[3]-حسين مؤنس:المرجع السابق،معالم تاريخ المغرب والأندلس،ص:434.عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص:425.

[4]-حسين مؤنس:المرجع السابق،معالم تاريخ المغرب والأندلس،ص:434.

[5]-مدينة بالأندلس من ثغر سرقسطة.الحموي:المصدر السابق،مج4،ص:310.

[6]-حسين مؤنس:المرجع السابق،معالم تاريخ المغرب والأندلس،ص:435.

إستعداداتها من أجل التصدي للقوات الاسبانية، وكانت القوات المرابطية في أغلب الأحيان تنزع النصر من القوات القشتالية إنتزاعا، وفي بعض الأحيان خسرت المعارك وفقدت خيرة رجالها[1].

كما سقطت المرية وتقدمت جيوش النصارى وضربت حولها الحصار من البر والبحر لمدة ثلاثة شهور حتى نفذ الطعام وشح الزاد،وتم الاستيلاء عليها فسقطت بأيديهم ودخلوها يوم الجمعة 17 من جمادى الأولى سنة 542هـ/ عنوة[2].

لولا تدخل المرابطين وتمكنهم من هزيمة النصارى في موقعة الزلاقة ومواقع أخرى لضاع الأندلس،نتيجة للتدخل المرابطي أربعة قرون أخرى بين مد وجزر ،وزيادة ،وانحسار، وحرب وسلم ونصر وهزيمة[3].

[1]-إبراهيم خليل السامرائي وآخرون:المرجع السابق،ص:258.

[2]-المقري:المصدر السابق ،ج4،ص:461.

[3]-حسين مؤنس:المرجع السابق،معالم تاريخ المغرب والأندلس،ص:77.

# الفصل الأول:

## صراع دول المغرب الإسلامي مع الممالك المسيحية في الاندلس.

### المبحث الأول: صراع الدولة الموحدية مع الممالك المسيحية.

### المبحث الثاني: صراع الدولة المرينية مع الممالك المسيحية.

### المبحث الثالث: صراع الدولة الحفصية والدولة الزيانية مع الممالك المسيحية.

لم يستمر عهد المرابطين في الأندلس طويلا (483هـ-542هـ)وانضوت الأندلس تحت سيادة الموحدين (542هـ-622هـ)، وبعدها مزقتها الإمارات المستقلة ، فإذا كان نصر الموحدين على الإسبان كبيرا وحاسما في معركة الأرك عام 591هـ، فإن خسارتهم فادحة في معركة العقاب عام 609هـ.

كان من نتائج هذه الموقعة-حصن العقاب- توغل النصارى من الجنوب الذي يتاخم العدوة المغربية ، واعتبرت هذه الهزيمة الضربة القاضية لدولة الموحدين ، فكان لزاما على الإمارات المستقلة عن الدولة الموحدية في المغرب —الدولة المرينية والدولة الحفصية والدولة الزيانية-أن يدركوا أنهم أمام خطر حقيقي على أنفسهم وإخوانهم ، وأن يدركوا أن التضامن مع بني نصر الذين يمثلون حاجزا جغرافيا وبشريا بينهم وبين النصارى أنما هو ضروري لهم ولإخوانهم في الأندلس .

## المبحث الأول :صراع الدولة الموحدية مع الممالك المسيحية.

ورثت دولة الموحدين[1] دولة المرابطين في مجاهدة الممالك النصرانية ،وكان أول عمل قام به "عبد المؤمن بن علي"[2]، هو بناء مدينة في جبل طارق سنة (555هـ/1163م)، لكي تكون منزلا للأمر عند إجازة العساكر المنصورة،ومحلا ريثما تتقدم الرايات المظفرة،والأعلام المنثورة إلى بلاد الروم[3]، وبعد أن افتتح المدينة رجع إلى المغرب بعد أن وفر حامية قوية من الموحدين والأندلسيين[4].

[1]-أنظر الملحق رقم :01.

[2]-هو عبد المؤمن بن علي ألزناتي الكومي ولد بقرية تاجرة من أعمال تلمسان أخر سنة 487هـ-1095م بويع بخلافة دولة الموحدين سريا سنة 524هـ-1130م،وبويع البيعة العامة سنة526هـ،توفي سنة552هـ-1163م.البيذق:أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط،1971،ص:34.آبي زرع الفاسي:المصدر السابق ،ص:186.

[3]-ابن صاحب الصلاة:المن بالإمامة،تح:عبد الهادي التازي ،دار الغرب الإسلامي،لبنان ،ط3،1986،ص:84.

[4]-ابراهيم السامرائي وآخرون:المرجع السابق ،ص:286.

بدأ عبد المؤمن يجهز الجيوش لرد عدوان الممالك الإسبانية،وسار بها من مراكش[1] إلى مدينة الرباط ،ولكن عبد المؤمن مرض،ومات،وتولى الأمر بعده ابنه" أبو يعقوب يوسف"(558هـ-580هـ/1163م-1184م)،هذا الأخير أصدر أمرا إلى الجيوش بالإنصراف،ريثما يتخذ قرارا جديدا[2].

خلال هذه الأحداث كان "ألفونس أنركيث"- ملك البرتغال- الذي تسميه الرواية الإسلامية بابن الريق، أو ابن الرنك،وبعض المغامرين يهددون الحصون الإسلامية في غربي الأندلس،ففي عام (542هـ/1147م) إستطاع ملك البرتغال بالتعاون مع قوات صليبية من الانجليز،والألمان أن يستولي على مدينة شنترين[3]،وفي عام(555هـ-1160م) إستولى على قصر أبي دانس[4](قصر الفتح)[5].

في عام(566هـ/1161م) عبر الخليفة أبو يعقوب إلى الأندلس[6]،وقرر غزو النصارى [7]،فقام بعدة أعمال حربية في عدد من مناطق الأندلس،لكنه لم يجن من ورائها ما كان ينتظر من النصر استمر يدير هذه الأعمال مدة خمس سنوات،ثم عاد إلى العاصمة مراكش سنة(571هـ/1166م)[8].

إستغل النصارى عودة الخليفة إلى مراكش،فجددوا هجماتهم على الأندلس حيث قام "ألفونسو الثامن"-ملك قشتالة-[9]بمهاجمة الأراضي الأندلسية ،فتصدت له القوات الموحدية قرب

---

[1]-من أكبر مدن المغرب،تقع في غرب بلاد المغرب الأقصى.ياقوت الحموي:المصدر السابق،مج5،ص:111.

[2]-عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص:459.إبراهيم السامرائي وآخرون:المرجع السابق،ص:286.

[3]-مدينة بالأندلس،وهي حصينة بينها وبين قرطبة مسافة خمسة عشر يوم.ياقوت الحموي: المصدر السابق،مج3،ص:367.

[4]-يقع بغربي الأندلس.الحميري:المصدر السابق،ص:475.

[5]-عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص:460.إبراهيم السامرائي وآخرون:المرجع السابق،ص:287.

[6]-عبد العزيز سالم: المرجع السابق،ص:713.

[7]-عمر راكة:علاقات الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية والممالك المسيحية بالأندلس،مذكرة لنيل شهادة الماجستير،جامعة تلمسان،قسم التاريخ وعلم الآثار،2011،ص:91.

[8]-عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص:459.

[7]-ملك قشتالة ويلقب بألفونس النبيل ورث عرش قشتالة عن أبيه سانشو ،وعمره لايتجاوز أربعة عشر سنة في 1169م تميز بعدائه الشديد للمسلمين ،ورغبته الجامحة في غزو أراضيهم ،وله الدور الكبير في إحراز النصر في موقعة العقاب .عبد الله عنان:دولة الإسلام في الأندلس"عصر الموحدين"، مكتبة الخانجي،القاهرة ،ط2،1990 ،ص:583ومايليها.

قرب طلبيرة [1] عام (578هـ/1182م)،وبعدها عبر الخليفة ألموحدي إلى الأندلس(580هـ/1184م)،واتجه نحو شنترين ونازلها في عدة معارك إلا أن المسلمين انهزموا في هذه المعركة،وأصيب الخليفة حيث توفي بعد قليل في شهر ربيع الأخر سنة(580هـ/يوليو1184م)[2]،وتولى الخلافة بعده ولي عهده "أبو يوسف يعقوب" –المنصور–، هذا الأخير بدأ يعد العدة لمواصلة أعمال الجهاد في الأندلس،حيث جهز جيشا لهذا الغرض،واتجه صوب الأندلس في سنة(586هـ/1190م)[3].

جرت خلال ذلك في الأندلس عدة أحداث،حيث أن ملك البرتغال "ابن الرنك" توفي سنة (581هـ/1185م)،وخلفه ابنه "شانجه" الذي بدأ يشن الغارات على الأندلس ،حيث استطاع إحتلال مدينة شلب بعد حصار دام ثلاثة أشهر وكان ذلك سنة(585هـ/1189م) [4].

كان عبور الجيش ألموحدي بقيادة "أبي يوسف يعقوب المنصور" سنة (585هـ /1189م) لرد المعتدين،واستعادة مدينة شلب،فقام بنشاط عسكري في عدة مناطق إلا أنه لم يسترد المدينة،فعاد إلى إشبيلية[5] ، للإستعداد،وتنظيم شؤون البلاد ،ثم جهز جيشا كبيرا،وخرج من إشبيلية في ربيع الآخرة سنة(557هـ/أبريل1191م)،متجها نحو الشمال الغربي،واستعاد قصر أبي دانس،ثم مدينة شلب،ثم عاد إلى إشبيلية[6].

[1] –مدينة بالأندلس وهي قديمة توجد على نهر ألتاجه،وهي أقصى ثغور المسلمين،وباب من الأبواب التي يدخل منها إلى أرض المشركين.الحميري:المصدر السابق،ص:395.

[2] –ابي زرع الفاسي:المصدر السابق،الأنيس المطرب بروض القرطاس ،ص:215.

[3] –حسين مؤنس:المرجع السابق، معالم تاريخ المغرب والأندلس،ص:438.

[4] –مدينة بالأندلس تقع غرب قرطبة.الحموي:المصدر السابق،ص:357.

[5] -مدينة بالأندلس وهي قديمة ،وأن أصل تسميتها أشبالي معناه:المدينة المنبسطة.الحميري:المصدر السابق،ص:58.

[6] –عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص:463.

في عهد ملك قشتالة "ألفونس الثامن"،عقد مع الموحدين معاهدة صلح ،أمدها خمس سنين (586هـ-591هـ/1190-1195م)،فلما انتهت مدة المعاهدة حتى بدأ ملك قشتالة بمهاجمة الأراضي الإسلامية[1].

## أولا:موقعة الأرك[2] ونتائجها:

### أ–موقعة الأرك[3]:

إن السياسة التي كانت تنتهجها ملوك المسيحيين اتجاه الأندلس الإسلامية،وخاصة مملكة قشتالة حيث كانت توقع السلم مع الموحدين،ثم ترسل سرا للإغارة على الحصون،والقلاع،هذا أدى إلى إستياء الخليفة ألموحدي "أبو يوسف يعقوب المنصور"،الذي وصلته رسالة من ملك قشتالة يتهدد ويتوعد الخليفة،كما يطالبه بالتنازل عن بعض الحصون،فثارت حميته،وكتب إلى ملك قشتالة يتحداه للقتال[4]،وكتب على ظهر الرسالة«**ارجع إليهم ،فلنأتيهم بجنود لاقبل لهم بها،ولنخرجهم منها أذلة أذلة وهم صاغرون**»[5]،ثم كتب«**الجواب ماترى لا ماتسمع**»[6]،ثم صرف الرسول بالكتاب[7].

لقد إشتد حنق "أبي يوسف يعقوب"،على ملك قشتالة،وأخذته غيرة الإسلام،فبادر بالتأهب للحرب في الأندلس،كما أمر أن يذاع فحوى كتاب ملك النصارى على الجميع ليثير غيرتهم[8] واستطاع الخليفة أن يستنفر الناس،والجند المتطوعة،والجيش النظامي للجهاد في الأندلس[9]،ثم

---

[1]–ابراهيم السامرائي وآخرون:المرجع السابق،ص:288.حسين مؤنس:المرجع السابق،معالم تاريخ المغرب والأندلس،ص:483.

[2]–هو حصن منيع بمقربة من قلعة رباح.الحميري:المصدر السابق،ص:27.

[3]–أنظر الملحق رقم :02.

[4]–عمر راكة:المرجع السابق،ص:99.

[5]–سورة النمل:الآية:37.

[5]–السلاوي:المرجع السابق،ص:167.أبي زرع الفاسي:المصدر السابق،ص:221.،إبن الأثير:الكامل في التاريخ،راجعه وصححه:يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية،لبنان ،ط4،1424هـ/2003م،مج10،ص:237.

[7]–معمر الهادي القرقوطي:جهاد الموحدين في بلاد الأندلس ،دار هومة للطباعة والنشر،الجزائر،ص:197.

[8]–ابو خليل شوقي:الأرك بقيادة المنصور ألموحدي ،دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر،دمشق ،ط1،1979،ص:52.

الأندلس[1]،ثم عبر إلى الأندلس في جمادى الآخرة من سنة (591هـ/جوان1195م)[2]،ونزل في جزيرة طريف،ثم الجزيرة الخضراء إلى أن استأنف مسيره نحو اشبيلية،فعسكر بهاأسبوعين،ورحل عنها شمالا صوب قلعة رباح[3]فعسكر بجيشه على بعـد مرحلتين منها[4].

تجهز ملك قشتالة "ألفونسو الثامن" للقاء الجيش الإسلامي منذ سماعه بعبور الموحدين ، فسار بقواته من طليطلة للقاء الموحدين،فتوقف في قلعة الأرك ينتظر وصول ملك ليون بقواته كي يشترك إلى جانبه في القتال ضد المسلمين،لكن هذا الأخير تأخر في الوصول،فتقدم "ألفونسو الثامن" بقواته،وضرب معسكره إزاء معسكر الموحدين،وكان جيش ملك قشتالة يتألف من جميع الأجناد الفرسان،والمشاة بالإضافة إلى فرسان قلعة رباح،وفرسان الداوية[5]،فتوفر له ألف مقاتل[6].

ولما سمع الخليفة بنزول النصارى في قلعة الأرك،توجه إليهم من أجل القتال،ومرت عدة أيام لم يقع فيها اشتباك،حيث كان كل من الطرفين يرسلان سرايا من أجل التجسس على أحوال المعسكر الأخر،فاكتشف الموحدون سرية لملك قشتالة تتجسس عليهم بمقربة من معسكرهم،فقاموا بقتلها عن أخرها[7].

## 1-الإستعداد ووضع الخطط:

[1]-عمر راكة:المرجع السابق،ص:99.

[2]-عبد الواحد المراكشي:المصدر السابق،ص:206.

[3]-بالاندلس من عمل جيان،وهي مدينة حسنة ولها حصن حصين على نهر أنة.الحميري:المصدر السابق،ص:469.

[4]-هشام أبو رميلة:علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس ،دار الفرقان ،عمان الأردن ،ط1، 1984م،ص:260.

[4]-أو فرسان المعبد ومهمتهم حماية النصرانية،ومحاربة المسلمين وبدأ ظهور هذه الجماعة سنة 1118م،وقد اختارت هذه الهيئة جزءا من هيكل سليمان في المسجد الأقصى ببيت المقدس ليكون مقرا لها ومن هنا جاءت تسميتها باسم فرسان المعبد التي حرفت في اللغة العربية إلى كلمة الداوية.سعيد عمران:حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية،د.م.ن،1998، ص: 113.

[6]-هشام أبو رميلة:المرجع السابق،ص:260.

[7]-عمر راكة:المرجع السابق،ص:100.

لم يكن المنصور ليستبد برأيه في التخطيط للمعركة الوشيكة،بل قام بعقد مجلس إستشاري للتشاور في أمر الحرب مع كبار رجال دولته وقادته،فاستشار أشياخ الموحدين،ثم العرب،ثم زناته،ثم القبائل الأخرى ثم الاغزاز،ثم المطوعة ليخرج من ذلك برأي يضع على أساسه خطة محكمة لهذه المعركة،وأخيرا دعا قواد الأندلس[1]،وقال لهم:«**إن جميع من استشرته،وان كانوا أولي بأس،ومعرفة بالحرب لكنهم لايعرفون من قتال الإفرنج ماتعرفونه أنتم لتمرسكم بهم،وتمرسهم بكم**»،فأحالوه في الرأي على القائد أبي عبد الله بن صناديد،فعول المنصور في ذلك على رأيه[2].

تلخص رأي ابن صناديد بأنه يجب أن تبدأ المعركة باشتباك سائر حشود الأندلس،وقبائل العرب،وسائر قبائل العدوة المغربية من زناته،والمصامدة،وغيرهم،وجند المطوعة،وهذا يمثل القسم الأول وأن ينتظر القسم الثاني في المؤخرة،والمتمثل في الخليفة المنصور،وجيوش الموحدين ،والعبيد ،والحشم في موضع مستور[3]،فان ظفرنا بعدونا فبفضل الله،وان كان غير ذلك تكون أنت بمعسكر الموحدين حماية للمنهزمين ،فتلقى العدو بهم،وقد انكسرت شوكته،وذهبت قوته،وحدّته،وقد أعجب الخليفة بهذا الرأي، وقرر إتباعه[4].

قسم الخليفة الجيش إلى مقدمة،وقلب،جناحين،جعل في المقدمة الاغزاز،والمطوعة من حملة الرماح الطويلة،وجعل في القلب القائد العام أبا يحي بن أبي حفص مع قبيلة هنتاته،وجعل في الميـمنة جند الأندلس بقيادة ابن صناديد،وجعل في الميسرة قبائل زناته،والمصامدة،والعرب[5]،وتولى الخليفة المنصور قيادة القوة الاحتياطية مكونة من صفوة الجند[6].

---

[1]-عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص:200.شوقي أبو خليل:المرجع السابق،ص:55.

[2]-السلاوي:المرجع السابق، ج2،ص ص:167-168.

[3]-عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص:200.

[4]-ابي زرع الفاسي:المصدر السابق،الأنيس المطرب بروض القرطاس ،ص:226.

[5]-هشام أبو رميلة:المرجع السابق،ص:262.

[6]-يوسف أشباخ:المرجع السابق ،ص:366.

كذلك نظم ملك قشتالة في تلك الأنحاء جنده المتوثبة للقتال،بحيث جعل قلعة الأرك تحمي موقعه من جانب،وتحميه من الجانب الأخر بعض التلال،ولا يمكن الوصول إليه إلا بواسطة طرق ضيقة،وعرة وكان الجيش القشتالي يحتل موقعا عاليا،في حين عسكر الجيش ألموحدي فـــي السهل المنبسط أمام ربوة الأرك[1].

## 2-وقائع الحرب:

نشبت المعركة بين الطرفين يوم الأربعاء التاسع من شعبان من سنة(591هـ/19يوليوز 1195م) حيث قام الفرسان النصارى بثلاث هجمات متتالية لاختراق صفوف الموحدين،يقول أبي زرع الفاسي:«**إذ تحرك من جيش العدو عقدة كبيرة من سبعة ألاف فارس إلى ثمانية ألاف فارس**»[2] ،لكنهم عجزوا عن اختراق صفوف الموحدين في الهجمتين الأولى،والثانية حيث تصدى لهم حملة الرماح الطويلة من مقدمة الجيش ألموحدي،حتى أصابوا صدور خيلهم،فارتد الفرسان النصارى مرتين إلى معسكرهم في سفح التل[3].

أعاد النصارى تنظيم صفوفهم،وأخذوا يستعدون للقيام بهجمة ثالثة،وعندما رأوا راية الخلافة مرفوعة في قلب الجيش ألموحدي ،قرروا الهجوم على القلب اعتقادا منهم أنه القسم الذي يقوده الخليفة نفسه فاندفعوا نحوه بكل قوة يهاجمون،ويقتلون[4]،فاستشهد القائد أبو يحي[5]،ومعه جماعة من المسلمين من هنتاته،والمطوعة،وغيرهم[6].

---

[1]-هشام أبو رميلة:المرجع السابق،ص:263. يوسف أشباخ:المرجع السابق،ص:366.

[2]-ابي زرع الفاسي:المصدر السابق،الأنيس المطرب بروض القرطاس ،ص:226.

[3]-هشام أبو رميلة:المرجع السابق،ص:263.

[4]-نفسه،ص:263.

[5]-عبد الرحمن ابن خلدون:المصدر السابق،ج6،ص:330.

[6]-ابن أبي زرع الفاسي:المصدر السابق،الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص:226.

أقبلت قبائل المطوعة،والعرب،والأغزاز،والرماة،وأحاطوا بالنصارى الذين اندفعوا من كل جانب،واندفع ابن صناديد بجيوش الأندلس،وحشودها،وزحفت معه قبائل زناته والمصامدة وغماره وسائر البربر إلى الربوة التي فيها ملك قشتالة ألفونسو الثامن،يقاتلون من فيها من جيش الروم ، فهب جميع الجند المسيحي لنجدة ملكهم، عندئذ تدخل الخليفة بقواته النظامية ،سحق الجيش القشتالي سحقا ذريعا ،قام خلالها الملك باللجوء إلى حصن الأرك،ومن ثم فر نحو طليطلة عاصمة ملكه في ثلاثين من قواده[1].

**ب-نتائج معركة الأرك:**

لقد انتهى يوم الأرك بهزيمة النصارى على نحو مروع،وسقط منهم في القتال ثلاثون ألف قتيل،وأسر منهم أربعة وعشرون ألفا أطلق سراحهم فيما بعد[2]،بينما كانت الخسائر في الجيش الإسلامي بخمس مائة رجل[3]،ومن الغنائم فقد حاز المسلمون من الخيام مائة وخمسين ألفا،ومن الخيل ستة وأربعين ألفا ومن البغال مائة ألف،ومن الحمير مائة ألف،وقد قسم الخليفة الغنائم بين المسلمين وفقا لأحكام الشريعة[4].

تمكن الموحدون بانتصارهم في الأرك من نشر سلطانهم الكامل على الأندلس بل مكنهم من مطاردة أعدائهم التقليديين كما أن انتصار الموحدين حال بين ملك قشتالة وبين تحقيق أطماعه في الأندلس إلى حين،وقد تجلت أهمية هذه المعركة في أن النصارى اضطروا إلى عقد هدنة،وصلح مع الخليفة المنصور[5]،يذكر الناصري:« **أن ملوك الإفرنج اجتمعوا،وأرسلوا يطلبون الصلح،فأجابهم إليه،وصالحهم على مدة خمس سنين**»[6].

---

[1]-عمر راكة:المرجع السابق،ص:101.

[2]-شوقي أبو خليل:المرجع السابق،ص:62.

[3]-عمر راكة:المرجع السابق،ص:101.

[4]-إبن الأثير :المصدر السابق ،مج10،ص :237.عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص:211.

[5]-معمر الهادي القرقوطي:المرجع السابق،ص:207.

[6]-السلاوي:المرجع السابق،ص:172.

لقد أدى انتصار الأرك إلى إثارة الرعب،والذعر في الممالك النصرانية الأخرى[1] مثل أرغونه والبرتغال وليون،فقد كانت تتوقع أن يقوم الموحدون بغزو بلادها[2].

**ثانيا: موقعة حصن العقاب[3] ونتائجها:**

**أ–موقعة حصن العقاب[4]:**

في الوقت الذي انشغل فيه "الخليفة الناصر"[5] بالقضاء على الثورات التي اندلعت عقب توليته والتي لم يتغلب عليها إلا بعد(604هـ/1208م)،[6]حاول المسيحيون إعادة ترتيب صفوفهم خاصة خاصة بعد الدعوات الملحة من البابوية، فقام ملك قشتالة بعقد معاهدات صلح مع الممالك المسيحية،حيث اتفق مع ملك ليون على أن يعملا على غزو الأندلس،والتعاون على قتال المسلمين،واتفق مع ملك نافارا على عدم تعرض أي طرف للقتال من الطرف الأخر،كما عقد معاهدة صلح مع ملك البرتغال وهكذا أصبحت كل الممالك المسيحية يدا واحدة[7].

لم يسع ملك قشتالة لتجديد معاهدة الصلح بين الموحدين ،بعد انتهاء أجلها سنة(606هـ/ 1209م) والتي كان عقدها مع الموحدين عقب معركة الأرك[8]،بل أخذ يحصن قلاع بلاده المجاورة

[1]–توفيق الطيبي:دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ،الدار العربية للكتاب،تونس ،1997م،ج2،ص:206.

[2]–هشام أبو رميلة:المرجع السابق،ص:268.

[3]–حصن بالأندلس يقع بين جيان وقلعة رباح.الحميري:المصدر السابق،ص:416.

[4]–أنظر الملحق رقم:02.

[5]–هو محمد الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور بالله،بويع للخلافة في حياة والده يعقوب المنصور،ثم جددت له البيعة بعد وفاة والده وذلك سنة595هـ،توفي سنة610هـ.أبي زرع الفاسي:المصدر السابق،الأنيس المطرب بروض القرطاس ،ص:231.عبد الواحد المراكشي:المصدر السابق،ص ص226–236.محمد بن إبراهيم الزركشي:تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية،تح و تع:محمد ماضور ،المكتبة العتيقة،تونس ،ط2 ص:17.

[6]–معمر الهادي القرقوطي:المرجع السابق،ص:226.

[7]–هشام أبو رميلة:المرجع السابق،ص:274.عمر راكة:المرجع السابق،ص:104.

[8]–هشام أبو رميلة:المرجع السابق،ص:276.

للدولة الإسلامية،واندفع لغزو المناطق الإسلامية بالأندلس أحواز جيان و أند وجر[1]،ووصل حتى أحواز مرسية، وعندما وصلت الأخبار إلى "الخليفة الناصر" غضب غضبا شديدا ،وبدأ في حشد قواته واستنفار الناس للجهاد ،فاجتمعت له قوات كبيرة [2]من سائر الأقطار ،وتسارع الناس إليه خفافا خفافا وثقالا من البوادي والأمصار[3] .

جاز الخليفة الناصر إلى الأندلس في ذي القعدة (607هـ/ مايو1211م)[4]،على رأس جيش تقدره الروايات من خمس مائة ألف مقاتل إلى ست مائة ألف مقاتل ،وفي سنة (608هـ/ 1212م) إتجه نحو بلاد قشتالة حتى بلغ الحدود،فأشار عليه وزيره أبو سعيد بن جامع بالاستيلاء على قلعة شلبطرة[5] شلبطرة[5] فاستجاب الخليفة لذلك ،وضرب الحصار على القلعة ،وبعد مرور ثمانية أشهر وواحد وخمسون يوما من الحصار،تمكن الموحدون من الاستيلاء على القلعة بعد استسلام النصارى،ثم عاد الخليفة إلى اشبيلية بعد نفاذ المؤن ،ورغبة منه في إراحة الجند من الصعاب التي حلت به خلال الحصار[6].

أما ملك قشتالة فعمل على تنظيم حملة صليبية ،فبعث الأساقفة إلى البابا أنونست الثالث[7] الثالث[7] بروما يناشده إعلان حرب صليبيه في أوروبا،ويحث الشعوب الأوروبية على السير إلى اسبانيا لقتال المسلمين[8] ، استجاب البابا لطلب ملك قشتالة ألفونس الثامن،فأعلن الحرب الصليبية،وبعث

[1]-وهو حصن بالأندلس بالقرب من قرطبة.الحميري:المصدر السابق،ص:264.

[2]-معمر الهادي القرقوطي:المرجع السابق،ص:227.

[3]-هشام أبو رميلة:المرجع السابق،ص:277.

[4]-يوسف أشباخ:المرجع السابق،ص:357.معمر الهادي القرقوطي:المرجع السابق،ص:227.

[5]-حصن من حصون الأندلس من عمل قلعة رباح.الحميري:المصدر السابق،ص:344.

[6]-هشام أبو رميلة:المرجع السابق،ص ص:278-281.

[7]-(555هـ-613هـ/1160-1276م)ولد في أجنابي بايطاليا واسمه الأصلي لوثر السيجاني، من أبرز باباوات القرون الوسطى كان متحمسا جدا لفكرة الحروب الصليبية سواء في المشرق أو في الأندلس.عمر راكة:المرجع السابق،ص:95.

[8]-هشام أبو رميلة:المرجع السابق،ص:281.

الأساقفة ،ورجال الدين إلى كافة أنحاء أوروبا لحثهم على التوجه نحو اسبانيا ،كما أنذر البابا ملوك اسبانيا بتوقيع عقوبة الحرمان الكنسي[1]على كل ملك،أو أمير يتأخر عن مساعدة ملك قشتالة.

إستجاب كل الملوك المسيحيين لهذا النداء إلا ملك نافارا الذي لم يكن قد إستكمل إستعداده،وقد غدت طليطلة مركز للتجمع الصليبي بالحشود الأوروبية ،حتى اجتمع من هذه الوفود ما يزيد عن سبعين ألف مقاتل[2]،كما أمر البابا في روما بالصوم ثلاثة أيام إلتماسا لنصر الجيوش النصرانية[3]، وكان الموحدون من جهتهم ،يقومون بمثل هذه الإستعدادات ،وقد استنفر الناصر من سائر الجهات ليضاعف الجيش ،وليدعم جيشه ،فاجتمعت له قوات جديدة،وكثيفة[4].

خرج" الناصر" في جيوشه من اشبيلية في( 20 من محرم609هـ/23يونيو1212م) متجها صوب جيان[5]،وقاصدا لقاء النصارى،وكانت الجيوش النصرانية تسير في نفس الوقت صوب الأراضي الإسلامية،فوصلت إلى قلعة رباح[6]،حيث ضربوا عليها حصارا ،كانت حامية القلعة تتكون من سبعين سبعين فارسا بقيادة أبي الحجاج يوسف بن قادس ،هذا الأخير كان يكتب للخليفة الناصر يعلمه بحاله ويستمده على عدوه،فكان الوزير ابن جامع إذا وصلت إليه كتب ابن قادس أخفاها عن الناصر فلما طال الحصار على القلعة، ويئس من إمداد "الناصر" قرر النزول عن القلعة مقابل الأمان[7] .

---

[1]-ظهر هذا المصطلح أول مرة خلال القرن الرابع والقرن الخامس عشر،بدأ التمييز بين الذين ينبغي إبعادهم بسبب خطايا جسيمة وأولئك الذين ارتكبوا معاصي أصغر فلا يشتركون في أية احتفالات دينية وهذا التمييز لا يزال ساري في الكاثوليكية وهو بمثابة الكفر في الإسلام.عمر راكة:المرجع السابق،ص:105.

[2]-معمر الهادي القرقوطي:المرجع السابق،ص:231.

[3]-يوسف أشباخ:المرجع السابق،ص:361.

[4]-عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص:295.

[5]-مدينة بالأندلس وهي كثيرة الخصب تقع على سفح جبل عال جدا.الحميري:المصدر السابق،ص:183.

[6]عبد الله عنان:المرجع السابق،ص:297.

[7]-السلاوي:المرجع السابق، ج2،ص:198.

وافق ملك قشتالة على طلب ابن قادس ،ومنحه الأمان ،وهكذا استولى ملك قشتالة على القلعة وسلمها إلى فرسان قلعة رباح أصحابها السابقين[1]،ثم استأنف المسيحيون زحفهم حتى وصلوا إلى حصن العقاب ،وقتلوا حاميته الإسلامية،وكان الناصر خلال ذلك قد سار بجيوشه شمالا للقاء المسيحيين بجيش كثيف جدا[2].

## 1-الإستعداد ووضع الخطط:

نظم الموحدون قواتهم استعدادا للحرب حيث جعلوا المتطوعة في المقدمة،واتخذ الموحدون مكانهم في القلب ،أما الجند الأندلسي فشكلوا الجناح الأيمن،واتخذت القبائل العربية والبربرية مكانهم في الجناح الأيسر [3]وكان تنظيم الجيش النصارى مقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية،يتزعم كل قسم منها ملك من ملوك النصارى الثلاث ،فكان القسم الأول والمتمثل في القلب بقيادة ملك قشتالة ومعه جيوش مملكتي ليون،والبرتغال،ويتكون القسم الثاني من الجناح الأيمن،ويقوده سانشو ملك نافارا ويضم فضلا عن القوات النفارية جموع الصليبيين الأوروبيين،ويتكون القسم الثالث من الجناح الأيسر ويقوده بيدرو الثالث ملك أرغون،ويشتمل على قوات الطليعة ،وقوات التي يقودها أشراف أرغون[4].

## 2-وقائع الحرب:

نشبت المعركة بين الطرفين يوم الاثنين الخامس عشر سنة(609هـ/19يوليو1212م)،حيث أقبلت إليهم جيوش الروم على مصافها كأنهم الجراد المنتشر،فتلقاهم المتطوعة وحملوا عليهم جميعا فقاموا في صفوفهم ،فانطبقت عليهم جيوش الروم فاقتتلوا قتالا شديدا،وصبر لهم المسلمون صبرا

[1]-عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص:297.

[2]-هشام أبو رميلة:المرجع السابق،ص:289.

[3]-هشام أبو رميلة:المرجع السابق،ص:289.عمر راكة:المرجع السابق،ص:107.

[4]-عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص:310.عمر راكة:المرجع السابق،ص:107.

جميلا واستشهد المتطوعة عن أخرهم ،هذا وعساكر الموحدين،والعرب ينظرون إليهم،ولم يتحرك إليهم منهم أحد [1].

واصل النصارى الهجوم فبلغوا قلب الجيش ألموحدي،واشتبكوا معه،ثم رجحت كفة الموحدين فردوا الفرسان النصارى على أعقابهم ،وتمكن جناحا الجيش ألموحدي من رد جناحي الجيش النصراني فلاح النصر إلى جانب المسلمين[2]،فلما رأى ذلك ملك قشتالة اندفع بقواته،وسار وراءه جـــناحي الجيش عندئذ فر الجند الأندلسي،وتركوا ميمنة الجيش مكشوفة فتركز هجوم المسيحيين على القلب حتى انهزم الجند ألموحدي النظامي،وبلغوا معسكر الخليفة الذي فر من الموقعة بعد ذلك مباشرة،سار ملك قشتالة واستولى على كافة الحصون القريبة،ووصل إلى مدينتي بياسة وآبدة وقتل أهلها أشد قتل [3]

**ب–نتائج موقعة حصن العقاب:**

لقد إنتهت موقعة حصن العقاب بهزيمة المسلمين أمام النصارى ،فقد المسلمون في هذه الموقعة رغم تضارب الروايات ،معظم قواتهم حيث يقدرها ملك قشتالة في خطاب له أرسله إلى البابا بمائة ألف بناءا على أقوال بعض الأسرى المسلمين،ويقدرها "أرنولد" أسقف بريجونة بستين ألف،أما "رودريغو" أسقف طليطلة فيقدرهم بمائتي ألف،بينما تقدرهم الأميرة "برنجيلا" إبنة ملك قشتالة في خطاب بعثته إلى أختها ملكة فرنسا بخمسة وثمانين ألف[4].

أما الرواية الإسلامية فتقدرها بأنه لم ينجو من المعركة إلا واحد من الألف أي حوالي ست مائة رجل ويبدو أن هذا مبالغ فيه،والدليل على ذلك أن جيوش قشتالة بعد فترة قاموا بغزو إشبيلية[5]

[1]–ابي زرع الفاسي:المصدر السابق،الأنيس المطرب بروض القرطاس ،ص:239.السلاوي:المرجع السابق،ص:199.

[2]–هشام أبو رميلة:المرجع السابق،ص:290.

[3]–عمر راكة:المرجع السابق،ص:108.

[4]–نفسه.

[5]–نفسه.

فقام "أبو زكريا بن أبي حفص بن عبد المؤمن" من ردهم[1]،وقتل منهم عشرة ألاف رجل،فهذا دليل أن جيوش زكريا لم تفن في معركة العقاب[2].

أدت موقعة حصن العقاب إلى زيادة حماس المسيحيين للاستيلاء على أراضي المسلمين في الأندلس حيث ألفونسو الثامن على بعض الحصون،والمدن مثل:حصن البلج،ومدينة بياسة[3]،كما فتح هذا الإنتصار باب الاسترداد الذي أدى منذ ذلك الحين إلى إستمرار انتزاع القواعد الأندلسية بصورة متتابعة،وفي فترات قصيرة،وأخذ سلطان الموحدين يتداعى في الأندلس منذ ذلك الحين[4].

كشفت موقعة العقاب عن الخلاف والإنقسام السائد بين صفوف الجيش ألموحدي،الذي كان يتكون من جماعات غير متجانسة،وان كانت هذه الجماعات نفسها التي تكون منها الجيش في معركة الأرك إلا أن هناك أسباب أدت إلى ظهور تلك الخلافات[5]يقول المراكشي:«**واكبر أسباب هذه الهزيمة اختلاف قلوب الموحدين،وذلك أنهم كانوا على عهد أبي يوسف يعقوب يأخذون العطاء في كل أربعة أشهر،لكن الناصر أبطأ العطاء،فنسبوا ذلك إلى الوزراء ،وخرجوا وهم كارهون** »،ويضيف: «**أن جماعة منهم لم يسلوا سيفا،ولا شرعوا رمحا،ولا أخذوا في شيء من أهبة القتال**»[6].

إعدام قائد قلعة رباح ابن قادس[7] دون أن يسمع الخليفة منه،فقط بناءا على رغبة وزيره الذي كان غاشا به،هذا أدى إلى إثارة الحقد والكره في نفوس الأندلسيين اتجاه الخليفة والوزير[8].

---

[1]-عبد الرحمان ابن خلدون:المصدر السابق، ج6،ص:336.

[2]-عمر راكة:المرجع السابق،ص:108.

[3]-مدينة بالأندلس معدودة في كوره جيان.ياقوت الحموي:المصدر السابق،مج1،ص:518.

[4]-معمر الهادي القرقوطي:المرجع السابق،ص ص:236-237.

[5]-معمر الهادي القرقوطي ،ص:237.

[6]-عبد الواحد المراكشي:المصدر السابق،ص:236.

[7]-عبد الرحمن ابن خلدون:المصدر السابق، ج6،ص:335.

[8]-هشام أبو رميلة:المرجع السابق،ص:296.عمر راكة:المرجع السابق،ص:109.

قيام الخليفة بنكب بعض أشياخ الموحدين بتحريض من ابن مثنى صاحب الأعمال المخزنية،فغضب أشياخ الموحدين على الخليفة،ولم يخلصوا أثناء القتال،وإنما وجدوا هذه الهزيمة الشفاء والعزاء حتى أنهم جعلوا الهزيمة في العقاب بسبب ابن مثنى[1].

وعلى أي حال كانت هزيمة العقاب ضربة شديدة للدولة الموحدية،فقد شجعت بنو حفص على الاستقلال بافريقية،كما جعلت الدولة الموحدية عاجزة عن توجيه حملاتها إلى الأندلس[2].

[1]-هشام أبو رميلة:المرجع السابق،ص ص:296-297.

[2]-معمر الهادي القرقوطي،المرجع السابق،ص:237.

## المبحث الثاني :صراع الدولة المرينية[1] مع الممالك المسيحية.

بعد أن قامت دولة بني مرين سنة(668ه/1269م)على أنقاض دولة الموحدين،نظرت إلى الأندلس بأعين مليئة بالتوقد،ورغبة لخدمة الإسلام،والمحافظة عليه من المحاولات التي كان يتعرض لها من جانب الممالك النصرانية الإسبانية[2]،تلبية لنداء الدين والواجب الإسلامي الذي كان يفرض على بني مرين،أن يكونوا عند حسن ظن إخوانهم بهم،وأن يمدوا لهم يد العون[3].

والجدير بالذكر أنه كان من نتائج هزيمة المسلمين في معركة العقاب ،توغل النصارى في بلاد الأندلس حتى اقتربوا من الجنوب الذي يتاخم العدوة المغربية،واعتبرت هذه الهزيمة الضربة القاضية لدولة الموحدين،فكان على بني مرين أن يدركوا مدى الخطر الذي يداهمهم،وأن يدركوا أن التعاون مع بني نصر[4] الذين يمثلون حاجزا جغرافيا بينهم،وبين النصارى إنما هو ضروري لهم،ولإخوانهم في الأندلس[5]

وفي المقابل لم يكن في صالح بني نصر أن يكونوا في معزل عن إخوانهم في العدوة المغربية وهذا ما أدركه مؤسسها محمد بن يوسف بن نصر،الذي أوصى في أخر أيامه ولي عهده بضرورة التحالف مع بني مرين،كلما لاح خطر النصارى،وتنفيذا لتلك الوصية فقد بعث السلطان

---

[1]-هم فخذ من قبيلة زناته البربرية،وهم فرع من البربر البتر،أسسوا دولتهم في بلاد المغرب الأقصى سنة 668ه/1269م.أبي زرع الفاسي:المصدر السابق،ص:278·أبي زرع الفاسي:الذخيرة السنية في محاسن الدولة المرينية ،دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ، 1392ه/1972م،ص:14. عيسى الحريري:تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني ،دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة ، ط2،1408ه/1987م ص:35.

[2]-عيسى الحريري:المرجع السابق،ص:28.

[3]-عبد القهار عواجي:علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية،رسالة دكتوراه،جامعة أم القرى،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،ص:63.

[4]-أصلهم من أرجونه من حصون قرطبة،ينتسبون إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج،وكان كبيرهم لأخر دولة الموحدين محمد بن يوسف بن نصر مؤسس مملكة غرناطة سنة 635ه/1238م.المقري،المصدر السابق ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،ص:447.

[5]-عبد القهار عواجي ،المرجع السابق،ص:64.

محمد الثاني –الفقيه-(671هـ-701هـ/1273م-1302م)،برسالة إلى السلطان المريني "أبي يوسف يعقوب" (668هـ-685 هـ/1269م-1286م) يدعوه للمشاركة في الجهاد.[1]

وقد لبى بنو مرين دعوة إخوانهم لهم إلى الجهاد،وفي ذلك يقول "أبي زرع الفاسي":«**فلبى أمير المسلمين دعوته،وبادر إلى إجابته ونصرته،وخرج من مدينة فاس برسم الجواز**»[2]،إذ وصلت السلطان الغرناطي محمد الثاني،رسالة جوابية من السلطان المريني أبي يوسف يعقوب،تضمنت رغبة بني مرين الأكيدة في التضامن الإسلامي مع مملكة غرناطة[3].

وكانت دولة بني مرين في ذلك الوقت في قمة قوتها العسكرية،والسياسية،ففي سنة(672هـ/ 1273م) كان السلطان المريني" أبو يوسف يعقوب" قد عقد صلحا مع بني زيان، وخضعت لسلطته مدينة سبته، بالإضافة إلى ميناء طنجة ،تحكمت الدولة المرينية في الضفة الغربية للمضيق،وعلى صعيد مملكة غرناطة فإن "محمد الفقيه" على خبرة ودراية بشؤون الحكم،إذ باشر الوزارة في عهد أبيه،وكان على علم تام بالثائرين عليه من بني أشقيلولة،وأطماعهم[4]،كما أبدى استعداده للتنازل عن مدينتي رندة[5] وطريف لبني مرين،لتكون بمثابة قواعد عسكرية ثابتة تنطلق منها للجهاد لنجدة مسلمي الأندلس[6].

**أولا :دور بني مرين في تدعيم الجبهة الإسلامية في الأندلس:**

أرسل السلطان المريني استجابة لنجدة سلطان بني نصر به،ابنه أبا زيان على رأس جيش يقدر بخمسة ألاف مقاتل ،من أجل محاربة النصارى في الأندلس،فعبر البحر ونزل بثغر طريف في

---

[3]-المقري:المصدر السابق،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،ج1،ص:449.عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين، ص:98.عيسى الحريري:المرجع السابق،ص ص:37-42.

[2]-أبي زرع الفاسي:المصدر السابق،الأنيس المطرب بروض القرطاس ،ص:313.

[3]-عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص:98.

[4]-عبد القهار عواجي:المرجع السابق،ص:65.

[5]-معقل حصين بالأندلس بين اشبيلية ومالقة.ياقوت الحموي:المصدر السابق،مج3،ص:73.

[6]-السلاوي:المرجع السابق،ص:40.عبد الله عنان،عصر الموحدين،ص:99.

شهر ذي الحجة سنة (673هـ/1275م)،ونفذ إلى أرض النصارى،وأجلب على ثغورها،وبسائطها وامتلأت أيديهم من المغانم وأثخنوا بالقتل والأسر ،وتخريب العمران،ونسف الآثار حتى بساحة شريش[1] ،فخافت حاميتها وأبت اللقاء،وتحصنت بالأسوار،وقفل الأمير أبو زيان إلى الجزيرة الخضراء مثقلا بالسبي والغنائم[2].

ولما إتصل الخبر بالسلطان المريني إعتزم على العبور بنفسه،فعبر من قصر المجاز إلى الأندلس في صفر من سنة (674هـ/يوليو1275م)،في جيش كثيف[3] يقول "ابن أبي زرع الفاسي":«**فاخذ في تجهيز الجيوش والخيل ،والسلاح والعدد وتجويزهم إلى الأندلس،وتجويز المجاهدين،فكان يجوز كل يوم قبيلة من بني مرين،وطائفة من المجاهدين،فكان الناس يجوزون أفواجا،أفواجا وقبيلا،قبيلا وأفرد أجفانا(سفن)لجواز المتطوعين،فلما كمل الناس من الجواز،واستقروا بسواحل الأندلس وانتشرت محلات المسلمين من طريف إلى الجزيرة الخضراء،جاز أمير المسلمين أخرهم**»[4].

نزل "أبو يوسف يعقوب" بطريف،ولما أتم تنظيم أموره سار باتجاه أستجة لملاقات ملك قشتالة،وفي طريقه أتى على عدة حصون ،فطمس معالمها،واكتسح أموالها،ولما وصل إلى أستجة[5]

وصلته أخبار بقدوم الأمير النصراني دون نيونيودي لارا صهر ملك قشتالة العاشر[6]إلى حربه بجموع من من الروم ،وحشودها في ثلاثين ألف فارس وستين ألف راجل،فدعا أمير المسلمين أشياخ بني مرين،وأمراء العرب وقواد الأندلس والأغزاز،ومن في عسكره من الفقهاء والصلحاء والقبائل،وأشياخهم

[1]-من كور شذونة بالأندلس،وهي على مقربة من البحر.الحميري:المصدر السابق،ص:340.

[2]-عبد الرحمن ابن خلدون:المصدر السابق،ج7،ص ص:253-254. ابن أبي زرع الفاسي:المصدر السابق،ص ص:313-314

[3]-عبد الرحمن ابن خلدون:المصدر السابق،ج7،ص:254.

[4]-أبي زرع الفاسي:المصدر السابق،ص ص:314-315.

[5]-مدينة قديمة بالأندلس،معنى هذا الاسم عندهم:جمعت الفوائد،ولها من الأبواب:باب القنطرة شرقي،باب اشبونة قبلي،وغير ذلك من الأبواب.الحميري:المصدر السابق،ص:53.

[6]-خلف والده فرناندو الثالث على عرش قشتالة في مايو سنة1252م،يلقب بالعالم أو الحكيم لشغفه بالعلوم و الآداب،توفي سنة 1284م.عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص ص:179-180.

المطوعين ليشاورهم كيف يكون العمل في لقاء العدو ،وبعد أن شاورهم،أمرهم بالاستعداد والثبات للقائه[1].

عند وصول النصارى استعد المسلمون لمواجهتهم،والتحم الجيشان مع بعضهما ،يصف أبي زرع الفاسي الموقف فيقول:«**فلا ترى إلا السهام تهوى في الروم،كأنها الشهب الثواقب،وتفعل في أعداء الله فعل العذاب الواصب،والسيوف بالدماء ترعف،ورؤوس الكفرة عن أجسامهم تقطع**[2]» فهزم النصارى[3] وقتل قائدهم "نيودي لارا"،وعدد كبير من أفراد جيشه بلغ ستة ألاف،و أسر سبعة ألاف وثمان مائة وثلاثين رجلا،ومن المسلمين أستشهد ما يناهز الثلاثين شهيدا[4].وفي أواخر شهر رجب عبر "أبو يوسف يعقوب" إلى المغرب[5].

وفي سنة (676هـ/1278م)عبر "أبو يوسف يعقوب" إلى بلاد الأندلس للمرة الثانية،حيث وجه حملته هذه المرة إلى اشبيلية[6]،وقد نجح في إيقاع الهزيمة بجيوش اشبيلية،التي كان يقودها ألفونسو العاشر وقد فرت بقايا هذا الجيش لتتحصن بالمدينة،ورأى "أبو يوسف" ألا يضيع وقتا في حصار المدينة ،فعمد إلى القضاء على كافة الحصون المحيطة بها،وتدمير كل مظاهر العمران من حول إشبيلية ليوهن قوى النصارى،ثم توجه نحو شريش، ففعل بها مافعل باشبيلية،ثم عاد إلى الجزيرة الخضراء،ومن هناك أخذ في ترتيب قواته تمهيدا لغزو قرطبة[7].

---

[1]-أبي زرع الفاسي:المصدر السابق،الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،ص:148.عيسى الحريري:المرجع السابق،ص:45.

[2]-أبي زرع الفاسي:المصدر السابق،الأنيس المطرب بروض القرطاس ،ص ص:317-318.

[3]-المقري:المصدر السابق،ج1،ص:449.

[4]-عبد الرحمن ابن خلدون:المصدر السابق،ص ص:254-255.

[5]-ابراهيم السامرائي:المرجع السابق،ص:296.

[6]-ابن الخطيب:المصدر السابق ،الإحاطة في أخبار غرناطة ،مج1،ص:565.

[7]-عيسى الحريري:المرجع السابق،ص:46.

**أ-غزو قرطبة[1]:**

خرج السلطان المريني إلى غزو قرطبة من الجزيرة الخضراء في جيوشه الموفرة،وذلك في (676هـ/30أكتوبر1277م)،وخرج أيضا الأمير "ابن الأحمر" بجنوده من غرناطة، فالتقى الجمعان بخمار الورد من بلاد شذونة،وجمع الله تعالى كلمة الإسلام،وألف بين قلوب أهله فطابت نفوس المسلمين على القتال وقويت نياتهم فاستعدوا للجهاد[2]،فنزلوا على حصن بني بشير فدخلوه عنوة،وقتل جميع رجاله،وهدم الحصن حتى لم يبقى له أثر،ثم بث السلطان السرايا،والغارات في كل ناحية من بلاد النصارى،حتى وصلوا إلى قرطبة[3].

تفرقت الجيوش الإسلامية في نواحي قرطبة يقتلون،ويأسرون ويخربون حتى دخلوا حصن الزهراء بالسيف،وأقام السلطان في قرطبة ثلاثة أيام حتى هتكها،وخرب قراها وأحرق زروعها،وارتحل عنها إلى بركونه فدخل أرباضها بالسيف وخربها،وارتحل إلى أرجونه[4]،ففعل بها كفعله في بركونه،وبعث الجيوش إلى مدينة جيان ،وبث السرايا في كل وجهة فانتشرت في تلك البلدان،فلما رأى ملك قشتالة ما حل ببلاده طلب الصلح الذي وافق عليه الطرفان المريني والنصري[5].

وكان للحروب التي خاضها السلطان المريني ضد النصارى،تأثير كبير عليها إذ ثبتت أقدام المسلمين وكانت عونا لهم بأن تظهر بلادهم أمام النصارى بمظهر التكافؤ العسكري،وقد أدرك النصارى مدى خطورة بني مرين ودعمهم لإخوانهم الغرناطيين،فأصروا على عزل مملكة غرناطة عن الشريط الساحلي المحاذي لبر العدوة ،ولقد تركزت كبرى المعارك في تلك المواقع[6] .

---

[1]-هي قاعدة الأندلس وأهم مدنها،تقع على سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس،ويؤلف هذا الجبل سلاسل سيرامورينا . عبد العزيز سالم:قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،1997م،ج1،ص:15.

[2]-ابي زرع الفاسي:المصدر السابق،الأنيس المطرب بروض القرطاس ،ص:326.

[3]-السلاوي،المرجع السابق،ج2،ص:47.

[4]-مدينة بالأندلس من ناحية جيان.ياقوت الحموي:المصدر السابق،مج1،ص:144.

[5]-ابي زرع الفاسي:المصدر السابق،ص:327.

[6]-عبد القهار عواجي:المرجع السابق،ص:71.

## ب-فتح جبل طارق[1]:

كان ملوك بني مرين انقطع غزوهم عن الأندلس برهة من الدهر،منذ دولة السلطان "يوسف بن يعقوب"،لاشتغاله في أخر أمره بحصار تلمسان،واشتغال حفدته من بعده بأمر المغرب مع قصر مدتهم فتطاول العدو في الأندلس على المسلمين بسبب هذه الفترة،واشتدت غزواته على ثغورها[2]، ولقد كان لسقوط جبل طارق في أيدي النصارى أعظم نكبة منيت بها الأندلس منذ ضياع قواعدها الكبرى[3].

ولذلك عندما تولى السلطان ألنصري محمد الرابع[4](725هـ-733هـ/1325م-1333م)[5]،الحكم في غرناطة حمل لواء الجهاد وشن غارات مكثفة على النصارى في الأندلس،ونتيجة لذلك اشتدت الحركة الصليبية في عهد الملك القشتالي ألفونسو الحادي عشر،لحرب المسلمين في غرناطة والأندلس،وبدأ يلوح في الأفق مشروع حملة صليبية ،يشترك فيها نصارى قشتالة،و أرغون[6] .

وعلى صعيد غرناطة هدد محمد الرابع بالاستنجاد بإخوته في الإسلام من بني مرين ،للوقوف أمام مشروع الحملة الصليبية،فعبر بنفسه البحر مستصرخا ومستدعيا للجهاد،في الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة(732هـ/1331م)[7]،فاستقبله السلطان "أبو الحسن"(731هـ-752هـ /1331م-1351م) ،وجرى في الاجتماع الذي عقد بينهما استعراض لأوضاع المسلمين المتردية.

---

[1]-هو عند الجزيرة الخضراء،فيه خرج طارق بن زياد،ومنه افتتح الأندلس.الحميري:المصدر السابق،ص:382.

[2]-السلاوي:المرجع السابق،ج3،ص:108.

[3]-عبد الرحمن ابن خلدون:المصدر السابق،ج7،ص:337.عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص:122.

[4]-هو محمد الرابع بن إسماعيل الأول بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد،ولد سنة 715هـ،تولى الحكم بعد مهلك والده أبا الوليد سنة725هـ،توفي سنة733هـ.ابن الخطيب:المصدر السابق،الإحاطة في أخبار غرناطة،ج1،ص ص532-541.ابن الخطيب:اللمحة البدرية في الدولة النصرية،تح:مسعود جبران،ليبيا،دار المدار الإسلامي،ط1،2009م،ص ص:116-122.

[5]-عبده حتاملة: المرجع السابق،ص:577.

[6]-عبد القهار عواجي:المرجع السابق،ص:74.

[7]-ابن الخطيب:المصدر السابق،اللمحة البدرية في الدولة النصرية ،ص:119.

ولتحقيق هدف الجهاد جهز السلطان المريني" أبو الحسن" جيشا،واسند قيادته إلى ابنه أبي مالك ،وزود السلطان ألنصري بالمال والسلاح ،وقفل "محمد الرابع" راجعا إلى بلاده ليقود جيشا اتجه به نحو الجزيرة الخضراء واستولى عليها[1]،في الوقت الذي وصل فيه القائد المريني "أبو مالك" أيضا إلى الجبل[2]،كما أرسل الأمير الغرناطي إلى الأندلسيين للحاق به،فتسايل الناس إليه من كل جهة وزحفوا إلى الجبل،وطوق المسلمون الجبل من البر والبحر،ورابط أسطول المغرب في مياه المضيق ليحول دون وصول الإمداد إلى النصارى[3].

هرع ملك قشتالة "ألفونسو الحادي عشر" في قوة من الفرسان لإنجاد الحامية المحصورة،فبادر "إبن الأحمر" إلى مهاجمة النصارى وهزمهم أمام الجبل،ثم شدد المسلمون الحصار على الثغر وقطعوا كل صلاته من البر والبحر،فلم تمض بضعة أسابيع حتى ساءت حال الحامية النصرانية،واضطرت إلى التسليم قبل مقدم الجيش القشتالي[4]،وبذلك إستعاد المسلمون الثغر المنيع في يوم الثلاثاء،12 من شهر شهر ذي الحجة من سنة(733هـ/1332م)[5]،بعد أن لبث في حوزة النصارى أربعة وعشرون عاما،وكان عاما،وكان أكبر الفضل في استرداده راجع إلى معاونة السلطان المريني من البر والبحر[6].

فتح هذا النصر المجال أمام عبور المجاهدين ،والوافدين من كلا البلدين،مما أدى بملك قشتالة إلى طلب الصلح والمهادنة بين مملكتي غرناطة و قشتالة ،تعهدت فيها بعد الإعتداء على مملكة غرناطة وتعهد سلطان بني نصر بالكف عن مساعدة النبلاء والثوار على مملكة قشتالة[7].

---

[1]-السلاوي:المرجع السابق،ص:122.عبد الرحمن ابن خلدون:المصدر السابق،ج7،ص:338.

[2]-عبد القهار عواجي:المرجع السابق،ص:75.

[3]-عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص:124.

[4]-نفسه:،ص:124.

[5]-عيسى الحريري:المرجع السابق،ص:119.

[6]-عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص:124.

[7]-عبد القهار عواجي:المرجع السابق،ص:75.

**ثانيا :معركة طريف[1] ونتائجها:**

**أ–معركة طريف[2]:**

وفي عهد "يوسف أبا الحجاج بن إسماعيل"(733هـ-755هـ/1333م-1354م)[3]،كثرت غزوات غزوات النصارى لأراضي المسلمين،وكان "ألفونسو الحادي عشر"(712هـ-751هـ/1312م-1350م)[4] تحدوه نحو مملكة غرناطة أطماع عظيمة ،ولما شعر السلطان "يوسف" باشتداد وطأة القشتاليين وضعف وسائله،أرسل يستنجد بالسلطان" أبي الحسن" ،فأرسل الإمداد للمرة الثانية إلى الأندلس مع إبنه أبا مالك،فاخترق سهول الجزيرة الخضراء معلنا الجهاد[5].

وفي الوقت نفسه كان النصارى يستعدون للحرب،فلم تكن قشتالة لوحدها في الميدان،فقد تحالف الملك القشتالي مع ملك البرتغال "ألفونسو الرابع"(1325م-1357م)،وملك أرغون "بطرس الرابع بن ألفونسو السابع بن جيمس الثاني"(1326م-1387م)،بتأييد من البابا "كلمنت السادس" (1342م-1352م)[6]،وكان "أبو مالك" في تلك الأثناء قد زحف إلى أراضي النصارى ،واجتاح سهل بجانه[7] وهنا فاجأه النصارى قبل أن يرتد إلى أراضي المسلمين،ونشبت بين الفريقين معركة دموية هزم فيها المسلمون،وقتل أبو مالك وكان ذلك سنة(740هـ/1339م)[8].

---

[1]–هي مدينة صغيرة،عليها سور تراب،ويشقها نهر صغير ،ومن طريف إلى الخضراء ثمانية عشر ميلا.الحميري:المصدر السابق،ص:392.

[2]–أنظر الملحق رقم:02.

[3]عبده حتاملة:المرجع السابق،ص:579.

[4]–ابراهيم السامرائي وآخرون:المرجع السابق،ص:293.

[5]–عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص:127.

[6]–عبده حتاملة:المرجع السابق،الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة،ص:581.

[7]– مدينة بالأندلس وهي من أعمال كوره ألبيرة .الحميري:المصدر السابق،ص:80.

[8]–عبد الرحمن ابن خلدون:المصدر السابق،ج7،ص:345.السلاوي:المرجع السابق،ج3،ص:134.

وعندئذ عول السلطان المريني "أبا الحسن" على العبور بنفسه إلى الأندلس،ليثأر لتلك الهزيمـة ،فجهز الجيوش والأساطيل الضخمة،وبلغ أسطول المغرب يومئذ مائة وأربعون سفينة منها:عدد كبـير من السفن الحربية،وجاز السلطان المريني البحر ونزل بسهل طريف،ولحق به السلطان ألنصري في قوات الأندلس،وكانت الجيوش النصرانية قد نفذت يومئذ إلى الجزيرة الخضراء،ورابط الأسطول النصراني في مياه المضيق لمنع قدوم الإمدادات ،وضرب النصارى الحصار على ثغر طريف،وتغلبوا على حاميته[1].

إستغل النصارى عامل الوقت فلم يشتبكوا مع المسلمين،إلا بعد مضي ستة أشهر،شحت فيها أقوات المسلمين وأزودتهم،حتى إختلت الأحوال في معسكراتهم،وقبل بدء المعركة إستطاع النصارى أن يسربوا إلى طريف بضعا من قواتهم،فدخلوها ليلا على حين غفلة من الحراس،وقد استطاع الحراس قتل بعضهم ،لكنهم اخفوا الأمر عن السلطان المريني خوفا من بطشه[2].

وفي صباح يوم (30 تشرين الأول 1340م/7 جمادى الأولـى 741هـ )[3]،نشبت بين الفريقين معركة عامة،تولى السلطان المريني قيادة جيشه بنفسه،وتولى "أبا الحجاج" قيادة فرسان الأندلس، تقدمت الجيوش النصرانية لمهاجمة المغاربة فصدت في البداية،واشتبك فرسان الأندلس مع جيش البرتغال[4]، وفجأة خرجت قوات النصارى التي تسربت إلى طريف ،وأخذت تهاجم مؤخرة الجيوش الإسلامية، وتمكنت من الوصول إلى معسكر السلطان المريني ،فأشعلت به النيران،وقتلت حريم السلطان وحاشيته[5].

[1]-السلاوي:المرجع السابق،ج3،ص:136.عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص:127.

[2]-عيسى الحريري:المرجع السابق،ص ص:115-116.

[3]-عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص:543.

[4]-عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص:128.

[5]-عيسى الحريري:المرجع السابق،ص:116.

كان لهذا الكمين اثر في اندثار قوة المسلمين وإلحاق الهزيمة بهم،وعلى إثرها فر السلطان المريني واستطاع أن يعبر المغرب مع فلوله،وارتد السلطان "أبا الحجاج" إلى غرناطة[1]،انتهز ملك قشتالة فرصة ظفره ،وضعف المسلمين فغزا قلعة بني سعيد أو قلعة يحصب من أعمال غرناطة واستولى عليها بعد حصار قصير سنة( 742هـ/1341 م)[2].

وفي هذه الأثناء كان السلطان المريني يحشد قواته من جديد،ولما كملت أهبته أرسل أساطيله إلى مياه المضيق،وبادر الملك القشتالي من جانبه بإرسال أسطوله للقاء المسلمين،ونشبت بين الفريقين معركة بحرية هزم فيها المسلمون ومزق أسطولهم وكان ذلك سنة (743هـ/1342م)[3]،وحاصر النصارى ثغر الجزيرة الخضراء ،وسار السلطان "أبا الحجاج" في جيشه لإنقاذ الثغر المحاصر ولكنه لم يفلح، واضطر المسلمون إلى التسليم،وبذلك أضحى الثغران الجنوبيان-الجزيرة الخضراء وجزيرة طريف- في أيدي النصارى ولم يبقى للمسلمين سوى جبل طارق.[4]

**ب- نتائج معركة طريف:**

تسمى هذه المعركة في المصادر الإسبانية بمعركة سالادو(Batalla Del Salado) ،وسماها لسان الدين بن الخطيب بالوقيعة الكبرى والعظمى،التي إنتهت بهزيمة جيوش المسلمين-بنو الأحمر وبنو مرين-،ضد جيوش الممالك النصرانية المكونة من القشتاليين والبرتغاليين والارغونيين،وأسفرت الهزيمة عن استشهاد عدد كبير من المسلمين[5].

[1]-عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين ،ص:128.

[2]-عبد الرحمن ابن خلدون:المصدر السابق،ج7،ص:347.

[3]-عبده حتاملة:المرجع السابق،ص ص:581-582.

[4]-عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص:129.

[5]-أحمد مختار ألعبادي:دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،د.ط،ص:419.

نجاح النصارى في إبعاد بني مرين نهائيا عن خوض معركة كبرى بهذا المستوى مع النصارى ،وبهذا تشبه هذه المعركة بمعركة العقاب،وبهذا اقتصرت علاقة بني نصر مع بني مرين على العلاقات الدبلوماسية[1].

إستغل ملك قشتالة فرصة الاضطرابات التي حلت بجيوش المسلمين بعد هذه الهزيمة،واستولى على قلعة يحصب،وباغو،ثم الجزيرة الخضراء،كما حاول الاستيلاء على جبل طارق،فجمع قواته وأحاط به من كل جانب ،ولكن وباء الطاعون إنتشر في معسكره ،ولم يلبث هو نفسه أن راح ضحية لهذا الموت الأسود في مارس سنة(751هـ/1350م)[2].

بعد وفاة السلطان "أبا الحسن" سنة(752هـ/1351م)[3]،تدخل الدولة المرينية في دور الانحلال وتنحدر إلى غمر الحرب الأهلية وتشغل بشؤونها الداخلية وتفقد غرناطة بذلك العضد الوحيد الذي كانت تدخره وقت الشدائد[4].

بالرغم من الدور الذي حققه المرينيون في جهادهم ضد الممالك النصرانية في الأندلس ودورهم الكبير في الحفاظ على الوجود الإسلامي بها ولو لفترة من الزمن إلا أنهم لم يحققوا نصرا بارزا وحاسما كما فعل الموحدون في الأرك وذلك راجع على مايبدو إلى الشك الذي كان يراود بني نصر اتجاه بني مرين من جهة وللأوضاع الداخلية التي كانت تمر بها دولة بني مرين وبلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة بعد زوال دولة الموحدين ولذلك نجد بني مرين يعملون على نصرة الأندلسيين في إطار إمكاناتهم العسكرية والاقتصادية [5].

[1]-عبد القهار عواجي:المرجع السابق،ص:78.

[2]-أحمد مختار ألعبادي:المرجع السابق،ص:421.

[3]-عيسى الحريري:المرجع السابق،ص:124.

[4]-عبد الله عنان :المرجع السابق،عصر الموحدين،ص ص:136-137.

[5]-عبد القهار عواجي:المرجع السابق،ص:82.

**المبحث الثالث:صراع الدولة الحفصية و الدولة الزيانية مع الممالك المسيحية.**

تراجعت قوة المسلمين في الأندلس أمام ضغط النصارى ، وخاصة بعد هزيمة الموحدين في موقعة العقاب سنة (609هـ/1211م) ،و بدأ الوجود الإسلامي يتجمع في جنوب الأندلس، وتحديدا منطقة غرناطة، التي عرفت فيما بعد بمملكة غرناطة، والتي كانت تحت زعامة بني الأحمر،وفي الفترة تقريبا قامت "دولة بني حفص" و"بني زيان" ،مكان الموحدين، وظهرت علاقة مابين هذه الإمارات ومملكة غرناطة الأندلسية[1].

إبتدأت العلاقة بين "بني حفص" و "بني الأحمر" عندما إشتد النزاع المسلح بين مملكة غرناطة والممالك النصرانية ،حيث وجه المسلمون أنظارهم إلى عاهل إفريقية "أبي زكريا يحي بن أبي حفص" (625هـ-647هـ/1228م-1249م)، وذلك رغبة في تدخله لمساعدة مسلمي الأندلس لكن الأمير الحفصي لم يستطع تلبية جميع الطلبات المقدمة إليه ،واكتفى بتقديم كمية كبيرة من السلاح والمؤونة عن طريق البحر[2].

أما جذور العلاقة بين بني عبد الواد مؤسسي الدولة الزيانية و الأندلس تعود إلى ماقبل إستلام بني عبد الواد ولاية تلمسان ،وقيام الدولة الزيانية، فقد شاركت قبيلة بني عبد الواد مع الأمير يوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة سنة( 479هـ/1084م) ، واشتركوا أيضا في معركة حصن العقاب سنة (609هـ/1211م)[3].

[1]- عبد الرزاق شقدان:تلمسان في العهد الزياني،رسالة ماجستير ،جامعة النجاح الوطنية،كلية الدراسات العليا ،1422هـ /2002م ، ص:120.

[2]-روبار برنشفيك:تاريخ افريقية في العهد الحفصي،نقله إلى العربية:حمادي الساحلي ،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،ط1،1988 ج1،ص:62.

[3]-عبد الرزاق شقدان:المرجع السابق،ص:120.

## أولا :صراع بني حفص[1] مع النصارى:

كانت هزيمة المسلمين في معركة أنيشة[2]،دليلا على قرب سقوط بلنسية،فأخذ الناس في الإنتقال منها،وفي سنة(635هـ/1238م) هاجم ملك أرغون بلنسية وضرب حولها حصارا قويا وأدرك المسلمون فيها أن لا طاقة لهم بصد المحاصرين،فعزموا على مبايعة سلطان الدولة الحفصية بتونس[3] "أبي زكريا يحي بن أبي حفص" (625هـ-647هـ/1228م-1249م)،حيث أرسل صاحب بلنسية "زيان بن مردنيش" بعثة للمبايعة وطلب الاستغاثة من "أبي زكريا"[4]،فكانت تلك المبايعة التي تمت في 04 محرم من سنة (636هـ/1238م) أولى الاتصالات بين الأندلس وبني حفص[5].

أجابهم "أبو زكريا" وبعث إليهم عدة من السفن المحملة بالعتاد والأموال إنجادا للمدينة المحصورة لكنها لم تستطع اختراق الحصار واضطر البلنسيون أخر الأمر إلى التسليم بعد إن استنفدوا كل وسائل الدفاع وسقطت بلنسية في أيدي الأرجونيين وذلك في صفر سنة (636هـ/1238م) وانهـارت بذلك سائر خطط الدفاع عن شرقي الأندلس ،وبعد أعوام قلائل سقط شرق الأندلس كله في أيدي النصارى[6] .

وفي سنة(740هـ/1339م) تأمرت الممالك النصرانية ،واتحدت و تحالفت فيما بينها ضـد مملكة غرناطة وبني مرين في المغرب،فأدرك أبا الحسن خطورة ذلك وطلب من دولة بني حفص المساهمة

---

[1]-هم من قبائل هنتاته البربرية،وكان لشيخهم أبي حفص دور كبير في نجاح دعوة المهدي بن تومرت.ابن الشماع:الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية،تق وتح:محمد المعموري،الدار العربية للكتاب،1404هـ-1984م،ص ص:48-49.

[2]-معركة وقعت بين المسلمين بقيادة أب جميل زيان بن مردنيش والنصارى بقيادة خايمي الأول ملك الأرغون،وقد هزم المسلمون في هذه المعركة.عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص:36.

[3]-مدينة بافريقية،سميت تونس لان المسلمين لما افتتحوا افريقية ينزلون بإزاء صومعة راهب بترشيش كان هنالك ويأنسون بصومعته فيقولون هذه الصومعة تؤنس ولقبوها هذا الاسم.الحميري:المصدر السابق،ص:143.ابن الشماع:المصدر السابق،ص:37.

[4]-الزركشي:المصدر السابق،ص:27.

[5]-عبد القهار عواجي:المرجع السابق،ص:118.

[6]-عبد الله عنان:المصدر السابق،عصر الموحدين،ص:36.

بقطع من أسطولهم البحري إلى جانب الأسطول المريني ،والنصري[1] ،فلبى الحفصيون طلب "أبي الحسن" المريني ،فأرسلوا له ستة عشر أسطولا بقيادة زيد بن فرحون قائد وبجاية ،وقد ضم هذا الأسطول سفنا من طرابلس وقابس وجربه وتونس وبجاية ،وتوافدت أساطيل المغربين بمرسى سبته تناهز المائة واتخذت من مدينة سبته قاعدة لها ،وقد تولى قيادة الأسطول "محمد بن علي ألعزفي" صاحب سبته[2].

أمر السلطان المريني قائد الحملة أن يتوجه إلى مضيق جبل طارق للانضمام إلى الأسطول ألنصري،حيث يرابط الأسطول النصراني المتحالف،«**وزحفوا إلى أسطول النصارى بعد أن قربوا الأساطيل الإسلامية بعضها من بعض،وقرنوها للمصاف فلم يمض قليل حتى هبت رياح النصر وأظفر الله المسلمين بعدوهم ،وخالطوهم في أساطيلهم واستلحموهم هبرا بالسيوف و طعنا بالرماح ،والقوا أشلائهم في اليم وقتلوا قائدهم واستاقوا أساطيلهم إلى مرسى سبته**»[3]،فكان من أعز أيام الإسلام ،وكان ذلك في 6 شوال(740هـ/1339م)[4] .

وفي عهد سلطان غرناطة "محمد الخامس"[5] ،بعث السلطان الحفصي "أبو إسحاق إبراهيم الثاني" (750هـ-770هـ/1349م-1368)،سفيره إلى مملكة غرناطة مصحوبا بالخيل والرقيق،وقد كان لهذه السفارة الأثر الطيب في نفس سلطان غرناطة الذي استقبل السفير وفي ذلك يقول "ابن الخطيب" ،في رسالة جوابية بعث بها باسم السلطان "الغني بالله" إلى السلطان الحفصي ، «**وحضر**

[1]-السلاوي:المرجع السابق،ج3،ص:135.عيسى الحريري:المرجع السابق،ص:115.

[2]-عبد الرحمن ابن خلدون:المصدر السابق،ج7،ص:346.

[3]-نفسه،ص:346.

[4]-السلاوي:المرجع السابق،ج3،ص:136.

[5]-هو محمد( الخامس )الغني بالله بن يوسف الأول ،تولى الملك بعد مقتل والده سنة755هـ/1354ماما إمارته الثانية فكانت سنة 763هـ/1361م،1392/794م،ولد سنة 739هـ/1338م،ابن الخطيب:المصدر السابق ،الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج2 ،ص ص :31-91.ابن الخطيب:المصدر السابق،اللمحة البدرية في الدولة النصرية ص:138و مايليها.عبده حتاملة:المرجع السابق،الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة،ص:583 ومايليها.

**بين أيدينا رسولكم فقرر من فضلكم مالا ينكره من عرف علو مقداركم وأصالة داركم وقطب مداركك »**[1].

وفي سنة (807هـ/1404م)تحالفت كل من قشتالة و نافار وأرغون مرة أخرى ،وبدأت هاته الممالك الثلاث في رسم مشروع للهجوم على مملكة غرناطة ،وقاد السلطان "محمد السابع" (820هـ-844هـ/1417م-1441م)،الجهاد ضد الممالك النصرانية ،واستمرت هذه الحرب ثلاث سنوات متواصلة (810هـ-813هـ/1407م-1410هـ)،شملت البر والبحر ،بث خلالها "محمد السابع" الفزع والرعب في مملكة قشتالة[2] ،وقد كان يعاصره السلطان محمد في دولة بني حفص السلطان" أبو فارس عبد العزيز" (796هـ-837هـ/1394م-1433م)،فكان "أبو فارس" يزود أهل غرناطة بما تحتاجه من طعام وسلاح ليمكنها من الوقوف بوجه الأعداء ،فكان يرسل بانتظام مدا خيل العشر إلى أبناء ملته في الأندلس الذين كانوا يحاولون صد هجمات النصارى[3].

ويؤكد لنا "ابن الشماع" على الدور الذي لعبه "أبو فارس" في تدعيم غرناطة ،إذ لم يتأخر عن مساعدتها في تلك الظروف العصيبة فيقول: «**من فضائله ما وظف لأهل الأندلس من الطعام وغيره ،يوجه لهم ذلك في كل عام إعانة لهم على عدو الدين ومالهم عليه من ممارستهم مع الكفار**»[4]، «**ومنها ماعينه لأهل الأندلس إعانة لهم على العدو كل عام** »[5].

وبعد وفاة السلطان الحفصي "أبو فارس "خلفه على العرش أبو عبد الله محمد المنتصر (837هـ-893هـ/1434م/1468م)،الذي واصل دعمه لمملكة غرناطة ،فكان يرسل من حين لأخر بعض الإعانات المالية لملوك غرناطة في سبيل الجهاد [6]،وحفظ لنا "ابن الشماع" تفاصيل ذلك:

---

[1]-عبد القهار عواجي:المرجع السابق،ص:122.

[2]-نفسه.

[3]-عبد الجبار عفاف:الحياة السياسية والحضارية للدولة الحفصية في عهد السلطان أبو فارس عبد العزيز،

[4]-ابن الشماع :المصدر السابق،ص:114.

[5]-الزركشي:المصدر السابق،ص:116.

[6]-روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص:291.

«**فوجه ملا جليلا لأهل جزيرة الأندلس تصدق به على المجاهدين**»،ويذكر أيضا: «**ومن مآثره صدقته الجارية في كل عام على أهل جزيرة الأندلس،إعانة لهم على ماهم بصدده من جهاد عــدو الدين ،واتبع في ذلك سبيل آياته الكرام**»[1].

**ثانيا :صراع بني زيان[2] مع النصارى:**

عند قيام مملكة غرناطة في عهد مؤسسها "الغالب بالله" كان يعاصره في دولة بني زيان "يغمراسن بن زيان"[3] الذي حاز الشهرة واستحق الذكر[4] وبالرغم من وصول شهرته إلى الأندلس إلا أنه لم يكن بينه وبين السلطان النصري أي علاقات تعاون وجهاد[5].

ولكن في عهد الأمير النصري "محمد الفقيه"(672هـ-701هـ/1273م-1302م)،فإن العلاقات والتواصل السياسي بين الطرفين قد توطد في عهديهما،واشتد فيما بينهما الإتحاف والمهاداة واستمرت العلاقات الطيبة بين الطرفين في نفس الاتجاه، ومن نفس المنظور إذ كان "سعيد عثمان بن يغمراسن"(639هـ-703هـ/1283م-1304م)،يبعث بكميات كثيرة من الأطعــمة اتجـــاه الأندلــس لمساعدتهم في حروبهم ضد النصارى[6].

وفي فترة حكم "أبي حمو موسى الثاني"(760هـ-791هـ/1359م-1389م)[7]،فقد إرتسمت واتضحت طبيعة العلاقات وطيبتها بين الطرفين إذ كان سخيا يتبرع في كل سنة على أهل الأندلـس

---

[1]-ابن الشماع :المصدر السابق،ص ص:120-126.

[2]-أو بنو عبد ألواد هم فرع من فروع الطبقة الثانية من زناته.ابن الأحمر:تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان،تق وتع وتح:هاني سلامة،بور سعيد،ط1،1421/2001،ص:04.

[3]-هو يغمراسن بن ثابت بن محمد العبد الوادي،أمير المسلمين أبو يحي(603-681هـ/1206م-1283م)،أول من استقل بتلمسان من سلاطين بني عبد ألواد ،بويع يوم مقتل أخيه زيدان بن زيان سنة 633هـ.ابن الأحمر:المصدر السابق ،ص:59.عادل نويهض:معجم أعلام الجزائر،لبنان،مؤسسة نويهض الثقافية،ط2،1980،ص ص:354-355.

[4]-ابن الخطيب:المصدر السابق(اللمحة)،ص:75.

[5]-عبد القهار عواجي:المرجع السابق،111.

[6]- إدريس بن مصطفى:العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول غرب أوروبا،رسالة دكتوراه،تلمسان،قسم التاريخ وعلم الآثار،1435هـ/2014م،ص:300.

[7]-عادل نويهض:المرجع السابق،ص ص:125-126.

بالمال والخيل والزرع إحساسا منه بضرورة الوقوف إلى جانب مسلمي الأندلس في محنتهم ضد النصارى ،واعتبر ذلك بابا من أبواب الجهاد لتحرير أرض الأندلس الإسلامية من وطأة وتسلط النصارى[1].

وفي سنة(763هـ/1361م)،أرسل السلطان "محمد الخامس" سفارة إلى تلمسان[2] برئاسة الفقيه الكاتب" إبراهيم بن الحاج النميري"[3] لكي يطلب من السلطان "أبي حمو موسى الثاني " التضامن مع مع مسلمي الأندلس ،وقد نجحت السفارة في أداء مهمتها ،واستجاب لها السلطان الزياني ، حيث وجه مع السفير لإبراهيم بن الحاج خمسين ألف من الزرع وثلاثة ألاف دينار من الذهب للكراء عليه في البحر[4] .

ولقد توالى الدعم الزياني لمملكة غرناطة مما كان له الأثر في دعم صمود مملكة غرناطة في مواجهتها للتحديات النصرانية، ففي سنة (767هـ/1365م) وجه البابا في روما نداءا إلى أهل ملته لمحاربة الملك بيدرو[5] ملك قشتالة ،الذي كان على علاقة طيبة مع مسلمي الأندلس ،ومن ثم إباحة دماء المسلمين في مملكة غرناطة إرادة إطفاء نور الله ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ،والله متم**

[1]-إدريس بن مصطفى:المرجع السابق،ص:302.

[2]-بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة،هي مدينتين متجاورتين بالمغرب،الحديثة منها بناها المرابطون.ياقوت الحموي:المصدر السابق،مج2،ص:51.

[3]-هو إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن أسد النميري عرف بلقب ابن الحاج ،ولد بغرناطة (713هـ/1313م)،ولي كتابة الإنشاء في الدولة النصرية من مؤلفاته:فيض العباب،إجالة قداح الآداب في الحركة إلى قسنطينة والزاب.يحي ابن خلدون:بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد ألواد،تق وتع وتح:بوزياني الدراجي ،دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع،الجزائر ،2007،ج2،ص ص :244 -245.

[4]-نفسه،ص:245.

[5]-ملك قشتالة الملقب بالقاسي (دون بطره) خلف أباه ألفونس على الملك سنة(751هـ/1350م)وقتل خلال ثورة ضده سنة (770هـ/1368م).يحي بن خلدون:المصدر السابق،335.

**نوره ولو كره الكافرون**﴾[1]،فاستصرخ ملكها السلطان "محمد الخامس" إخوته في الإسلام في مملكة بني زيان ليهبوا لنصرة إخوانهم في الأندلس[2].

لقد كان لهذا النداء صدى عميق في نفوس المسلمين [3] ،وكذا في تحريك الهمة الإسلامية في قلب السلطان "أبو حمو" ،وفي ذلك يقول" ابن خلدون يحي":«**فامتعض خليفة الله أيده الله لدين الإسلام، واستفزته أريحية الشجاعة،وعطفه على غرباء المسلمين بالعدوة ،رحم الملة وحجزه البحر الزاخر عند الوصول إليهم بنفسه فأمدهم في سبيل الله بالأحمال العديدة من الذهب والفضة والخيل المسومة والمراكب المشحونة زرعا**»[4].

ونتيجة لوصول الدعم الإسلامي لمسلمي غرناطة إتفق السلطان "محمد الخامس" ،وأعضاء دولته في سنة(767هـ/1366م)،على البدء في شن الحرب على المواقع الإستراتيجية القشتالية المهددة لمملكة غرناطة ،وأمر بتحصين الثغور إستعدادا لصد هجمات نصارى مملكة قشتالة ،وأرغون اللتين أصبحتا متحدتين في الهدف بعد طرد الملك القشتالي "بيدرو الأول" إستجابة لنداء البابا.[5]

وفي شعبان سنة (767هـ/افريل1366م) استطاع المسلمون الإستيلاء على حصن برغة[6] وباغو[7] وباغو[7] الذين كان القشتاليين يغزون منهما مدينة رندة وأحوازها ،وفي الشهر التالي إستولوا على حصن أشر المنيع الذي يقع عند نقطة الإلتقاء بين حدود المقاطعات، الثلاث:غرناطة ،وقرطبة،

[1]-سورة الصف:الآية:08.

[2]-عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص:144.يحي بن خلدون:المصدر السابق، ص:335.

[3]-أحمد مختار ألعبادي :دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،د.ط،ص:442.

[4]-يحي بن خلدون:المصدر السابق،348.عبد الرزاق شقدان:المرجع السابق ،ص:122.

[5]-عواجي عبد القهار:المرجع السابق،ص:113.

[6]-يقع شرق مدينة رندة بالأندلس.ابن الخطيب:المصدر السابق،الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج2،ص:78.

[7]-مدينة بالأندلس من عمل غرناطة.الحميري:المصدر السابق،ص:122.

وإشبيلية،كذلك إستولوا على حصن السهلة بالقرب من جبل طارق ،وقد لعبت قوات من دولة بني زيان دورا بارزا في احتلال هذا الحصن الأخير[1].

وفي سنة (768هـ/1366م)،هاجم الجيش الغرناطي بقيادة السلطان محمد الخامس أطريرة [2] وحاصرها الجيش الغرناطي والتحموا مع النصارى في معركة ضاربة هزم فيها النصارى والتجأوا إلى قصبتها المنيعة[3] وبلغ عدد الأسرى النصارى خمسة ألاف أسير[4]،وفي الثالث والعشرين من ذي الحجة الحجة من نفس العام،عقد "محمد الخامس" العزم على تحرير الجزيرة الخضراء[5]،وطرد النصارى منها ودخلها المسلمون بقيادته ولم يلبث أن أمر بتدميرها خوفا من عودة النصارى إليها[6]،وشن الجيش الغرناطي بقيادته عدة حملات على مملكة قشتالة كان من أهمها الإستيلاء على مدينة قرمونة[7].

وكان وراء هذه الإنتصارات الدعم الزياني الذي قدم لمسلمي الأندلس و لا سيما في فتح الجزيرة الخضراء والتي كان لبني زيان اليد الطولى فيها ممثلين في سلطانهم أبي حمو موسى،ولم يقتصر دور بني زيان على الدعم المادي فقط وإنما هناك بعض القبائل التي كانت تقيم في الإقليم الذي يقع بين أراضي عبد ألواد وبني مرين والذين كانوا تحت قيادة محمد بن عبد القوي ،نافسوا بني مرين في الجهاد ونصرة مملكة غرناطة[8]

[1]-يحي ابن خلدون: المصدر السابق،ص:353.ابن الخطيب:المصدر السابق،الإحاطة في أخبار غرناطة،ج2،ص ص:80-81.احمدمختار ألعبادي:المرجع السابق،ص:443.

[2]-بالإسبانيةutreraهي مدينة صغيرة تقع جنوب شرقي إشبيلية وشرقي نهر الوادي الكبير.ابن الخطيب:المصدر السابق،الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج2،ص:82.

[3]-ابن الخطيب :المصدر السابق،الإحاطة في أخبار غرناطة،ج2،ص:83.

[4]-عبد القهار عواجي:المرجع السابق،ص:114.

[5]-ابن الخطيب:المصدر السابق،الإحاطة في أخبار غرناطة،ج2،ص ص:88-90.

[6]-عبده حتاملة:المرجع السابق،ص:589.

[7]-عبد الله عنان:المرجع السابق،عصر الموحدين،ص:149.عبد القهار عواجي:المرجع السابق،ص:114.

[8]-نفسه،ص:115.

إنحصر دور بني زيان في الوقوف إلى جانب مسلمي الأندلس في صراعهم مع النصارى في مجمله على الجانب المادي، وهذا راجع إلى عدة أسباب منها:

صراعهم مع جيرانهم المرينيين والحفصيين هو الذي أرهق قواهم الإقتصادية والعسكرية[1] وجعل دورهم الجهادي في بلاد الأندلس ينحصر ،ولا يتعدى الإمدادات المالية،والمواد الغذائية دون الإمدادات العسكرية من الرجال والسلاح ،فكانوا يخشون على أنفسهم الجهاد، والمشاركة في جهاد أهل الأندلس تاركين بلادهم التي يطمع فيها الجيران[2] ،فكانت تسمح فقط للأفراد بالخروج ليس على على شكل جيوش منظمة بل على شكل جماعات بدافع الجهاد في سبيل الله [3].

كما يمكن أن يكون بعد المسافة عاملا من عوامل الحيلولة دون إرسال تلك الإمدادات العسكرية أو قوات عسكرية إذا ما قارناها بنظيرتها المرينية التي لايفصلها عنها سوى جبل طارق (ثلاثة عشر كيلو متر )[4]

إضافة إلى أن دولة بني زيان لم تكن بحرية في الكثير من فترات تاريخها وخاصة في فترة الحصار المريني الذي انحصرت فيه حدودها داخل أسوار مدينة تلمسان أو الفترات التي أصبحت تابعة لإحدى الجارتين ،ولم يكن لها الأسطول الذي يعتد به ويملك القدرة على الاشتراك في قتال بحري أو نقل إمدادات وقوات بحرية أو متطوعين فكانت الظروف المحيطة أقوى من تفكير الدولة في الاشتراك في الجهاد[5].

[1]-نصر الله سعدون: المرجع السابق،ص:339.

[2]-إدريس بن مصطفي:المرجع السابق،ص:298.

[3]-عبد الرزاق:المرجع السابق،ص:123.

[4]-إدريس بن مصطفى:المرجع السابق،ص:298.

[5]-نصر الله سعدون:المرجع السابق،ص ص:340-341.إدريس بن مصطفى:المرجع السابق،298.

# الفصل الثاني:

## إسهامات علماء المغرب الإسلامي في الدفاع عن الأندلس.

### المبحث الأول: دور العلماء في الحض على الجهاد.

### المبحث الثاني: مشاركة العلماء في الجهاد الحربي ضد النصارى.

حمل العلماء من الفقهاء والأدباء والشعراء وهم من الطبقة المثقفة في المجتمع الإسلامي على عواتقهم عبء الدعوة إلى الجهاد ومقاومة المسيحيين ،وتوحيد الجهود الإسلامية لمقاومة العدوان المسيحي الذي جاء ليقضي على المسلمين ويحتل ديارهم ، ومن هذا المنطلق بدأ العلماء مهمة التحريض على الجهاد والمقاومة وبث دعوة الجهاد عن طريق الأليف والفتاوى والدروس التحريضية ، وكذا الخطب الرسائل والأشعار ، كما وجد لهم نشاط أخر في ميدان الجهاد الحربي عن طريق المشاركة الفعلية وإنفاق الأموال في سبل متفرقة.

**المبحث الأول:دور العلماء في الحض على الجهاد.**

ولرصد ما قام به العلماء لمواجهة العدوان النصراني من القرن(6ه/9م) إلى القرن (9ه/15م) نخرج بجملة متنوعة من الأساليب والمناشط ، منها :إصدار فتاوى تكشف للمسلمين وجوب جهاد العدو والدفاع عن الدين الإسلامي ،وتصنيف كتب تتعلق بالجهاد في الإسلام والدفاع عن العقيدة الإسلامية ، وكذا تخصيص الدروس والخطب بهدف توعية المسلمين بخطر العدوان المسيحي على الدين والوطن ،و عرضهم شعرا لأحداث الأندلس من إنتصارات وهزائم بهدف التحفيز على التضحية في سبيل الوقوف في وجه العدو.

**أولا :من خلال التأليف والفتاوى والدروس:**

**أ–التأليف:**

تعتبر التآليف والكتب من أهم عناصر الدعاية ،وتقوية الجانب الروحي ،وتهيئة الفرد للجهاد فهي تكشف عن ضرورة الإستعداد والقتال واليقظة وحماية الدين والدفاع عنه[1]،وكان أدرى الناس بذلك هم العلماء والفقهاء يدركون ذلك فسعوا لربط الناس بهذا الجهاد المقدس [2]،لأنه مصدر بقائها[3].

[1]–خميسي بولعراس:فن الحرب بالغرب الإسلامي من خلال عصري المرابطين والموحدين،رسالة دكتوراه ،جامعة الحاج لخضر، باتنة قسم التاريخ وعلم الآثار،1434 هـ-1435/2013-2014م،ص:11.

[2]–حسين العبدلي:الصراع العقائدي في الأندلس ،مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع،السعودية ،ط1،1429،ص:558.

[3]–خميس بولعراس:المرجع السابق،ص:11.

ومما يحسب في عداد مجهودات علماء المغرب الإسلامي لمواجهة العدوان النصراني،وتقوية العزائم لدفعه،تصنيف كتب تتعلق بالجهاد في الإسلام وما يتعلق به من أحكام[1] ،ككتاب الفقيه أبي عبد الله المعروف "**بابن المناصف**" [2]،الذي سماه **الإنجاد في أبواب الجهاد** والذي ألفه باقتراح من أمير بلنسية "**أبا عبد الله محمد بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن ألموحدي**" ،الذي ولي الإمارة سنة (607هـ/1210م) من قبل الخليفة ألموحدي محمد الناصر ،وهذا العمل من دأب الخلفاء الموحدين الذين يعملون على بث روح الجهاد في نفوس الناس ،وهذا ماترجمه ابن المناصف في كتابه الذي ألف سنة(608هـ/1211م)،ولهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة فهو مرجعا مهما لقانون الجهاد وآدابه.[3]

ومنهم "**أبو يعقوب يوسف ألموحدي**" ،فله براعة في العلوم الشرعية إذ ألف كتاب سماه: "**الجهاد**" ألحقه بكتاب **إبن تومرت "أعز مايطلب"**[4]،وممن أسهم في باب التحريض على الجـهاد والقتال "**أبو المطرف المخزومي**"[5] ،بكتاب في كائنة ميورقة لما أخذها الروم،حيث نحى فيه منحى العماد الأصفهاني في "**الفتح القدسي**"،وهذا الكتاب يصف الحوادث التي اقترنت بفتح بيت المقدس على يد الملك الناصر صلاح الدين سنة( 582هـ/1186م)،وكأنه بهذا يعيد الحماسة في نفـوس المسلـمين والمجاهدين ،حتى يهبوا للقتال كفعل إخوانهم في المشرق[6].

---

[1]-أبا الخيل:جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى ،دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع،السعودية ،1998،ص:154.

[2]-هو موسى بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن المناصف كان فقيها جليلا أديبا ولد بإفريقية سنة 563هـ له عدة مؤلفات منها المذهب في الحلى والشيات والدرة السنية في المعالم السنية توفي بمراكش سنة 620هـ.إبن الأبار :التكملة لكتاب الصلة،تح:عبد السلام الهراس ،دار الفكر،لبنان ،1995،ج2،ص:120.ابن سعيد المغربي:المغرب في حلى المغرب ،تح وتع:شوقي ضيف ،دار المعارف،القاهرة ،ط4،ج1،ص:105.أحمد بابا التنبكتي:نيل الإبتهاج بتطريز الديباج،تق:عبد الحميد ، ،كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ،ط1،1989،ج1،ص:379.

[3]-خميسي بولعراس:المرجع السابق،ص:12.

[4]-حسين العبدلي:المرجع السابق،ص:541.

[5]-هو أحمد بن عبد الله إبن عميرة المخزومي،قدوة البلغاء وعمدة العلماء،ولد سنة 580هـ،له عدة مصنفات منها:التبيان في علم البيان ،التنبيهات على مافي البيان من التمويهات،توفي بتونس سنة 658هـ.إبن الخطيب:المصدر السابق الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج1، ص : 173،المقري:المصدر السابق،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج1)،ص ص:314-315.عبد الملك المراكشي:الذيل والتكملة،تح:محمد بن شريفة، دار الثقافة،لبنان، ق1،س1،ص:176.

[6]-المقري:المصدر السابق،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج1،ص:314.عبد الملك المراكشي:المصدر السابق،ص:176.

ومنهم "**لسان الدين ابن الخطيب**"[1]،له رسائل في الحض على الجهاد وركوب الجياد مابين منثور ومنظوم جمعها في كتابه:**الإحاطة في أخبار غرناطة**،استقاها جمعا وتعليقا[2] "**العلامة المقري**"[3] في كتابه:**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** ،وممن كتب في هذا المجال أيضا نذكر "**الفقيه النفزاوي القيرواني**"[4] الذي ألف كتابا في هذا الباب داعيا إلى الجهاد سماه **إنجاد الأنجاد في فضل الجهاد**.

وفي الغرض ذاته نذكر صاحب كتاب "**شرح حدود ابن عرفة**" الفقـيه التلمساني "**ابن الرصاع**"[5]،والكتاب عبارة عن مقاربة لواقع المغرب الإسلامي ،فهو عندما يتحدث عن الجهاد يشعر بوجود حروب تحكمت في مصير المسلمين في ذلك الوقت [6]«**الجهاد قتال مسلم كافر غير**

---

[1]-هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني قرطبي الأصل ،يكنى أبا عبد الله ويلقب بعدة ألقاب منها لسان الدين الوزير الشهير،ولد سنة 710هـ بلوشة ،اشتغل في عدة مناصب :كديوان الإنشاء والوزارة والسفارة،توفي سنة776هـ. المقري:أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،تح وتع:مصطفى السقا وآخرون ،مطبعة لجنة التأليف،القاهرة ،1939،ج1،ص :186 وما يليها.احمد بابا التنبكتي:المصدر السابق،445.

[2]-ابا الخيل:المرجع السابق،ص ص:159-175.

[3]-هو محمد بن احمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمن القرشي الشهير بالمقري ولد بتلمسان في أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن له عدة مؤلفات منها:الحقايق والرقايق إقامة المريد ورحلة المتبتل،توفي بفاس سنة 759هـ.ابن الخطيب:المصدر السابق الإحاطة في أخبار غرناطة،ج2،ص ص:203-226.

[4]-عبد الله بن احمد بن قاسم بن مناد النفزاوي القيرواني الفقيه القيرواني الفقيه المالكي المغربي ،ولد نحو 785هـ ،له عدة مؤلفات= =منها:أنوار الفكر في أسرار الذكر.عبد الرحمن السخاوي:الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،دار الجيل،لبنان ،ج5،ص:10.محمد محفوظ:تراجم المؤلفين التونسيين ،دار الغرب الإسلامي،لبنان ،ط1،1406/1986م،ص:38.

[5]-أبو عبد الله محمد بن قاسم المعروف بابن الرصاع،ولد بتلمسان سنة 819هـ،ونشأ بتونس،ولي قضاء المحلة ثم الأنكحة ثم الجماعة ثم صرف نفسه في كائنة المريني واقتصر على إمامة جامع الزيتونة ،له مؤلفات منها:الأجوبة التونسية عن الأسئلة الغرناطية، شرح البخاري وغيرها،توفي سنة 894هـ/1033م بتونس.أحمد بابا التنبكتي:المصدر السابق،نيل الإبتهاج ،ص:560.إبن مريم :البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،مرا:ابن أبي شنب ،المطبعة الثعالبية،الجزائر،1908م،ص:894.الرصاع:شرح حدود ابن عرفة،تح: أبو الأجفان والطاهر المعموري ،دار الغرب الإسلامي،لبنان ،ط1،1993،ق1،ص ص:14-30.

[6]-سليمان ولد خسال:جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي،شهادة دكتوراه ،جامعة الجزائر،كلية العلوم الإسلامية،ص:364

**ذي عهد لإعلاء كلمة الله،أو حضوره،أو دخول أرضه له**»،ويعرف الرباط الذي يحمل معاني الدفاع عن ثغور المسلمين ،فيقول:«**الرباط المقام حيث يخشى العدو بأرض الإسلام لدفعه**»[1].

إن دفع المعتدين على الإسلام والمسلمين من النصارى وغيرهم ،لا ينحصر على الجهاد بالسيف والسنان ،وإنما يشمل أيضا جهادهم بالحجة والبرهان واللسان[2]،وقد تدعو الحالة أحيانا إلى الجمع بين النوعين ،وقد ينفع أحدهما حيث لا ينفع الأخر ،فإذا قدح الكفار في الإسلام ،وطعنوا في آياته وشرائعه وجب جهادهم بالعلم والبيان دون السيف والسنان فالاعتداء على الدين أضر من الإعتداء على الأنفس و الأموال[3] .

ولقد أدرك العلماء خطر هذه الحملات النصرانية على بلادهم ،ووعوا مسؤوليتهم في درئها وتحصين المسلمين من أثارها[4] ،ومن بين من ساهموا في ذلك "**القاضي عياض**"[5] في كتابه **الشفاء** حيث تحدث فيه عن معجزات المصطفى،وخصائصه،وكراماته،ليسهم في التصدي لتيار فكري منحرف حمل في طياته جرأة على مقام النبي صلى الله عليه وسلم ،وغير مستبعد أن يكون للنصارى أثر في تغلغل ذلك التيار بين المسلمين في ذلك العصر[6].

أما من العلماء الذين جندوا أنفسهم للتصدي للحملات الفكرية النصرانية ،فكانوا يترصدون لما يذيعه النصارى من أفكار ضالة بين المسلمين ويتعقبون مايثيرونه من شبهات حول الدين

---

[1]-الرصاع:المصدر السابق،ص-ص:220-223.

[2]-بن ناصر السعدي:جهاد الأعداء ووجوب التعاون بين المسلمين ،دار ابن قيم للنشر والتوزيع،السعودية،1411هـ/1991م ،ص: 09.

[3]-أبا الخيل:المرجع السابق،ص:389.

[4]-نفسه.

[5]-هو أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي ألسبتي،ولد بسبته سنة 476هـ،ولي قضاء سبته ثم قضاء غرناطة، له عدة = =مؤلفات منها:ترتيب المدارك وتقريب المسالك وغيرها،توفي بمراكش سنة 544هـ.القاضي عياض:الإعلام بحدود وقواعد الإسلام، تح وتع: صديق النشاوي،مرا:عبد المنعم، دار الفضيلة للنشر والتوزيع،القاهرة ،ص ص:17-20.ابن العماد:شذرات الذهب في أخبار من ذهب،اشرف على تحقيقه:عبد القادر الأرناؤوط،تح وتع:محمود الأرناؤوط، دار إبن كثير،لبنان ،ط1،1406هـ /1986م ، مج6،ص:226.

[6]-أبا الخيل:المرجع السابق،389.

الإسلامي ،ونبيه صلى الله عليه وسلم،ثم يقومون بالرد عليها بالمناظرة الشفهية مرة،وبالمناظرة الكتابية مرة أخرى[1].

ومن هؤلاء نذكر "**الفقيه التونسي محمد القيسي**"[2]،الذي كان يضطر في أسره بكتلونية -إقليم من الشمال الشرقي لإسبانيا- إلى مجادلة القسيسين والرهبان،لأنهم كانوا يتخذون منه نموذجا للتدرب على الجدال الديني[3]،وقد بلور محمد القيسي في مقدمة كتابه "**مفتاح الدين والمجادلة بين النصارى والمسلمين والعلماء الراشدين**"،ملخص الدعوة التي سيعمل على الدفاع عنها في القسم الأول والأخير منه ولقد رامت هذه الدعوة الدفاع عن أطروحة مركزية تستقطب جوهر المناظرة الإسلامية النصرانية ،وهي لإثبات نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بوصفه رسولا جاء بالدين الحق والوحيد من بعـد ما بشرت به جميع الكتب المنزلة [4].

لقد كانت هذه التآليف تعريفا بما قام به العلماء من مجهودات وما أنفقوه من أوقات في سبيل تحشيد طاقات جماعة المسلمين في بلاد المغرب الإسلامي، لجهاد النصارى والتصدي لزحفهم المتنامي،وانتهاكاتهم الوحشية وغاراتهم المسعورة على الأراضي الأندلسية،وكذا تذكير الناس بواجب النهوض به (الجهاد)،ومخاطر القعود عنه وما أعده الله سبحانه وتعالى للقائمين به من جزيل الثواب وعظيم التكريم،وهذه الأغراض السامية هي التي ينشدها عادة علماء المسلمين في التأليف عن الجهاد وبخاصة في العصور التي يتكالب فيها الأعداء على المسلمين[5].

---

[1]-أبا الخيل:المرجع السابق،ص:389.

[2]-تونسي الأصل ،ولقد عاش مدة من حياته في الأسر لدى النصارى بشمال الأندلس،توفي خلال القرن الرابع عشر ميلادي. عبد الواحد ألعسري:قواعد المناظرة وأخلاقياتها من خلال مجادلة محمد القيسي ومحمد الأنصاري للنصارى بالأندلس،مجلة التاريخ العربي،عدد،15،ص:185.

[3]-فريدة بنعزوز:الأسر في رحلة مغربية موريسكية لمجهول من القرن الهجري التاسع ،جامعة عبد الملك السعدي،تطوان ،مقالة، 2009م،ص:15.

[4]-عبد الواحد ألعسري:المرجع السابق،ص:187.

[5]-أبا الخيل:المرجع السابق،ص-ص:159-175.

**ب–من خلال الفتاوى:**

وغير خاف أثر فتاوى العلماء في المجتمع الإسلامي،ولا سيما إذا صدرت من كبار علماء العصر،إذ يتلقفها الصغير والكبير،و يأخذ بها العالم والجاهل ويتبلغها القاصي والداني،وللعلماء في هذا المجال جهد لا ينكر في الإفتاء بفرضية الجهاد أو جوازه أو استحبابه أو قتال من صد عن سبيل الله[1].

سئل "**إبن رشد**"[2] عمن لم يحج من أهل الأندلس في هذا الوقت؟،هل الحج أفضل له أو الجهاد؟ وكيف إذا حج الفريضة؟[3]،فأجاب فرض الحج ساقط في زماننا هذا عن الأندلس لعدم الإستطاعة وهي القدرة على الوصول مع الأمن على النفس والمال،وإذا سقط الفرض صار نفلا مكروها للضرر،فبان أن الجهاد الذي لا تحصى فضائله أفضل وهو أبين من أن يسأل عنه[4].

وموضع السؤال فيمن حج الفريضة والسبيل مأمونة؟،هل الحج أفضل أو الجهاد؟،و أختار الجهاد لما ورد فيه من الفضل العظيم،و أما من لم يحج وسبيله مأمونة،فيتخرج على الفور أو على التراخي وهذا ما لم يتعين فرض الجهاد،فإن تعين فهو أفضل من حجة الفريضة قولا واحدا[5].

أما غير أهل الأندلس كالعدوتين،فإن خافوا على أنفسهم و أموالهم فهم كالأولين،و إن لم يخافوا فالجهاد عندي لهم أفضل من تعجيل الحج،إذ هو على التراخي على الصحيح مما تدل عليه مسائل المذهب ،وهذا في غير من يقوم بفرض الجهاد[6]،و أما من قام بفرضه من أجناد المسلمين

---

[1]–حسين العبدلي:المرجع السابق،558.

[2]–هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المالكي (الجد)،ولد بقرطبة عام 450هـ/1048م،تولى القضاء بقرطبة،له عدة مصنفات منها:البيان والتحصيل،توفي سنة 520هـ.إبن رشد الجد:البيان والتحصيل،تح:محمد حجي ،دار الغرب الإسلامي،لبنان ،ط2، 1988،ج1،ص:11 ومايليها.إبن العماد:المصدر السابق،ج6،ص:102.محمد مخلوف:شجرة النور الزكية ،المطبعة السلفية ،القاهرة ،1349هـ،ج1،ص:129.

[3]–البرزلي:فتاوى البرزلي،تق وتح:محمد الحبيب الهيلة ،دار الغرب الإسلامي،لبنان ،ط1،2002م،ج1،ص:584.

[4]–أبي العباس الونشريسي:المعيار المعرب والجامع المغرب،إشراف:عبد الرحمن الحجي ،نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،الرباط 1981،ج1،ص:432.

[5]–إبن رشد الجد:فتاوى بن رشد،تق وتح:بن الطاهر التليلي ،دار الغرب الإسلامي،لبنان ،ط1،1987،س1،ص:1024.

[6]–ابي العباس الونشريسي:المصدر السابق،ج1،ص ص:432-433.

فالجهاد واجب عليهم إذ لا يجب تعجيل الحج عليهم إلا من بلغ المعترك،وهو أن يغلب على ظن المكلف القوات بتأخيره،وقد حده قوله عليه الصلاة والسلام«**معترك أمتي ما بين الستين إلى السبعين**»[1].

**ج –الدروس التحريضية:**

ومما يندرج في مناشط العلماء للوقوف في وجه النصارى في تلك الفترة تخصيص دروس في المسجد للتحريض على الجهاد[2]،فهذا "**إبن رشد الحفيد**"[3] يحكي عنه أحد تلاميذه فيقول:«سمعت كلامه بالمسجد الجامع من قرطبة ،وهو يحض الناس على الجهاد ،والغزو في سبيل الله ويورد ما جاء في فضله في كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم بلسان طلق وإيراد مستحسن،قال:وخرجنا معه يوم ورود الخبر بهزيمة الروم على حصن الأركة،فلما اجتمعنا مع الواصلين به ،وشاهدنا عندهم علامات ألعداه منكوسة،سجد القاضي شكرا وسجدنا[4].

ومن ذلك نذكر ما قام به "**إبن مرزوق التلمساني**"[5]،من إلقاء دروس في المسجد تحض على الجهاد،ومحاربة أعداء الإسلام،يقول:كان إمامنا (أبي الحسن) كثيرا ما يحرضني على أن يكون المقروء في الخطبة على قوله تعالى«**يا أيها الذين أمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب**

[1]–البرزلي:المصدر السابق،ص:584.

[2]–أبا الخيل:المرجع السابق،ص:155.

[3]–هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد (الحفيد)،ولد بقرطبة سنة 520هـ،ولي قضاء إشبيلية،وقرطبة، له عدة مؤلفات منها:الكليات ومختصر المستصفى وغيرها ،توفي بمراكش سنة 595هـ.عبد الملك المراكشي:المصدر السابق،س6، ص–ص:21–31.إبن رشد الحفيد:شرح بداية المجتهد ونهاية المقتصد،شر وتح:عبد الله ألعبادي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة ،ط1،1995،ج1،ص ص:3–8.إبن العماد:المصدر السابق،ج6،ص ص:522–523.

[4]–عبد الملك المراكشي:المصدر السابق،س6،ص:24.

[5]–هو محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني،يكنى أبا عبد الله ،ويلقب من الألقاب المشرفية بشمس الدين ،ولد بتلمسان سنة 711هـ/1311،ممارس مهنة الكتابة والخطابة ،له العديد من المؤلفات منها:تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام وغيرها،توفي بالقاهرة سنة 781هـ/1379م.إبن مرزوق:المسند الصحيح الحسن ،درا وتح:ماريا خيسوس،تق:بوعياد، ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،ط1،1981م،ص ص:22–55.أحمد بابا التنبكتي:المصدر السابق، نيل الإبتهاج ص:589.عادل نويهض:معجم أعلام الجزائر ،مؤسسة نويهض الثقافية،لبنان ،ط2،1980،ص ص:290–292.

**أليم»**[1]،و الأحاديث أيضا كثيرة ،وقد جمعت منها أربعين مسندة،فروينا عن أبي هريرة الله عنه قال:سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي «**الأعمال أفضل**» ؟،قال:«**إيمان بالله ورسوله**» ،قيل:«**ثم ماذا**»،قال:«**الجهاد في سبيل الله**»،وعن أنس رضي الله عنه قال:قال رسول الله :«**لغزوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا ومافيها**»[2].

**ثانيا:من خلال الخطب والرسائل والأشعار:**

**أ–الخطب:**

ومن الخطب نذكر ما قام به "**الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن عمر**"[3] في معركة وبذة[4]،وذلك عندما رأى خذلان المسلمين،وتفوق الصليبيين،فقام مخاطبا في الناس يحرضهم على الجهاد باللسان العربي تارة،وباللسان البربري تارة أخرى «**قد كنتم بمراكش تقولون لو كنا غزونا النصارى لجاهدنا الله عز وجل ،ونكلتم وما نصحتم ما أنتم بمؤمنين ولا بموحدين،أن تسمعوا النواقيس تضرب وتعاينوا الكفر ،ولا تدفعوا المنكر**»[5].

وفي معركة **الأرك**، قام الشيخ الشهيد **أبو يحي بن أبي محمد بن أبي حفص** [6]مخاطبا في الجند محرضا،وداعيا للجهاد قائلا:«**يقول لكم أمير المؤمنين:إغفروا له فإن هـذا موضع غفران،**

---

[1]–سورة الصف،الآية:10.

[2]–إبن مرزوق :المصدر السابق،ص:387.

[3]–من فقهاء إفريقية،تعلق بابن تومرت و أصبح من أتباعه.عبد الرحمن الرقب:شعر الجهاد في عصر الموحدين ،مكتبة الأقصى، الأردن،1404 هـ/1984م،ص:50.

[4]–معركة وقعت سنة 567هـ/1172م،بين المسلمين بقيادة أبي يعقوب يوسف ألموحدي،وبين النصارى بقيادة ألفونسو الثامن. هشام أبو رميلة:المرجع السابق،ص ص:244-247.

[5]–إبن صاحب الصلاة:المصدر السابق،ص:411.

[6]–هو كبير وزراء أمير المؤمنين:أبو يوسف المنصور،امتاز بالفطنة وصفاء الذهن والشجاعة في كثير من الحروب،وقع إختيار المنصور عليه ليكون قائد معركة الأرك،أستشهد في نفس المعركة سنة 591هـ.الناصري:المصدر السابق،ج2،ص ص:169-170.أحمد الدرة:العلماء الشهداء في الأندلس، رسالة ماجستير،غزة،كلية الآداب،2009م،ص:81.

**وتغافروا فيما بينكم وطيبوا نفوسكم،واخلصوا لله نياتكم،فبكى الناس وأعظموا ماسمعوه من سلطانهم،وما جرى إليه من حسن معاملتهم»**[1]،كما حرض على الجهاد مبينا فضله في قوله: «**معشر المسلمين إثبتوا في مصافكم و لاتزالوا في مواضعكم،واخلصوا لله نياتكم وأعمالكم واذكروا الله كثيرا في قلوبكم،فإنما هي إحدى الحسنين:إما الشهادة والجنة،وإما و أما الأجر والغنيمة»**[2].

ومن ذلك نذكر أيضا خطبة السلطان "**يعقوب المريني**"[3]،الذي خطب الناس محرضا على القتال ،وحاثا على الصبر في جهاد الكفار،وداعيا لنيل الشهادة في سبيل الله،قائلا: «**يا معشر المسلمين وعصابة المجاهدين،أنتم أنصار الدين الذابون عن حماه،والمقاتلون عداه وهذا يوم عظيم ومشهد جسيم له مابعده،...ألا وإن الجنة تحت ظلال السيوف،وأن الله قد اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ،فاغتنموا هذه التجارة الرابحة...وشمروا عن ساعد الجد في جهاد أعداء الله الكفرة،وقتال المشركين الفجرة**»[4]

وهذا الفقيه "**يوسف بن محمد التجيبي ألسبتي**"[5]،قام بجمع أربعين حديثا في الجهاد والحث عليه،وذلك أثناء مواجهة المرينيين للمد المسيحي،والحروب التي كان يشنها الإسبان على

---

[1]-إبن عذارى:المصدر السابق، قسم الموحدين،ص:219.

[2]-أبي زرع الفاسي:المصدر السابق،ص:226.السلاوي:المصدر السابق،ج2،ص:169.

[3]-هو يعقوب بن عبد الحق بن مرين ألزناتي،ولد سنة 607هـ،بويع بالخلافة بعد أخيه أبي بكر سنة 656هـ،توفي سنة 685هـ. ألصفدي:الوافي بالوفيات،تح وإع:أحمد الارناؤوط وتزكي مصطفى ،دار إحياء التراث العربي،لبنان ، ط1،2000م ،ج28 ، ص:63.

[4]-أبي زرع الفاسي:المصدر السابق، الذخيرة في تاريخ الدولة المرينية،ص:149.

[5]-هو القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي ألسبتي ،ولد بسبته سنة 670هـ،من مؤلفاته:برنامج التجيبي،توفي سنة 730هـ التجيبي:برنامج التجيبي،تح وإع:عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب،د.م.ن ،د.ط،ص ص:ز-ط.الصفدي:المصدر السابق، ج24،ص:129.

أطراف الأندلس مستغلين في ذلك المشاكل الداخلية التي كان يعاني منها المرينيين ،وما ظهر على المسلمين من فتور[1].

**ب- الرسائل:**

ومن الرسائل المحرضة على الجهاد نذكر رسالة "**أبو عبد الله بن زمرك**"[2]،في قوله: «**أن هذا الجهاد وليمة دعا الله عباده إليها وحضهم عليها،فالآيات في المصاحف مسطورة والأحاديث مشهورة لبيع النفوس فيها من الرحمن،وبذل المهج رغبة في حصول ثواب الملك الدَّيَّان،ينزل الله فيها الملائكة المسومين،وتفرح الحور العين ،ويباهي الله ملائكته بالمجاهدين، وقد تضافرت على ذلك النصوص،وكفى شرفا الفوز بمحبة الله**»[3].

ومن الرسائل أيضا نذكر ما كتبه "**أبو القاسم العزفي صاحب سبته**"[4] إلى قبائل المغرب في رسالة طويلة يحضهم على الجهاد في الأندلس في سبيل الله وفيها يقول: «**و لا تخلدوا بركون إلى سكون والدين يدعوكم لنصره،والصليب قد أوعب في حشده،فالبدار البدار بإرهاب الجد، وإعمال الجهاد في نيل الجد** ...»[5]،وممن أسهم في ذلك خاتمة علماء الأندلس قبل سقوطها "**الفقيه إبن عاصم**"[6]،في رسالة هامة يندب بلاد الأندلس،ويحرك عزائم الإسلام لنصرة الدين ،وذلك

---

[1]-ولد خسال:المرجع السابق،ص:353.

[2]-ولد بغرناطة سنة 733هـ،تولى الكتابة عن ولد السلطان أبي سالم بالمغرب،ثم تولى الكتابة عن السلطان إبن الأحمر،توفي سنة 795هـ.إبن الخطيب:المصدر السابق، الإحاطة في أخبار غرناطة،ج2،ص ص:300-314.

[3]-المقري:المصدر السابق،أزهار الرياض،ج1،ص ص:63-64.

[4]-هو محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد اللخمي العزفي السبتي،ولد سنة 557هـ،وتوفي سنة 633هـ.أحمد بابا التنبكتي:المصدر السابق،نيل الإبتهاج،ص:77.

[5]-أبي زرع الفاسي :المصدر السابق،الذخيرة في تاريخ الدولة المرينية،ص:104.

[6]- هو أبو يحي محمد بن أبي بكر بن عاصم ،تولى إثني عشر خطة في وقت واحد منها:القضاء،الكتابة،الوزارة،الإمامة،له تآليف عدة نذكر منها:الروض الأريض في تراجم ذوي السيوف و الأقلام والقريض،توفي سنة 857هـ.المقري:المصدر السابق،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج6 ،ص ص:145-146.محمد مخلوف :المصدر السابق ،ج1،ص ص:248-249 .المقري:المصدر السابق،أزهار الرياض ،ج1،ص :145 .

لما استولى العدو على غالب تلك البلاد،سمى هذه الرسالة: **جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى**[1].

## ج- الشعر:

ولعل من الأساليب التي أخذ بها العلماء لاستثارة حماس الناس،وتحفيزهم للتضحية في سبيل الوقوف في وجه العدوان النصراني ،هو عرضهم لأحداث الأندلس[2]،حيث تنوعت أغراض الشعر فمنه من خصص لغرض الاستغاثة والدعوة إلى الجهاد،ومنه من كان غرضه وصف الإنتصارات وكذا وصف الهزائم[3].

### 1-شعر الاستغاثة والدعوة إلى الجهاد:

تعدى الشعراء مهمة النقل والسرد لأحداث القتال إلى اتخاذ مواقف تساند الأمة في صراعها العسكري،ومن هذه المواقف الحث و الإثارة،وبث دعوة الجهاد بين الأمة ،وذلك للوقوف في وجه العدوان ،وإنقاذ الحواضر الإسلامية من خطر الغزو الصليبي[4]،ومن ذلك ما استجاش به" **أبو جعفر جعفر الوقشي**"[5] المسلمين، وعلى رأسهم أمير الموحدين يوسف بن عبد المؤمن ،داعيا إلى المقاومة،والجهاد والأخذ بثأر الآباء والأجداد،و إصلاح الأحوال المثيرة للحزن و الأسى[6].

ألا ليت شعري هل يهد لي المدى فأبصر شمل المشركين طريدا

وهل بعد يقضي في النصارى بنصره تغادرهم للمرهفات حصيدا

---

[1]-محمد مخلوف:المصدر السابق،ج1،ص:249.

[2]-أبا الخيل:المرجع السابق،ص:163.

[3]-إبراهيم أبو لبدة:شعر الحروب والفتن في الأندلس،رسالة ماجستير،فلسطين،جامعة النجاح الوطنية،2008م،ص:63.

[4]-عبد الرحمن الرقب:المرجع السابق،ص:219.

[5]-هو أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوقشي الوزير،له ديوان شعر أعرب فيه عن جلالة شأنه،توفي بمالقة سنة 574هـ.إبن الأبار :الحلة السيراء،تح:حسين مؤنس ،دار المعارف،القاهرة ،ط2،1985،ج2،ص ص:257-266.

[6]-العبدلي ألغامدي:المرجع السابق،ص:553.

ويغزو أبـو يعـقوب في (شن ياقـب)[1] يعـيد عميد الكـافرين عمـيدا

ويلقي على إفرنجهم عـبء كلـكل فيتركهم حول الصعيد هجودا[2].

ومن ذلك نجد الشاعر" **أبو العباس الجراوي**" [3]،الذي وجه نداءا إلى القبائل العربية للإلتحاق بالجيوش الموحدية المجاهدة،وهو في ذلك ما يزال يستثير هم هذه القبيلة،فيصف أبناءها بالعزم والتصميم ،ورجاحة العقل فمثلهم لا يتأخر عن هذا المسعى الحميد فيقول:

بني عامر أنتم صميم فصمموا إلى الموت تصميم الليوث الخوادر

ولا تتوانوا ف حظوظ نفوسكم فإنـكـم أهـل النهـي والبصـائر

و الشاعر لا يدعو هذه القبائل العربية من أجل مطمع شخصي أو غاية ذاتية ،و إنما يدعوها إلى جهاد الكفار ،و إلحاق الهزيمة بهم ،إبتغاء الأجر وطلب الثواب [4].

إن الأعمال الرهيبة والمخزية التي إكتسحت الأندلس،وما صاحبها من هدم وقتل وتخريب حث العديد بل جميع الشعراء على إرسال قصائد ورسائل الإسترحام ،وطلب النجدة من المسلمين ومنهم:"**أبو البقاء الرندي**"[5] الذي ناشد العرب والمسلمين لنجدة إخوانهم المسلمين بالأندلس،بعد

[1]-قلعة حصينة بالأندلس.الحموي:المصدر السابق،ص:368.

[2]-المقري:المصدر السابق،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج4،ص:478.

[3]-هو أحمد بن عبد السلام الجراوي الشاعر يكنى أبا العباس، و أصله من تادله،سكن مراكش،توفي سنة 609هـ. إبن الأبار: التكملة لكتاب الصلة،تح:عبد السلام الهراس ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،لبنان ،1415هـ/1995م،ج1،ص ص:112 -113.

[4]-موسى محمد بدر:دور القبائل العربية في الجهاد بالأندلس من خلال الشعر و الأدب ،ليبيا،مجلة المختار للعلوم الإنسانية،ع28، ص:06.

[5]-خاتمة الأدباء ،يكنى بأبي الطيب،و بأبي البقاء،هو من أهل رندة ولد سنة 601هـ،من تأليفه:الكافي في علم القوافي،توفي سنة 684هـ.ابن الخطيب:المصدر السابق،الإحاطة في أخبار غرناطة،ج1،ص ص:360-361.المقري:المصدر السابق، أزهار الرياض ،ج1،ص:47.عبد الملك المراكشي:المصدر السابق،س4،ص ص:136-137.

سقوط مدن الأندلس الكبرى في يد النصارى: قرطبة وإشبيلية،بلنسية وجيان،ومرسية،وما حولها من معاقل وحصون مما تنخلع له القلوب حزنا لهذا المصير المفجع ،يقول[1] :

| | |
|---|---|
| ياراكبين عناق الخيل ضامرة | كأنها في مجال السبق عقبان |
| وحاملين سيوف الهند مرهفة | كأنها في ظلام النقــع نيـران |
| أعندكم نبأ من أهل أندلس | فقد سرى بحديث القوم ركبان |
| كم يستغيث بنا المستضعفون وهم | أسرى وقتلى فلا يهـتز إنــسان[2]. |

## 2-شعر وصف الإنتصارات والهزائم عند المسلمين:

### وصف الإنتصارات:

شكل شعر وصف الإنتصارات والمعارك عند المسلمين محورا بارزا في الشعر السياسي، بسبب كثرة المعارك بين المسلمين والنصارى،الذين سعوا منذ البداية إلى إستعادة بلاد أجدادهم من أيدي المسلمين ،فأعدوا لهم ما استطاعوا من القوة ،التي تدعمها أوروبا المسيحية ،وجاءت حروب الإسترداد منظمة تنظيما دقيقا ،يستغلون فيها ضعف السلاطين حينا،و اشتداد اليأس عند الشعب حينا أخر ، مما لأدى إلى خوض المسلمين حروبا طاحنة في سبيل الدفاع عن وطنهم ووجودهم[3].

ومن ضمن وصف الإنتصارات نجد قصيدة "**لأبي العباس الجراوي**"،التي قالها في إنتصار المسلمين سنة 556هـ، حيث أضفى على هذا الإنتصار الطابع الديني ، واعتبره إعلاء لدين الواحد القهار وتمكينا له[4]، يقول:

| | |
|---|---|
| أعليت دين الواحد القهار | بالمشرفية والقــنا والخــطار |

[1]-إبراهيم أبو لبدة:المرجع السابق،ص:77.

[2]-المقري:المصدر السابق،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج4،ص:488.المقري:المصدر السابق،أزهار الرياض ،ص:49 . شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات)،دار المعارف،القاهرة،1989م،ص:390.

[3]-إبراهيم أبو لبدة:المرجع السابق،ص:87.

[4]-عبد الرحمن الرقب:المرجع السابق:55.

ورأى بك الإسلام قرة عينه وغدت بك الغراء دار قرار[1]

وقد نقل "**أبو عمر الأشيري**"[2] الصراع إلى ميدان العقائد عندما نظر إلى هزيمة الصليبين أمام المسلمين في غزوة السبطاط جنوب مدينة طليطلة سنة 568هـ،باعتبارها إهانة للشرك عامة،يقول:

دارت رحا الهلكات بالسبطاط وسط بها ريب الزمان الساطي

وأهين فيها الشرك أي إهانة شفعت كريه هياطها بمياط[3]

وفي إنتصار المسلمين في معركة الأرك ،نجد قصيدة "**لأبي العباس الجراوي**"،يهنئ بها المسلمين بما حققوه من مجد وفخر للإسلام والمسلمين ،يقول:

هو الفتح أعيا وصفه النظم والنثرا وعمت جميع المسلمين به البشرى

وأنجد في الدنيا وغار حديثه فراقت به حسنا وطابت به نشرا

تميز بالأحجال والغرر التي أقل سناها يبهر الشمس والبدرا

لقد أورد الأذفنش شيعته الردى وساقهم جهلا إلى البطشة الكبرى

حكى فعل إبليس بأصحابه الأولى تبرأ منهم حين أوردهم بدرا[4]

**وصف الهزائم:**

وهذا النوع من الشعر يهدف إلى التحذير والتوعية ،وإيقاظ الهمم النائمة ،ومن ذلك نجد

[1]-إبن عذارى:المصدر السابق،قسم الموحدين ،ص ص:70-71.

[2]-هو حسن بن عبد الله بن حسن ،يكنى أبا علي ،ويعرف بابن الأشيري،من أهل تلمسان،كان ناظما ناثرا،وله مجموع في غريب الموطأ،ومختصر التاريخ،توفي سنة 569هـ/1174م.إبن الأبار:المصدر السابق،ج1،ص:218.بوزيان الدراجي:أدباء وشعراء من تلمسان ،دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع،الجزائر ،2011م،ج2،ص:10.

[3]-عبد الرحمن الرقب:المرجع السابق،ص:55.

[4]-إبن عذارى المراكشي:المصدر السابق،ص ص:221-222.

قصيدة "**إبن الدباغ الإشبيلي**"[1]،يصف نتائج معركة العقاب ،ويستشف منها تنبهه لمعنى تلك النكبة وأبعادها،فقد وجد أن هذه النكبة فتحت باب البلاء على الأندلس،و أدخلت الوهن إليها،لذلك حذر المسلمين من الإقامة فيها،مبينا لهم أن ذلك عقاب على تقصيرهم،و إهمالهم[2]،يقول:

وقائلة أراك تطيل فكرا كأنك قد وقفت لدى الحساب

فقلت لها:أفكر في عقاب غدا سببا لمعركة العقاب

فما في أرض أندلس مقام وقد دخل البلا من كل باب[3].

وفي هزيمة المسلمين في معركة طريف،يقول إبن الخطيب في قصيدته:

لا كان يومك (ياطريف) وطالما أطلعت للآمال برقا خلبا

ورميت دين الله منك بفادح عم البسطة مشرقا أو مغربا

وخصصتني بالرزء والتكل الذي أوهى القوى مني وهد المنكبا

لا حسن للدنيا لدي و لاأرى في العيش بعد أبي وصنوي مأربا[4]

ظاهرة الإحباط والقلق ظاهرة عند الشاعر وجلية،فقد كانت مصيبة هزيمة عظيمة هدت أوصال جميع القوى،بالإضافة إلى كونها مصيبة شاملة قضت على دين الله،وعلى أمل المرء في المستقبل[5].

**المبحث الثاني :مشاركة العلماء في الجهاد الحربي ضد النصارى.**

لا شك أن مشاركة العلماء في ميدان الجهاد الحربي ، يشكل القدوة الحسنة ، ويعمل على رفع معنويات المجاهدين، وقدوتهم جميعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي باشر بنفسه المعارك ، وقاتل بسيفه أعداء الله ، والكفار والمشركين، ولقد شارك علماء المغرب الإسلامي في معظم المعارك

[1]-هو محمد بن إبراهيم بن المفرج الأوسي، المعروف بابن الدباغ،تولى قضاء ألميرية ورندة،توفي سنة 668هـ.إبن الخطيب:المصدر السابق،الإحاطة في أخبار غرناطة،ج3،ص ص:68-69.عبد الملك المراكشي:المصدر السابق،س6،ص:106.

[2]-عبد الرحمن الرقب:المرجع السابق،ص:199.

[3]-المقري:المصدر السابق،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ص:476.

[4]-محمد مفتاح:ديوان لسان إبن الخطيب ،دار الثقافة للنشر والتوزيع،الدار البيضاءط1،1989،ج1،ص:107.

[5]-إبراهيم أبو لبدة:المرجع السابق،ص:100.

التي دارت في أرض الأندلس ، بحيث لا تخلو معركة من عالم وقف محرضا يحث الناس على الصبر والثبات،واقفا في المقدمة ، رافعا الراية ليكون أول المتقدمين ، يبتغي الشهادة في سبيل الله وإعلاء لكلمته ، ولم يقتصر دور العلماء على المشاركة في المعارك فحسب بل أنفقوا أموالهم في حقل الجهاد ضد الأعداء ، فمنها ما كان في إطار حماية المسلمين من النصارى ، وفك الأسرى، ومنها ما كان لمعالجة وضع المسلمين عقب الجهاد.

**أولا :من خلال المشاركة الميدانية في الحرب:**

لقد كان لعلماء المغرب الإسلامي اثر متميز وحضور لافت في هذا الميدان، لم يتوان العلماء عن الانخراط في قافلة المجاهدين بأنفسهم في سبيل الله،وبخاصة القادرون منهم على القتال المطيقون لحمل السلاح فقد عرفنا مشاركتهم في الجهاد بذكر مقتلهم في حرب معينة أو أسرهم، ثم إن هناك طائفة من العلماء اكتفت المصادر بوصف واحد منهم بعبارات عامة قد يفهم منها مشاركته بالجهاد دون تحديد لمعركة أو حادثة معينة مثل : القول عن بعضهم كان مجاهدا أو عن آخر كان مشتهرا بالزهد و الخير و الجهاد وتارة يذكر عن بعضهم كلمة توحي بأن حياته ختمت بقتال مع العدو النصراني مثل توفي شهيدا[1].

أما عن ثغور الجهاد و الرباط التي وقف فيها العلماء موقف الجندي المجاهد الصابر المرابط فهو كثير لا حصر له لأن علماء المغرب الإسلامي أدركوا أن العلم يقتضي العمل و رأس العمل الجهاد و الغاية الاستشهاد ولم يكونوا يوما ممن يعظون الناس و يتوارون أو يتقاعسون عن ذلك بل كانت مواعظهم أقوالا تؤازرها أفعال في جبهات القتال و ساحات المعارك تتقاطر دمائهم الطاهرة على ساحات الوغى ثابتين كثبات الطود المتين .[2]

[1] أبا الخليل: المرجع السابق، ص: 247.

[2] العبدلي الغامدي: المرجع السابق، ص 559.

أما عن الفئات التي شاركت في الجهاد فكانت من أوساط اجتماعية و ثقافية و مناصب سياسية متعددة يدفعهم نداء الواجب من المحدثين و الفقهاء و الشعراء و الأدباء و القضاة و الوزراء و الحكام منهم على سبيل الذكر لا الحصر:

**معركة شنترين[1]:580هـ / 1184م**

حضرها وشارك فيها أمير المؤمنين "أبو يعقوب يوسف"[2]واستشهد بها سنة (580ه/1184م)متأثرا بجراحه ويذكر لنا عبد الملك المراكشي شيئا عنه فيقول:«**كان اجل شيء عرف به هو حبه للجهاد وقد مات في طريقه** ».[3]

**معركة الأرك:591هـ/1194م:**

حضرها وشارك فيها الأمير يعقوب المنصور الموحدي والشيخ أبي يحيى بن أبي حفص الذي أعطاه المنصور القيادة العامة للجيش[4]،فعبأ الشيخ أبو يحي عساكره تعبئة الحرب وعقد الرايات لأمراء القبائل وأوقف كل قبيلة في مركزها الذي عين لها،فجعل عسكر الأندلس في الميمنة وجعل سائر قبائل المغرب في الميسرة وجعل المتطوعة في المقدمة وبقي هو في القلب في قبيلة هنتاتة، وعندما بدأت الحرب بين جيش المنصور وجيش ألفونس دفعت كتيبة عظيمة أعدها ألفونس حتى إذا خالطت

[1] شنترين مدينة على جبل عال متصلة بأعمال باجه،وهي تقع غربي قرطبة خمسة عشر يوما وبينها وبين باجه أربعة أيام .ياقوت الحموي :المرجع السابق،مج03،ص:367.الحميري :المصدر السابق،ص:346.

[2] هو يوسف بن عبد المؤمن بن علي تولى أمر الموحدين بعد وفاة أبيه، له مشاركة في الأدب والعلم واتساع في اللغة ت 580هـ-1184م.السلاوي:المصدر السابق، ج02، ص:162.

[3] عبد الواحدالمراكشي :المرجع السابق، ص ص:190 -191.السلاوي:المرجع السابق ،ج02،ص:162. مونت غمري وات،تاريخ اسبانيا الإسلامية،تر:محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع،بيروت لبنان،ص:118.

[4] السلاوي :المرجع السابق،ج02،ص:168.

صفوف المسلمين خلص البعض منها إلى الشيخ أبي يحي بظنونه المنصور[1]، فاستشهد رحمه الله بعدما أحسن البلاء ، استشهد ومعه جماعة من العلماء وسمي بنو الشيخ أبي يحي ببني الشهيد وعرفوا به[2]

## موقعة حصن العقاب 609هـ /1212م :

كانت هذه المعركة من أشنع الهزائم التي لحقت بالمسلمين بالأندلس خسروا فيها الكثير وما خسروه كان اكبر، إذ استشهد عدد وافر من أكابر العلماء والفقهاء.[3]

وممن شارك فيها :

"**أبو عمر احمد بن هارون بن عات النفزي**"[4]شهد وقيعة العقاب التي أفضت إلى خراب الأندلس، فقد فلم يوجد حيا ولا ميتا وذلك يوم الاثنين منتصف صفر( 609هـ/1212م)[5]. كذلك القاصي الفقيه "**أبو إبراهيم إسحاق بن يعمر المجابري**"[6] فقد هو الأخر في هذه الكائنة[7]، حضرها حضرها واستشهد فيها "**أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري**"[8].

---

[1] ابن الخطيب:الإحاطة في أخبار غرناطة،المصدر السابق، ج01، ص:310.هشام أبو رميلة:المرجع السابق،ص263.

[2] ابن خلدون:المصدر السابق، ج06، ص330.ابن أبي زرع:المصدر السابق، ص:227.السلاوي:المصدر السابق، ج02، ص:170.

[3] عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص:494.

[4] هو أحمد بن هارون بن احمد بن جعفر بن عات النفزي ولد سنة 546هـ،من أهل شاطبة كان من أكابر المحدثين،من تأليفه:النزهة في التعريف بشيوخ الوجهة ت 609هـ.المقري:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،المصدر السابق،ج2، ص:601 . ابن فرحون:المصدر السابق، ص126.الحميري:المصدر السابق:ص416.

[5] الحسن النباهي:المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا،تح:لجنة إحياء التراث العربي،:منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت،دط ،ص:116.عبد الملك المراكشي:المصدر السابق،س01،ص:562.

[6] هو إسحاق بن إبراهيم بن يعمر ألسعيدي ألغماري أبو إبراهيم من أهل فاس،تفقه بمرسيه وتقضى بفاس وبلنسيه ت609هـ.التنبكتي:نيل الابتهاج بتطريز الديباج،المصدر السابق،ص:146.ابن الآبار:المصدر السابق،ج01،ص162

[7] التنبكتي كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج،المصدر السابق،ج01،ص:175.ابن القاضي:المصدر السابق،ص165.

[8] هو أبو الصبر أيوب بن عبد الله بن احمد بن عمر الفهري ألسبتي من أهل سبته،الإمام الزاهد العالم اخذ عنه الناس وانتفعوا به ت609هـ.مخلوف،المصدر السابق،ج01،ص184.ابن القاضي :المصدر السابق،ص168.ابن الآبار:المصدر السابق، ج01، ص ص167-168

ومنهم "**تاشفين بن محمد المكتب**"[1]دخل الأندلس غازيا ، وقدم قرطبة سنة (608هـ/1211م )ويذكر لنا ابن القاصي انه: «**كان كثير لغزو والالتحاق بالمجاهدين خرج لغزوة العقاب واستشهد بها**»[2] ، كذلك "**ابن صاحب الصلاة**"[3] حضرها واستشهد هو الآخر بها وذكر عنه من من الثبات والحض على الشهادة والرغبة في المجاهدة ما دل على حسن نيته[4] ومنهم أيضا "**محمد بن يعقوب المنصور**" حضر في هذه المعركة ورجع بعدها إلى مراكش،[5]كما شارك فيها علي بن عبد عبد الله الأنصاري[6] الذي أحسن البلاء اسر اثر هذه المعركة ثم افتك من أسره.[7]

ويبدوا لنا واضحا أن سقوط هذا العدد من العلماء في واقعة العقاب يدل على حرص العلماء على الدفاع على الأمة الإسلامية، والحرص على نيل الشهادة. وهنا نجد علماء المغرب الإسلامي وفقهائهم وقضاتهم وحتى أمرائهم كانوا كهفا وملجأ للناس وقت الشدة وكانوا القادة في الأحداث والملمات وفي المخاطر تجدهم في المقدمة علمهم الإسلام إن العلم قبل كل شيء خلق وعمل.[8]

[1] يكنى أبا محمد من أهل فاس،كان زاهدا عابدا معلما للقران له حظ من الشعر كان يتكرر على قبور الصالحين ت609هـ،ابن القاضي:المصدر السابق، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ،ص:172.

[2] ابن الآبار:المصدر السابق، ج01، ص:190.

[3] هو محمد بن حسن بن محمد بن صاحب الصلاة الأنصاري المالقي من أهل العلم والعدل والدين وكان قاضيا مزهدا كثير الحياءت609هـ.النباهي:المصدر السابق،ص:115.

[4] ابن الآبار:المصدر السابق، ج02، ص:99.أحمد الدرة:المرجع السابق، ص:83.

[5] ابن القاضي:المصدر السابق ،جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ،ص:207.عبد الواحد المراكشي:المصدر المراكشي:المصدر السابق،ص:236.

[6] هو علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن احمد الأنصاري،يكنى أبا الحسن من أهل فاس ولد سنة 562هـ كان كاتبا بليغا فقيها حافظا عاقدا للشروط ت651هـ.ابن الخطيب: المصدر السابق،الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج04،ص:121.

[7] نفسه، ج04،ص:121.

[8] عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص:169.

**وقعة قصر أبي دانس 614هـ/1217م:**

لما توالت هجمات الفونس الثالث على منطقة قصر أبي دانس ابدي أهلها مقاومة وقتال مرير، ولما لم يكن هناك أمل باستمرار دفاع المدينة أمام ضغط الجيوش الكثيفة عرض أهلها الاستسلام على أن يسمح لهم بالخروج بأموالهم فرفض النصارى ووافقوا فقط أن يسمح لهم بالخروج أحياء دون أن يحملوا شيئا معهم ودخل النصارى قصر أبي دانس وقتلوا كل من فيها،[1] وممن حضر من العلماء الفقهاء هذه الموقعة واستشهد بها : "**أبو بكر محمد السبئي المقرئ**"[2] من عام(614هـ/1217م) ولم تكن دروسه العلمية المتواصلة تشغله عن واجب الجهاد ،فقد كان كثير الغزو ولان كثيرا ما يحضر الغزوات ويبلي فيها البلاء الحسن.[3]

**موقعة جزيرة ميورقة[4]**

إن ما أصاب الأندلس أصاب الجزائر الشرقية التابعة لها فسقطت ميورقة يوم الاثنين سنة(627هـ/1229م) بيد جيوش متحدة من أراغون وسمى المؤرخون سقوط ميورقة «**الحادثة العظمى من قبل الروم على ميورقة أو الحادثة الشنعاء على أهل ميورقة**»[5]ويروي لنا صاحب الروض المعطار عن هذه الكائنة فيقول:«**إن الطاغية البرشلوني تحرك إلى ميورقة عازما عليها فنزل عليها**

[1] السلاوي:المرجع السابق، ج02، ص:203.

[2] من أهل اشبيلية ولد سنة553هـ تميز بالفضل والصلاح والتواضع والزهد.الرعيني:المصدر السابق،ص:14.

[3] نفسه،ص18.عبد الملك المراكشي:المصدر السابق،س06،ص:413.

[4] جزيرة شرقي الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منقورة كانت قاعدة ملك مجاهد العامري.الحموي:المصدر السابق، ج05،ص:246.الحميري:المصدر السابق،ص:567

[5] الحميري:المصدر السابق،ص:568.

**أسطوله في شوال** (626هـ/1228م) **فأراها من القتال وشدة الحصار و أنواع المحن لم يجري مثله في زمان، وحكم عليها عنوة بعد طول الحصار والقتال والسبي ».**[1]

وممن أستشهد من العلماء في هذه الكائنة من أهل ميورقة:"**أبو مروان عبد الملك بن إبراهيم بن هارون العبدري**"[2] كذلك ممن سقط شهيدا في تغلب الروم على ميورقة : "**أبو عبد الله محمد بن عبد الله البكري**"[3].

**موقعة أنيشة 634هـ/1236م:**

لما هاجم "الملك الأرغواني" حصن أنيشة وهدمه ابتنى حصنا منيعا مركزا لعيونه وأعماله الحربية ، فأراد الأمير" أبو جميل زيان" انتزاع حصن أنيشة فسار بقوة عسكرية اشترك فيها الكثير من العلماء من بينهم "**أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعي**" الذي خاض هذه المعركة في المقدمة وكان من أولى الحزم والجرأة والبسالة والإقدام والجزالة وثبات الجأش والشهامة ،يحضر الغزوات ويباشر بنفسه القتال ويبلي فيه البلاء الحسن[4].أستشهد في موقعة أنيشة حضرها وحرض المسلمين ولم يزل متقدما أمام الصفوف زحفا إلى الكفار مقبلا على العدو غير مدبر والراية بيده ينادي المسلمين :"**أعن الجنة تفرون** ".

[1] عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص:469.

[2] هو عبد الملك بن إبراهيم بن هارون العبدري من أهل ميورقة ،كان مقرءا مجودا تصدر لإقراء القران خطب بجامع بلده نحو عشرين سنة ت627هـ.عبد الملك المراكشي:المصدر السابق،س05،ج1،ص:12.

[3] نفسه،س06،ص327. عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص:471.

[4] النباهي:المصدر السابق،ص119.الحميري:المصدر السابق،ص41.

حتى قتل صابرا محتسبا غداة يوم الخميس لعشر بقين من ذي الحجة عام أربع وثلاثين وستمائة[1].وقد فقد من المسلمين غيره خلق كثير بين قتيل وأسير[2].

**عهد مملكة غرناطة :635-897هـ/1237-1492م:**

شهد هذا العصر هو الأخر معارك عدة سقط فيها العديد من علماء المغرب الإسلامي منهم من قضى نحبه تحت بارقة السيوف وبين السنة الرماح، ومنهم من كتبت له الحياة بعد ذلك.ومن الأمثلة على ذلك:" **محمد بن يحي العبدري**"[3]أستشهد بمرسى جبل الفتح دخل عليهم العدو فيه فقاتل حتى استشهد،وذلك سنة إحدى وخمسين وستمائة وكان يتوسل الله ويسأله الشهادة[4].

ولعله من أبرز المعارك التي شهدها هذا العصر المعارك التي خاضتها مشيحة الغزاة.[(5)]فقد إستقر الإتفاق بين سلطان غرناطة وسلطان المرينيين على أن تقام في غرناطة قوة دائمة من المقاتلين المرينيين للإشتراك في الجهاد[6] .وتولى المشيخة "**عبد الله بن أبي العلاء**" حتى أستشهد سنة

[1] المقري:المصدر السابق ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج04،ص:473.المراكشي:المصدر السابق،س04،ص ص :89-90.محمد محفوظ:المرجع السابق، ج1، ص:14.

[2] ابن خلدون:المصدر السابق، ج06، ص385.المقري:المصدر السابق ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج01،ص:452..ابن قنفذ:الوفيات،تحقيق :عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة ،بيروت،ط4،1403هـ/1983م،ص ص: 313-314.

[3] هو محمد بن يحي العبدري يكنى أبا عبد الله ويعرف بالصدفي من أهل فاس إمام في العربية متكلم أصولي متين المعارف والدين شديد الورع.ابن الخطيب:المصدر السابق ، الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج،3ص: 156.

[4] نفسه.

[5] هي عبارة عن قوة دائمة من المقاتلين المرينين اتفق عليها سلطان غرناطة مع سلطان المرينين على أن تقام على أن تقام على أراضي غرناطة للاشتراك في الجهاد على أن يجعلوا هذه المشيخة لواحد يكون من أقارب بني مرين سلاطين المغرب. المقري:المصدر السابق ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، ص: 452.محمد عبده حتاملة :المرجع السابق،ص:964.

[6] .حسين مؤنس:المرجع السابق ،معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص451.

(693هـ/1293م)، وكانت بعد ذلك لأخيه "**أبي العلاء**" الذي قاد معركة المرية[1] سنة (709هـ/1309م)ضد جنود أراغون الذين أصيبوا بهزيمة منكرة وغنم المسلمون الغنائم الكثيرة.[2]

وفي سنة (713هـ/1313م) عبر "أبو زيد"[3] البحر إلى الأندلس لما كتب له من فصل الشهادة فاستقر بغرناطة معظم القدر معروف الحق ظاهر الغيث مشهور الغيث في الجهاد إلى أن استشهد سنة ست عشر وسبعمائة بعد انهزام المسلمين بوادي قرمونة[4].وفي هذا يقول "يحي ابن خلدون":«**وكان الأمير أبو زيد هذا أغناهم في الله إلى أن استشهد نضر الله وجهه بعد منال عظيم من عدو الله وعناء كبير في ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم** ».وأقام بالأندلس بعده أولاده وكانت لهم أيضا مواقف في الجهاد:«**وشهدوا مع المسلمين وقائع جهادية أحسن فيها المولى الصالح أبو يعقوب البلاء وأجاد في الكفرة مشاء** »[5]

وعندما زحف الجيش القشتالي على غرناطة سنة (718هـ/1318م )كان عدد الجيش الإسلامي حوالي ستة ألاف لكنهم صفوة مختارة بقيادة شيخ الغزاة "**أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء**"[6] .الذي اخلص وجنده النية لله مستشهدين[7].

---

[1] مدينة كبيرة من أعمال الأندلس أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة 344هـ.الحموي:المصدر السابق، ج5، ص:119.الحميري:المصدر السابق،ص:537.

[2] ابن الخطيب:المصدر السابق ،اللمحة البدرية ،ص:62.إبراهيم خليل السامرائي :المرجع السابق،ص:297.

[3] هو عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن جد الأمير أبو حمو الزياني .يحي ابن خلدون :المصدر السابق،ج2،ص: 43.

[4] مدينة بالأندلس في الشرق من اشبيلية وهي مدينة كبيرة قديمة وهي باللسان اللاتيني كارب موية التي تعني صديقي.الحميري:المصدر السابق،ص:461.

[5] يحي ابن خلدون:المصدر السابق، ج2، ص ص:44-45.

[6] هو عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن محي ويكنى أبي سعيد من قبيل بني مرين شيخ الغزاة بجزيرة الأندلس كان عمره ثمانية وسبعين سنة أنفقها مابين روحة في سبيل الله وغدوة قطع عمره جاهدا ماضي العزائم في جهاد الكفار حتى استوفى في المشهور سبعمائة واثنتين وثلاثين غزوة.ابن الخطيب:المصدر السابق،ج،4ص ص:77 -80.

[7] ابن خلدون المصدر السابق،ج7،ص:250.المقري:المصدر السابق ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،ج1،ص: 453.إبراهيم خليل السامرائي ،المرجع السابق،ص:298.

ومن العلماء الصلحاء الفقهاء "**ابن هانئ السبتي**"[1] .الذي حضر مع المتطوعة لما نازل المسلمون في مدة السلطان "أبي الحسن المريني" جبل الفتح جبل طارق لانتزاعه من يد العدو،فاستشهد رحمه الله في أواخر قعده عام سبعمائة وثلاثة وثلاثين أصيب بحجر منجنيق في رأسه فمضى إلى الله تعالى طوع نيته[2]، كذلك حضرها واستشهد بها "**محمد بن راشد البكري ألقفصي**"[3] .

**وقعة طريف 741هـ/1340م:**

حضر وشارك في هذه المعركة مجموعة من علماء المغرب الإسلامي من الأكابر والأعلام والفقهاء و الصلحاء من بينهم :

"**أبو محمد عبد الله بن سعيد السلماني**"[4]، فقد يوم الوقيعة بظاهر طريف يوم الاثنين سابع جمادى جمادى الأولى عام واحد وأربعين وسبعمائة ، كما فقد اخو لسان الدين بن الخطيب ثابت الجأش غير جزوع ولا هيابة[5].القاضي "**أبو عبد الله محمد بن بكر الأشعري المالقي**"[6]، أحد أشياخ ابن الخطيب استشهد بطريف مقبل غير مدبر،ويتحدث عنه "المقري في النفح" فيقول:«**واستمر على عمله من الاجتهاد والرغبة في الجهاد إلى أن فقد رحمه الله في مصاف المسلمين يوم المناجزة**

[1] هو أبو عبد الله محمد بن علي بن هانئ اللخمي السبتي العالم النحوي اللغوي الأديب احد مفاخر سبته من تأليفه شرح التسهيل لابن مالك ت 733هـ.عبد الله كنون:ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة ،تق:محمد بن عزوز= =مركز التراث الثقافي المغربي،بيروت لبنان،ط1،1430هـ-2010م،ج2،ص ص:1074-1075.ابن القاضي:درة الحجال في أسماء الرجال،تحقيق :محمد الأحمدي أبو نوار،مكتبة التراث، القاهرة،دط، ج02،ص ص:112-113.

[2] ابن الخطيب:المصدر السابق ،الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3،ص:143.

[3] هو محمد بن عبد الله بن راشد البكري نسبا ،القفصي بلدا المعروف بابن راشد ولد بقفصه وتعلم بها وتولى القضاء.محمد حجي:موسوعة أعلام المغرب ،بيروت :دار الغرب الإسلامي ،ط1،ج2،1417-1996.

[4] السلماني ولد سنة 672 هـ والد الفقيه والأديب والكاتب لسان الدين بن الخطيبت741هـ.المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المصدر السابق، ج5،ص:17.

[5] نفسه.عبد الرحمن الحجي :المرجع السابق،ص:545.

[6] هو محمد بن يحي بن محمد بن احمد بن أبي بكر الأشعري المالقي يعرف بابن بكر ولد سنة 674هـ أمام عالم متفنن ولي القضاء القضاء والخطابة بغرناطة ت741هـ. مخلوف:المصدر السابق،ج1،ص:213.

**الكبرى بظاهر طريف،شهيدا محرضا يشحذ البصائر ذلك يوم الاثنين سابع جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة رحمه الله تعالى ».**[1]

ومنهم أيضا "**محمد التسلي كرسوطي**"،[2]أسر هو ووالده في معركة طريف ولقيا شدة ونكالا ثم سرحا و خلصا[3].ومن الفقهاء الفقيه "**أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني**" ،الذي ولاه السلطان "أبو الحسن المريني" عدة أعمال سلطانية منها سفارته إلى ب"طره الأول بن الفونس الحادي عشر"[4]، عشر"[4]، لعقد الصلح و إفتكاك أسرى طريف[5]، "**أبو القاسم محمد بن جزي**" فقد وهو يحرض الناس ويشحذ بصائرهم[6]، كما حضر هذه الوقيعة الأخوان "**أبو زيد عبد الرحمان**" و"**أبو موسى عيسى**" إبنا الإمام[7]، توفي "أبو زيد" بعد رجوعه من وقعة طريف (741هـ)،وتوفي "أبو موسى" في الطاعون سنة (749هـ)[8].

[1] التنبكتي:المصدر السابق ،نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،ص ص:396-387

[2] هو محمد بن عبد الرحمن بن سعد التميمي التسلي يكنى أبا عبد الله من أهل فاس ولد سنة 690هـ نزيل مالقة كان غزير الحفظ متبحر الذكر عظيم الاطلاع من تأليفه الغرر في تكميل الطرز.ابن فرحون :المصدر السابق،ص:399.

[3] ابن فرحون:نفسه، ص:400.مخلوف :المصدر السابق،ج1،ص:220.

[4] يلقب بالقاسي ورث أباه ألفونسو الحادي عشر جرت معه عدة أحداث انتهت بمقتله سنة 769هـ.عبد الرحمن الحجي :المرجع السابق،ص:528.

[5] التنبكتي:المصدر السابق ،نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ،ص:451. عبد الرحمن لحجي:المرجع السابق،ص:547.

[6] ابن القاضي:المصدر السابق ،درة الحجال في أسماء الرجال ،ج02،ص:118.

[7] هما عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام أبو زيد الجليل والمجتهد الكبير شهر هو وشقيقه أبو موسى عيسى بأبناء الإمام من أهل تلمسان اتصلا بالسلطان أبي حمو موسى بنى لهما مدرسة واختصهما بالفتوى والشورى.المقري:المصدر السابق، ج05، ص215.عادل نويهض،المرجع السابق،ص ص:22.

[8] ابن فرحون:المصدر السابق، ص:1520.التنبكتي:المصدر السابق ،نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،ص ص:245-247.

والفقيه الأصولي "**الآبلي**"[1]، حضر طريف وتوفي بفاس سنة سبع وخمسين وسبعمائة[2]، كما حضرها واستشهد فيها "**محمد بن عبد الملك**"[3].

وضمن قائمة العلماء المشاركين في الجهاد في حوادث متفرقة :

"**محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي**"[4]، فقد في وقيعة على المسلمين من جيش مالقة في ذي القعدة القعدة من عام (743هـ/1343م).[5]

"**ابن عاصم الغرناطي**" وقد سبق تعريفه فقد في جهاد العدو في محرم عام (813هـ-1412م).[6] وبادر عالم من علماء المغرب الإسلامي يعرف باسم "**إبراهيم الجربى**" ومعه أربعمائة رجل لمساعدة أهل مالقة[7]. المحاصرين سنة (893هـ/1488م)،واقتحموا جنود قشتالة المحاصرين واستطاع مائتان منهم اقتحام الحصار ودخول المدينة ، ولما أقدم النصارى على الهجوم أقدم "إبراهيم" على حيلة إذ سجد ومكث على سجوده حتى أسروه و جاؤوا به إلى قائدهم فقال له القائد القشتالي :إسألوه ما شأنه فأجاب:إنه ولي من أولياء الله وعنده سر يريد أن يبوح به للملك وهو يظن أن هذا القائد هو الملك ،فلما قربوه هجم عليه بخنجر معه كان يخفيه فقتله ثم هجم على زوجته فهجم عليه الحراس فقتلوه ثم

[1] هو محمد بن إبراهيم بن احمد العبدري التلمساني الشهير بالآبلي ولد سنة681هـ الإمام العلامة اعلم أهل عصره شيخ الفنون العقلية والنقلية وهو احد أساتذة ابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب.ابن القاضي:درة الحجال في أسماء الرجال،المصدر السابق،ج02،ص:265.عادل نويهض:المرجع السابق،ص:12 .

[2] التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج،المصدر السابق،ج1،ص:240.مخلوف:المصدر السابق،ج1،ص:221.

[3] هومحمد بن محمد بن محمد بن عبد الملك وهو ولد ابن عبد الملك المراكشي.محمد حجي ،المرجع السابق ،ج2،ص:633.

[4] هو محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي يكنى أبا عبد الله من أهل مراكش ت 743.ابن الخطيب:المصدر السابق ،الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج2،ص:527.

[5] ابن القاضي:المصدر السابق ،درة الحجال في أسماء الرجال ،ج2،ص:121.

[6] ابن القاضي نفسه،ج2،ص:119.مخلوف:المصدر السابق ،ص:247.

[7] مدينة بالأندلس على شاطئ البحر عليها سور والبحر في قبليها وهي عامرة كثيرة الديار وفيها استدار بها من جميع جهاتها شجر شجر التين المنسوب إليها.الحميري:المصدر السابق،ص ص:539-540.

رموا بجثته على المسلمين فدفنوه،فقد كان لتداعي مملكة غرناطة أثره العميق على هذا العالم الذي رأى في ضياع تلك البلاد من حوزة الإسلام إلى الشرك مصيبة كبيرة.[1]

وعندما استسلم الأمير "أبو عبد الله الصغير"[2]، وسلم أخر حصن إسلامي في الأندلس خرج أحد أهل العلم وهو "**موسى بن أبي غسان**" فطاف الحمراء ثم غرناطة ،وكان قد لقي جماعة من فرسان قشتالة أوقفوه فاحتدم القتال بينه وبينهم فقتل معظمهم وحده فأصيب بجرح وأصيب حصانه ،فوقف على رجليه يقاتل على ركبتيه ولم يرد أن يقع أسيرا في أيدي الأعداء حتى قتل شهيدا وذلك سنة(897هـ/1491)[3] .

لقد كان لعلماء المغرب الإسلامي دور بارز في الجهاد الحربي حيث اختاروا الجهاد طريقا لتجسيد المفاهيم والمعاني الجهادية ولا شك أن مشاركتهم في المعارك تجعل منهم قدوة حسنة وتعمل على رفع معنويات المجاهدين.

[1] واشنطن إيرفينج:المرجع السابق،ص ص:274-276.

[2] هو السلطان أبو عبد الله محمد وهو آخر سلاطين مملكة غرناطة وهو ابن السلطان أبو الحسن علي بن سعد والسلطانة عائشة حكم غرناطة مرتين الأولى( 887-888هـ/1487-1492م )وعلى عهده تم تسليم مفاتيح قصر الحمراء.المقري:المصدر السابق ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،ج4،ص:515.

[3] إبراهيم خليل السامرائي :المرجع السابق،ص ص :131-132.

**ثانيا :من خلال إنفاق الأموال:**

الإنفاق في سبيل الله هو صنو الجهاد الذي فرصه الله على الأمة الإسلامية وفي القران والسنة ،صاحبت الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله في معظم المواضع دعوة إلى الإنفاق ، ولقد دأب العلماء كغيرهم على تخصيص حديث منفرد عن النفاق في سبيل الله إذا ما تطرقوا للجهاد في مؤلفاتهم ،وألفوا كتبا عن الجهاد وما يدور حوله ،وقد اختلفت السبل التي انفق فيها العلماء في حقل الجهاد ضد الأعداء ،فمنها ما كان في إطار حماية المسلمين من النصارى وفك أسرهم ،أو في أخذ الأهبة والاستعداد لجهادهم ومنها ما كان لمعالجة وضع المسلمين عقب الجهاد[1].

وقد ورد أن "**موسى بن عمران المارتلي**"[2] تصدق بمائة دينار للنفقة على غزوة الأرك سنة (591ه/1195م )،وقد دفعها رأسا للحاكم الموحدي المنصور حيث أن المنصور لما عبر إلى الأندلس للجهاد زاره في موضعه ،ثم وجه إليه مالا وفوق ذلك قدم لرسول المنصور المائة دينار ، وطلب منه أن يقول للمنصور :«**هذه مائة دينار من حلال خذها لنفقتك في هذه الغزوة** ».[3]

و لقد كان للأحباس[4] في الأندلس صلة وثيقة بالجهاد في سبيل الله ،إذ اعتاد العلماء أن يجعلوا نصيبا من احبساهم لتمويل مرافق الجهاد الحربي ضد النصارى ومتطلباته كحبس أملاك أو خيل أو سلاح[5]،فهذا رجل من جزيرة طريف أوصى في مرضه الذي توفي فيه بوصية جمعت أشياء منها أن يحبس على ثغر من ثغور المسلمين الفندقان اللذان له تنفق غلتهما ما دامت الدنيا حسبما نطقت

---

[1] أبا الخيل :المرجع السابق،ص:659.

[2] هو أبو عمران موسى بتحسين بن موسى بن عمران القيسي المارتلي سكن اشبيلية وكان زاهدة عابدا.ابن سعيد الغصون اليانعة في محاسن المائة السابعة ،تح:إبراهيم الأبياري، دار المعارف،،القاهرةط3،1977،ص:135.

[3] الحميري:صفة جزيرة الأندلس،ص:175.

[4] هي حبس الشيء وقفه، والحبس يقع على كل شيء وقفه صاحبه وقفا محرما لا يباع ولا يوهب ولا يورث.كمال السيد أبو مصطفى:بحوث في تاريخ الحضارة الأندلسية في العصر الإسلامي في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية، 1997م،ص:160.

[5] نفسه ،ص :200.أبا الخيل:المرجع السابق،ص:260.

بذلك الوصية،وهناك من حبس فرسا ليجاهد به العدو[1]، وهناك من حبس أراضي زراعية من اجل حراسة أسوار المدينة حتى لا تتعرض لهجوم مفاجئ من قبل النصارى الإسبان[2].

و الملاحظ انه أحيانا وكما يذكر الونشريسي يحدث وفر في ربع أحباس مساجد القرى كما هو الحال في إحدى قرى ألش في عصر بني الأحمر ، لذا فقد أجاز الفقهاء إن يصرف هذا الوفر الذي لا يحتاجه المسجد في بناء برج على صومعة المسجد لاستطلاع أخبار النصارى الإسبان حتى لا يداهموا المدينة على حين غرة من أهلها[3]

ولم تقتصر مساهمة العلماء على الأحباس فقط بل شملت أيضا فداء الأسرى ،فهناك من العلماء من نوهت المصادر بكثرة صدقاتهم والمسارعة إلى بذل أموالهم في أعمال الجهاد بإفتكاك المجاهدين الواقعين أسارى بأيدي العدو ،"**كأبو بكر بن زهر**"[4] الذي أسهم بماله لإطلاق سراح أسرى مسلمين احتجزهم النصارى بعد تغلبهم على حصن شنت فلية[5]في صفر عام (578ه/1182م) ويروي لنا ابن ابن عذارى عن تلك الوقعة فيقول :«**أسر العدو في ذلك الحصن سبعمائة مسلم مابين رجل وامرأة ،ففداهم أهل إشبيلية بألفين وسبعمائة دينار وخمسة وسبعين دينارا ذهبيا ،دفع منها ابن زهر من ماله مائة دينار عينا والباقي جمعه الناس بالمسجد** ».وهذا يعني أن "ابن زهر" خلص بماله حوالي خمسة وعشرين مسلما من الأسر[6] ،كذلك "**محمد بن عبد الله الأنصاري**"[7]فدى بماله طائفة من الأسرى.ومنهم أيضا محمد بن عبد الله الأنصاري الذي خصص جزءا من ماله لمفادات

---

[1] أبا الخيل:المرجع السابق،ص:261.

[2] كمال السيد أبو مصطفى،المرجع السابق،ص ص: 201 -202 .

[3] الونشريسي:المصدر السابق،ج7،ص:145.

[4] هو محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر الإيادي ويعرف بابن زهر الحفيد،من أهل اشبيلية ولد سنة 507 كان أديبا ماهرا في الطب حظي بمنزلة كبيرة لدى الموحدين ت595 .بمراكش.الذهبي:المصدر السابق،ج21،ص:325.

[5] هو حصن منيع يقع فوق جبل عال على إحدى الطرق الواصلة بين اشبيلية وقرطبة.الإدريسي:المصدر السابق،ص:207.

[6] ابن عذارى:المصدر السابق،ص146.أبا الخيل:المرجع السابق،ص:262.

[7] هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان الأنصاري من أهل بلنسية كان مقرئا محدثا اشتهر بالورع والصلاح والزهد ت 595هـ .اعبد الملك لمراكشي:المصدر السابق،س6،ص:182.

الأسرى فهو كما يقول "عبد الملك المراكشي" : «**كان يتعيش من تجارة يديرها ويصرف أكثر ريعها في الصدقات وفك الأسرى وشبه ذلك من وجوه البر**»[1] "**محمد بن عبد الله التميمي**"[2] هو الآخر فدى بماله مجموعة من الأسرى.[3]

وعلى صعيد آخر احتسب بعض العلماء في جمع التبرعات المالية والعينية من أجل إفتكاك الأسرى المسلمين في أعقاب المعارك الحادثة بينهم وبين أعدائهم النصارى ، فتراهم يقصدون أماكن تجمعات الناس يدعونهم إلى بذل ما تجود به النفوس وما تسخو به الأيدي من الصدقات لإطلاق سراح إخوان لهم أسروا وهم يجاهدون في سبيل الله[4]، ومن الأمثلة على ذلك ما قام به "**أبي عبد الله بن الحجام**"[5] في الجامع الأعظم باشبيلية إذ نهض يتكلم بأسلوب رقيق وعبارات مؤثرة يذكر المصلين ويحثهم على النفقة في ذلك السبيل[6]، يقول احد تلامذته وقد رأى فعله بأم عينيه في جامع اشبيلية :«**ولقد شاهدته .....وقد ندب الناس إلى إفتكاك أسارى ،فتسارع إلى بذل ما حضرهم وخلع كثير منهم بعض ما كان عليه من الثياب ،حتى تراكمت أمام منبره وكادت تحجبه عن الأبصار**».[7]

ويذكر لنا "ابن مرزوق التلمساني" في كتابه المسند الصحيح عن شيء من هذه النفقات المالية التي كانت تقدم للأندلس في سبيل الجهاد،وعن مشاركة الأمير" أبي الحسن المريني" في هذا الباب فيقول :

---

[1] عبد الملك المراكشي:المصدر السابق،س6،ص:182.

[2] هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي بن الحلفاوي يكنى أبا عبد الله ويعرف بالتونسي من أهل تونس ولد في حدود سنة640هـ ولي الله المجاب الدعوة المشهود له بالولاية تجرد عن الدنيا واخذ بنفسه الصلاة والصوم والتلاوة.ابن الخطيب :المصدر السابق ،الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3،ص:205.

[3] نفسه.

[4] أبا الخيل :المرجع السابق،ص:266.

[5] هو أبو عبد الله بن الحجام بن محمد اللخمي مراكش كان زاهدا ذا حظ من الأدب و نظم الشعر. التادلي : التشوف إلى رجال رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي،تح : أحمد التوفيق، جمعية أصدقاء المكتبة،المغرب ،2005،ص ص:439-440.

[6] المراكشي:المصدر السابق،س8،ص:144.

[7] نفسه،ص:144.

**«إعلم انه كان أشد ملوك الأرض قياما بهذا الفرض بنفسه الكريمة وماله ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه ، أما جهاده بنفسه فقد علم مباشرته لذلك وإجازته البحر لذلك وحرصه على مباشرة ذلك بنفسه »**.ثم يقول:«**فلا يزال طول دهره معمور الفكر مشغول الظاهر بالجهاد فلا تمر سنة إلا وله فيها تجهيز أسطول وتجهيز غزاة رجالا وركبانا في كل وجه وجهة في أيام الحرب عملا، وفي أيام السلم إستعدادا فأكثر أعماله التي جمعها وصارت له في سبيل الجهاد أنفقها »**[1].

كما قام بتحصين جبل الفتح بصور يحيط به من كل جانب حتى لا يطمع عدو في منازلته ولا يجد سبيلا لمحاصرته فاخرج الأموال وعين العمال وتخير الثقات والأمناء[2]. كما قام "**الفقيه العزفي**"[3]حاكم سبته بإمداد المرينين بعشرين أسطول لإجازتهم حين نزلوا بطريف[4]، وأبلى بعد ذلك العزفي لما بلغه الخطاب من السلطان في شان الأساطيل البلاء الحسن وقام فيه المقام المحمود فهيا خمسة وأربعين أسطولا واستنفر كافة أهل بلده من المحتلم إلى الشيخ فركبوه البحر وأجمعوه[5]،وفي "عهد الأمير أبو زكريا الحفصي" بعث مع مشيخة مالقة الأموال للنفقات الجهادية .كما تبعث بعض الإعانات لاسيما التي وجهه السلطان عثمان لغرناطة[6].

وفي فترة الأمير الزياني "أبي حمو موسى الثاني" يخبرنا المقري عنه فيقول :«**كان كريم الأخلاق سخيا يتبرع في كل سنة على أهل الأندلس بالمال والخيل والزرع**[7]**إحساسا منه بضرورة الوقوف إلى جانب مسلمي الأندلس في محنتهم ضد النصارى ،واعتبر ذلك بابا من**

---

[1] محمد ابن مرزوق التلمساني: المصدر السابق،ص ص:388-389.

[2] نفسه،ص:392.

[3] هو أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي عرفة اللخمي العزفي السبتي أبو العباس ولد سنة 557هـ كان فقيها عالما ورعا ناقدا مسندا.أبو عبد الله بن إدريس الكتاني:سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس،تح:عبد الله الكتاني وآخرون، دار الثقافة ،الدار البيضاء،دت،ج3،ص:383.

[4] السلاوي:المصدر السابق، ج3، ص ص:38-39.

[5] ابن الخطيب :المصدر السابق ،الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج3،ص11 . السلاوي:المصدر السابق،ج3،ص ص:51-52.

[6] ابن الشماع:المصدر السابق،ص:114.برنشفيك:المرجع السابق،ج1،ص:258.

[7] المقري:المصدر السابق ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،ج6،ص ص:508-509.

**أبواب الجهاد لتحرير أرض الأندلس الإسلامية وكانت له مواقف مشرفة في إنقاذ أهل الأندلس من الهلاك فقد وجه إليهم سنة (763ه/1361م) خمسين ألف قدح من الزرع»**[1].

وعلى العموم فان علماء المغرب الإسلامي كانت لهم إسهامات ملموسة في حقل الإنفاق في سبيل الجهاد سواء ما كان مرتبطا للتصدي للنصارى أوفي إفتكاك المسلمين من الأسر،فقد تنوعت أساليبهم في هذا الحقل فأعانوا الأندلس على تحصيل الأموال لحرب النصارى حين أيقنوا حاجتها الشرعية لذلك.

[1] ابن الخطيب :المصدر السابق،الإحاطة في أخبار غرناطة،ج1،ص: 363.

# الفصل الثالث:

## دور العلماء في الحفاظ على العقيدة الإسلامية بعد سقوط الأندلس.

**المبحث الأول:** أوضاع المسلمين عقب سقوط الأندلس.

**المبحث الثاني:** موقف العلماء من تنصير وتهجير مسلمي الأندلس.

إن تتبع يوميات المسلمين المتبقين في الأندلس بعد السقوط مشهد مروع يصور لنا المعاناة اليومية للمسلمين الداخلين تحت سلطان الإسبان عنوة ، فثنائية التحدي قائمة بين الطرفين المسيحي والمسلم ، فالمسيحي ممثل في شخص الملكين فرناندو وإيزابيلا والكنيسة الكاثوليكية ، يسعون جاهدين إلى تنصير المسلمين بكل الوسائل والأساليب ضاربين عرض الحائط كل القيم والمبادئ الإنسانية ، والمسلمين من جهتهم يدافعون باستماتة لا نظير لها من أجل المحافظة على دينهم وأرواحهم وسط بيئة معادية.

## المبحث الأول:أوضاع المسلمين عقب سقوط مملكة غرناطة.

رغم الفترة الطويلة التي قضاها المسلمون في بلاد الأندلس ، إلا أن الإسبان إستطاعوا إخراجهم نهائيا منها، وذلك بسقوط أخر معقل لهم مدينة غرناطة في أيدي الجيوش القشتالية، وذلك في الثاني من ربيع الأول سنة 1492/897م، حيث رفع الصليب على برج الطليعة من أبراج قصر الحمراء، وبينما كان المسلمون يتجرعون حرارة الهزيمة حتى الثمالة، كان النصارى يحتفلون بانتصارهم إحتفالا عظيما مهيبا، وهكذا انطوت بسقوط غرناطة أخر صفحة من تاريخ المسلمين في الأندلس.

### أولا :سقوط غرناطة ومعاهدة التسليم:

كان إشتداد الحصار وتشديد الخناق على غرناطة ،سببا في حمل السلطان" **أبو عبد الله محمد الصغير**"[1] ،على فتح باب المفاوضات،وربما كان ذلك أحد الشروط السرية التي توصل إليها

[1]–ورث الحكم بعد أبيه أبو الحسن علي بن سعد(الغالب بالله)،حكم المرة الأولى من سنة 887هـ إلى 888م،ثم تولى الحكم بعده عمه الزغل،ثم إستسلم وترك الأندلس إلى تلمسان،ثم عاد أبو عبد الله للحكم للمرة الثانية،ودام في الحكم إلى غاية 897هـ /1492م،إستسلم وسلم أخر حصن إسلامي في الأندلس إلى النصارى.عبد الرحمن الحجي:المرجع السابق،ص:568.

آخر ملوك غرناطة مع "**إيزابيلا**"[1] ،و "**فرناندو**"[2] خلال أسره ،ولكن من الواضح أن سلطان غرناطة أجرى معظم مباحثاته سرا دون علم أغلبية أهل غرناطة ،ودارت المفاوضات سرا أغلبها في الليل ،في غرناطة أو في قرية قريبة،و انتهت إلى الإتفاق على شروط التسليم في 21 من محرم سنة 897هـ /25 من تشرين الثاني من سنة 1491 م،على أن تدخل القوات القشتالية المدينة بعد ستين يوما[3].

لما تسربت أنباء المعاهدة إلى أهل غرناطة ،أعلنوا الثورة على السلطان الغرناطي ،فاتفق و إيزابيلا على تقديم أجل تسليم المدينة إلى 02 من كانون الثاني سنة 1492م،فدخلت طلائع الجيش ورفعت علم قشتالة على الحمراء،و أعدت العدة لدخول الملكان الكاثوليكيان إلى أخر المواقع الإسلامية في الأندلس[4].

وفي يوم التسليم،أقام فرناندو في مسجد حوله إلى كنيسة تعرف بكنيسة سبستيان،تقع جنوب غرناطة،وانتظر قدوم الأمير الغرناطي وحاشيته،حيث عبروا نهر شنيل في الطريق إلى جبل البشرة،فتوقف الموكبان وتم الوداع،واستكمل الأمير وحاشيته الرحلة إلى مكان إقامته في البشرة[5] ،متوقفا في نقطة تطل على غرناطة ،حين إلتفت إلى مملكته السابقة[6]،تذكر كيف كان وكيف أصبح ،

[1]-إبنة الملك خوان الثاني ملك قشتالة،ولدت سنة 1451م،إرتقت على العرش عقب وفاة أخيها هنري الرابع سنة 1474م، كانت إيزابيلا قد تزوجت قبل وفاة أخيها بإبن عمها فرناندو إبن ملك أرغون خوان الثاني،سنة 1469م.عبده حتاملة:التنصير القصري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين ،الجامعة الأردنية،الأردن ،ط1،1400هـ/1980م،ص:16.عبد الله عنان: المرجع السابق،نهاية الأندلس،ص ص:181-182.

[2]-ولد في أرغون سنة 1452م،عين حاكما على مملكة قشتالة منذ سنة 1474م إلى سنة 1504م،قاد الحرب ضد مسلمي مملكة غرناطة حتى تسليمها،توفي سنة 1516م.عبده حتاملة:المرجع السابق،التنصير القسري لمسلمي الأندلس،ص:14.عبد الله عنان:المرجع السابق،تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين، ص:350.

[3]-سعيد بشتاوي:الأندلسيون المواركة ،مطابع انترناسيونال برس،مصر،1983م،ص:104.

[4]-سعيد بشتاوي،المرج السابق،الأندلسيون المواركة،ص:105.

[5]-هي المنطقة الجبلية الواقعة على جنوبي سفوح جبال سيرانيفادا،جنوب غرب غرناطة.إبن الخطيب:المصدر السابق،الإحاطة في أخبار غرناطة،ج1 ص:168.

[6]-سعيد بشتاوي:الأمة الأندلسية الشهيدة، ،د.د.ن،لندن2000م،ص:102.

ذرفت عيناه الدموع باكيا الملك المضاع ،والشرف المهان بعد مجد راسخ،وعز شامخ ،وعندما رأته والدته على هذه الحال خاطبته قائلة:إبك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال [1].

إستكمل الملك مسيره إلى قرية أندرش[2] من قرى جبل البشرة،ولكن إيزابيلا باعت ما أقطعته للملك ،وهو ما يزال يعيش فيه مع إشعاره بأن وجوده غير مرغوب فيه،فعبر العدوة في ذي الحجة من سنة 897م/1493 واستقر في فاس[3]، ويصف لنا "**المقري** "ماحدث له بعد ذلك فيقول:"**وانتهى السلطان بعد نزوله بمليلة إلى فاس ،بأهله و أولاده معتذرا عما أسلفه ،متلهفا على ماخلفه، وتوفي رحمه الله بفاس سنة 940ه**"[4].

شملت معاهدة تسليم غرناطة ،كل ما يمكن أهلها من تحقيق شرط عيش مقبول في ظل الإحتلال،إذ ضمنت سلامة الناس و ملكيتهم [5]،وفك أسر جميع وقع بين القشتاليين أثناء الحرب وعدم إكراه الناس على التنصر ،والسماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية[6] ،والسماح لمن أراد الخروج إلى إلى بر العدوة[7] ،أنزل بأي بلاد شاء منها من غير أن يعطي كراءا ولا مغرما[8]،بالإضافة إلى مجموعة من من الشروط التي ضمنت حتى منع النصارى من التطلع إلى دور المسلمين ،و معاقبة كل من يضحك من النصارى على عادات أهل غرناطة[9].

---

[1]- شكيب أرسلان:أخر بني سراج،مصر،مطبعة المنار،ط1343،2هـ/1924م،ص:04.عبده حتاملة:المرجع السابق ،الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة،ص:652.

[2]-بلدة صغيرة من أعمال ألمرية.إبن الخطيب:المصدر السابق،الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1،ص:158.

[3]-عبدو حتامله:المرجع السابق،المرجع السابق،الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة،ص:622.

[4]-المقري:المصدر السابق،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4،ص:529.

[5]-سعيد بشتاوي:المرجع السابق،الأندلسيون المواركة،ص:106.

[6]-عبده حتاملة:المرجع السابق،التنصير القسري لمسلمي الأندلس،ص-ص:28-29.

[7]- هي البر المقابل ،فالعدوة بالنسبة للأندلس هي بلدان المغرب: (المغرب الأقصى والأوسط والأدنى )،و بالنسبة لبلدان المغرب هي الأندلس .عبده حتاملة:محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها،مطابع دار الشعب،عمان الأردن، ط1397،1 هـ /1977م،ص:75.

[8]- المقري:المصدر السابق،أزهار الرياض، ج1،ص:67.

[9]-سعيد بشتاوي:المرجع السابق،الأندلسيون المواركة،ص:106.

كانت المعاهدة ملزمة وشاملة ،ولكن إيزابيلا و فرناندو راحا يشجعان أهل غرناطة على الرحيل ،و أبعدا من أهل المدينة من استوطنها في مراحل قريبة ،وخصص للمسلمين المنطقة من غرناطة القديمة المعروفة بالبيازين،و هي تقع في الطرف الشمالي من غرناطة ،أما الأقسام الباقية من غرناطة ،فقد أسكنت بعشرات الآلاف من النصارى،ممن تمكن الملكان الكاثوليكيان من إقناعهم باستيطان أخر المعاقل الإسلامية[1].

إنتهى الملكان الكاثوليكيان من احتلال غرناطة ،و أعادت توزيع سكانها ،ورحلت إلى إشبيلية تاركة المدينة في عهدة فرناندو دي زفرة،والكونت تندله الحاكم العسكري العام لغرناطة،و هرناندو طلبيرة الذي عين أول رئيس لأساقفة غرناطة،وتعيين هؤلاء الثلاثة يعطي انطباعا بأن إيزابيلا وفرناندو اختطا منذ البداية طريق محاولة إقناع أهل غرناطة اعتناق النصرانية [2].

ومفاوضات التسليم نصت :على تسليم القلاع والحصون والمدافع للسلطات المحتلة،ولكن الأسلحة الفردية بقيت بحوزة الأندلسيين ،واستمروا يستخدمون لغتهم ،ويلبسون ملابسهم الملونة المزركشة ،ويمارسون عقيدتهم ضمن حدود ما سمحت به المعاهدة ،وعلى العموم كانت خطوات بسط السيطرة القشتالية على سكان غرناطة الأندلسيين بطيئة،ومتدرجة وحذرة،وكانت سنوات قليلة من الهدوء الذي يسبق العاصفة[3].

[1]- سعيد بشتاوي:المرجع السابق،الأندلسيون المواركة ص:106.

[2]-سعيد بشتاوي:المرجع السابق ،الأمة الأندلسية الشهيدة،ص:127.

[3]-سعيد بشتاوي:المرجع السابق،الأندلسيون المواركة،ص:106.

**ثانيا :بداية التضييق على مسلمي الأندلس:**

كانت خطوات تطويع أهل غرناطة بطيئة و متدرجة ،وبدأت الأحوال تعود إلى طبيعتها، وانصرف الناس إلى ممارسة حياتهم اليومية كما اعتادوا ،وتخاطبوا بالعربية،وارتدوا الملابس الغرناطية، وصلوا وصاموا،واحتفلوا بالأعياد ضمن حدود ما سمحت به معاهدة التسليم،وفيما انشغل طلبيرة وصحبه في محاولة تغيير دين أهل غرناطة،سعى القشتاليون إلى السيطرة على أراضي سكان مملكة غرناطة،لتكوين المزارع المنتجة،وتشكيل المزارعين الغرناطيين فيها ،وهكذا بدأت ملكية الأراضي تنتقل تدريجيا إلى القشاتلة،وأحيانا مع مزارعيها[1].

إلتزم أهل مدينة غرناطة السكنى في المناطق المخصصة لهم،ولم تكن علاقتهم بالقشتاليين الذين سمح لهم بالإقامة في باقي مناطق المدينة طبيعية ،فمن جهة كان حسد الغرناطيين هو الشعور الغالب لدى القشتاليين،بسبب جودة إنتاج الغرناطيين ،وارتفاع مستواهم المعاشي قياسا إلى المستوطنين الجدد[2].

أضاف القشتاليون إلى الحسد النقمة ،لأن الغرناطيين بالنسبة لهم كانوا لا يزالون أعداء المسيحية ،ولا يستحقون بالتالي الأحوال الاقتصادية الجيدة التي كانوا يعيشونها[3]،و كانوا يقولون لهم: أنتم الآن عند ملكنا أعز وأكرم منا[4]،ففي غرناطة كما في كثير من مناطق قشتالة ،كان إنتاج المزارع القشتالي محدود ،وكل من أقطعته الدولة أرضا يبيعها بسرعة ،لأنه لا يستطيع استغلالها ،و ينتقل إلى أرض جديدة[5].

---

[1]- سعيد بشتاوي:المرجع السابق،الأندلسيون المواركة، 106.

[2]-سعيد بشتاوي:المرجع السابق،الأمة الأندلسية الشهيدة،ص:127.

[3]-سعيد بشتاوي:المرجع السابق،الأندلسيون المواركة،ص:106.

[4]-مؤلف مجهول:نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر ،ضبطه وعلق عليه:الفريد البستاني ،مكتبة الثقافة الدينية،بور سعيد،ط1، 1423هـ/2002م،ص:43.

[5]-سعيد بشتاوي:المرجع السابق،الأندلسيون المواركة،ص:106.

إلى جانب هذه الضغوط الحقيقية،كان مسلمي الأندلس يعانون من ضغوط نفسية كثيرة، ولم يكن من بينهم،و من بين أبائهم و لا أجدادهم من عاش تحت وطأة الاحتلال قبل ذلك، و كان هناك أيضا الشعور بالانقطاع عن إخوانهم في المغرب،و القلق من المستقبل و غير ذلك ،إل أن مسألة التنصير علت فجأة سائر الأسباب الأخرى ،و تحولت إلى الصاعق الذي فجر الأمة[1] .

**ثالثا :بدء المحنة ومحاولة التنصير:**

مضت سبع سنوات ثقيلة ،و أهل غرناطة يحاولون التأقلم مع الوضع الجديد ،على الرغم من المضايقات التي ابتدأت منذ دخول الإسبان إلى المدينة سنة( 897ه/ 1492م )[2]،حيث وزعت مساحات شاسعة من أراضي المسلمين ،و أملاكهم على النبلاء الإسبان[3] ،ثم فرضت عليهم الضرائب،منعوا من ممارسة شعائرهم الدينية علنا[4] ،وقطع عنهم الآذان في الصوامع[5] وبذلت محاولات مستمرة لإقناعهم بالتخلي عن عقيدتهم،وقطع صلاتهم بتاريخهم،وحضارتهم ،واستعملت في سبيل هذا أساليب البطش والتعذيب،التي إبتدات أولا بمزاحمة النصارى للمسلمين غلى الأرض ثم لقمة العيش،و أخيرا على الدين والتاريخ[6].

كان طلبيرة كاهن الإعتراف الخاص بإيزابيلا القشتالية،وحين بحثت عن بديل أشار بعض مستشاريها إلى كاهن عرف عنه تعصبه للكاثوليكية ،وهو فرانسيسكو خمنيس دي سينيروس[7] ،و ما إن استقر خمنيس في مقر إقامته حتى استدعى طلبيرة ،وطلب كشفا بحساب جهوده التنصيرية خلال

[1]-سعيد بشتاوي:المرجع السابق،الأمة الأندلسية الشهيدة،ص ص:127-128.

[2]-عبد الواحد ذنون طه:حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة ،دار المدار الإسلامي،لبنان، ط 1 ،2004م ، ص:17.

[3]-عبده حتاملة:المرجع السابق،الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة،ص:674.

[4]-عبد الواحد ذنون طه:المرجع السابق،ص:17.

[5]-المقري:المصدر السابق،أزهار الرياض،ج1،ص:68.

[6]-عبد الواحد ذنون طه:المرجع السابق،ص:17.

[7]-ولد عام 1436م في توري لاغونا،عين مشرفا روحيا للملكة إيزابيلا سنة 1492م،أسس جامعة الكلادي إينارس،ونشر الإنجيل بعدة لغات ،توفي سنة 1517م.عبده حتاملة:المرجع السابق،الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة،ص:677.

السنوات السبع الماضية ،إلا أن النتائج لم تكن مرضية ،فوجه إليه بضرورة تغيير سياسته فورا ،وإتباع الحزم في معاملة مسلمي الأندلس[1].

بدأ خمنيس محاولاته لتنصير المسلمين بأساليب اللين و الإغراء ،حيث بدأ بتوزيع الألبسة الحريرية على المتنصرين ،و أكثر من العطاء والبذل ،و نتيجة لهذه العملية دخل عدد كبير إلى المسيحية،و لما رأى الفقهاء ورجال الدين المسلمون،هذه الموجة ،نشطوا في توعية الناس، وتذكيرهم بدينهم وحرماتهم،فساء ذلك خمنيس ،فأرسل معاونيه فقبضت على الفقهاء و الوعاظ،وسجنهم، وأمر بتعذيبهم ومعاملتهم بقسوة[2].

وكان في غرناطة فقيه ذو مركز مرموق،فاستدعاه وناظره ساعة ،ثم طلب إليه الإفتاء لأهل غرناطة بالتنصر،فرفض الفقيه الطلب،فقام خمنيس بسجنه وتعذيبه،كما منعه من الطعام والشراب، وبعد أيام خرج إلى الناس،وزعم أن شيخهم رأى مناما ،وسمع صوتا من السماء يدعوه إلى التنصر فتنصر ،و ها هو يحض سائر المسلمين على الإقتداء به ،ولم يقتنع أهل غرناطة ،فبدأ خمنيس بسجن الغرناطيين،و تعذيبهم لإجبارهم على التنصر[3].

لم يقف الكاردينال خمنيس عند تنظيم هذه الحركة الإرهابية ،والتي انتهت بتوقيع التنصير المغصوب على عشرات الألوف من المسلمين ،ولكنه قارنها بارتكاب عمل أخر ،هو أنه أمر بجمع كل ما يستطاع جمعه من الكتب العربية ،من أهالي غرناطة وأرباضها[4]،ونظمت أكداسا هائلة في ميدان باب الرملة ،أعظم ساحات المدينة،ومنها كثير من المصاحف ،و ألاف كتب الآداب والعلوم،و أضرم فيها النيران جميعا[5]،و لم يستثن منها سوى ثلاثمائة من كتب الطب والكيمياء والرياضيات وغيرها،

[1]-سعيد بشتاوي:المرجع السابق،الأمة الأندلسية الشهيدة،ص:131.

[2]-أسعد حومد:محنة العرب في الأندلس ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،لبنان ،ط2،1988م،ص:226.

[3]-سعيد بشتاوي:المرجع السابق،الأمة الأندلسية الشهيدة،ص:133.

[4]-عبد الله عنان:المرجع السابق،تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين،ص:316.

[5]-محمد رزوق:الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب ،إفريقيا الشرق،د.م ،ط3،1998م،ص:58.

حملت إلى الجامعة التي أنشأها،وذهبت ضحية هذا الإجراء عشرات الألوف من الكتب العربية،هي خلاصة ما بقي من تراث التفكير الإسلامي في الأندلس[1].

**مرسوم تنصير الأندلسيين :**

في سنة 908ه/ 1500م،أصدرت إيزابيلا مرسوما ملكيا ،خير جميع الأندلسيين في قشتالة – شاملة مملكة غرناطة وليون–بين التنصر والرحيل،و أوضح هذا المرسوم واجب أهل قشتالة ،طرد أعداء الدين المسيحي من المملكتين ،و ترحيل سائر الأندلسيين ممن لم يتعمدوا بعد،و سمح المرسوم للأندلسيين الراغبين في الرحيل ،بيع العقارات والأملاك ،لكنه حظر عليهم إخراج الذهب والفضة ،فحاول الأندلسيون فتح باب المحادثات الأخيرة مع السلطة لتجميد المرسوم، فأخفقوا ،فرحل عن الأندلس نحو ثلاث مائة ألف شخص، قصد معظمهم العدوة المغربية،ومصر والشام[2].

وقع هذا القرار على المسلمين،وقع الصاعقة ،يقول المقري في هذا الصدد:«**أن طاغية قشتالة وأرغون،صدم غرناطة صدمة، و أكره على الكفر من بقي بها من الأمة** »[3]،وسرعان ما سرت إليهم الحمية القديمة ،فأعلنوا الثورة في معظم نواحي غرناطة،و في ربض البيازين،و في البشرات واشتد الهياج بالأخص في بلفيق،وفي أندرش حيث نسف حاكم البلدة مسجدها بالبارود،واعتزم المسلمون الموت في سبيل دينهم ،وحريتهم،ولكنهم كانوا عزلا ،وكانت جنود النصرانية صارمة،شديدة الوطأة، فمزقهم بلا رأفة[4].

لم يكتف القشتاليون بهذا بل قاموا بسبي النساء وقتل الرجال[5] ،وقضى بالموت على مناطق بأسرها،ماعدا الأطفال الذين دون سن الحادية عشر،فقد حولوا إلى نصارى،وحمل التعلق بالوطن

[1]–عبد الواحد ذنون طه:المرجع السابق،ص:19.عبد الله عنان:المرجع السابق،تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين،ص:316.

[2]–سعيد بشتاوي:المرجع السابق،الأمة الأندلسية الشهيدة،ص:140.

[3]–المقري :المصدر السابق،أزهار الرياض،ج1،ص:70.

[4]–عبد الله عنان:المرجع السابق،تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين،ص:323.

[5]–عبد الرحمن الحجي :المرجع السابق،ص:573.

وخوف الفاقة ،وهموم الأسرة كثيرا منهم على الإذعان والتسليم،فقبلوا التنصير المغصوب ملاذا للنجاة[1].

ونتيجة لهذه الأعمال،صارت الأندلس كلها نصرانية ،ولم يبق من يقول فيها:لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم،جهرا إلا من يقولها في نفسه،وفي قلبه خفية من الناس،وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الآذان ،وفي مساجدها الصور والصلبان،بعد ذكر الله،وتلاوة القرآن،فكم فيها من عين باكية،وكم فيها من الضعفاء،والمعدومين لم يقدروا على الهجرة ،واللحاق بإخوانهم المسلمين،قلوبكم تشتعل،ودموعهم تسيل سيلا غزيرا،وينظرون أولادهم يعبدون الصلبان،و يسجدون للأوثان،ويأكلون الخنزير،و يشربون الخمر والمنكرات،فلا يقدرون على منعهم،ومن يفعل ذلك يعاقب[2]

وهكذا تم تنصير ما يقارب خمسمائة ألف أندلسي،و حولت مساجدهم إلى كنائس،أو أزيلت من الوجود،و ألزموا بالسكن في أحياء خاصة بهم،ثم تشددت السلطات الإسبانية معهم، فأصدر الملك فرناندو مرسوما أخر،يحظر فيه على الأندلسيين استخدام اللغة العربية ،و ارتداد الملابس التقليدية،و ممارسة أية عادات أو طقوس إسلامية عربية[3].

و لضمان عدم تحشد المسلمين،و تجمعهم في منطقة غرناطة،صدر مرسوما أخر ،حرم بموجبه على جميع الأندلسيين المنصرين حديثا،من أي جهة أخرى من مملكة قشتالة،أن يخترقوا أراضي مملكة غرناطة،ويعاقب المخالفون بالموت والمصادرة،كما نص هذا المرسوم أيضا على تحريم قيام أهل غرناطة أو أي جهة أخرى في المملكة ،ببيع أملاكهم لأي شخص دون ترخيص،ومن يفعل يعاقب

[1]-عبد الله عنان:المرجع السابق،تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين،ص:323.

[2]-مجهول:مصدر سابق،ص ص:44-45.

[3]-عبد الواحد ذنون طه:المرجع السابق،ص:36.

أيضا بالموت والمصادرة[1]،لأنه تبين بأن كثيرا من المسلمين المتنصرين ،يبيعون أملاكهم،ويحصلون على أثمانها،ثم يعبرون إلى المغرب،وهناك يعودون إلى الإسلام[2].

**رابعا :محاكم التفتيش:**

تأسست محاكم التفتيش في إسبانيا منذ القرن الثالث عشر ميلادي[3] ،ولقد أقام الملكان الكاثوليكيان هذه المحاكم أولا في إشبيلية سنة 1480م، وفي جميع المدن الأندلسية التي سيطروا عليها وكانت هذه المحاكم سلاحا فتاكا بيد الكنيسة ،تسحق به كل من لم يرضخ لأوامرها ،ويرجع قيام محاكم التفتيش إلى فكرة الرقابة القديمة على العقيدة، والتحقق من سلامتها ونقائها[4] ،وقد ظهرت فكرة التحقق من أمر العقيدة في الكنيسة الرومانية في عصر مبكر جدا،فكان البابا يعهد إلى الأساقفة تعقب المارقين والكفرة ومعاقبتهم[5].

ومن الإجراءات التي كان يقوم بها ديوان محاكم التفتيش، هي في أصلها بعيدة من أن تكون منطقية أو عادلة، وهي أقرب ما تكون تعسفية و همجية،إذ تبدأ قضايا الديوان أو محاكمته الفرعية بالتبليغ عن شخص معين ،أو يكون غفلا،ففي الحالة الأولى يذكر المبلغ أقواله وشهوده، وتعتبر أقواله تحقيقا تمهيديا، كذلك يمكن التبليغ بواسطة الإعتراف يتلقاه القس[6].

ولهم أن يبلغوا عما يقعون عليه من حالات الإشتباه في العقائد، ولا توضح لهم الوقائع التي يسألون عنها ،بل يسألون بصفة عامة عما إذا كانوا قد رأوا، أو سمعوا شيئا يناقض العقيدة المسيحية أو حقوق الديوان،كأن يقول المتهم أن الدين المحمدي هو الأحسن،و أنه لا يوجد غيره للوصول إلى

---

[1]- عبد الواحد ذنون طه:المرجع السابق ،ص:37.

[2]-عبد الله عنان:المرجع السابق، تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين ،ص:327.

[3]-دوروني لودر:إسبانيا شعبها و أرضها،تر:طارق فوده،مرا وتق:عز الدين فريد ،مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر،نيويورك، 1965م، ص:121.

[4]-عبد الله عنان:المرجع السابق،،ص تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين:328.

[5]-محمد رزوق:المرجع السابق،ص:61.

[6]-عبد الله عنان:المرجع السابق، تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين ،ص:333.

الجنة،وأن المسيح كان نبيا وليس إلاها،أو أن يكون المسيحي الذي تعمد يقوم ببعض طقوس أعياد الدين المحمدي،مثل :الإحتفال بيوم الجمعة،أو أن يختنوا أولادهم ،ويلقبونهم بأسماء عربية، وغيرها من التهم المنسوبة إلى الضحية[1].

يقوم الديوان في الوقت نفسه بإجراء التحريات السرية المحلية عن المبلغ ضده،ثم تعرض نتائج التحقيق التمهيدي على "الأحبار المقررين"،ليقرروا ما إذا كانت الوقائع ،والأقوال المنسوبة إلى المبلغ ضده تجعله مرتكبا لجريمة الكفر،أو تلقى عليه فقط شبهة إرتكابها،وقرارهم يحدد الطريقة التي تتبع في سير القضية[2].

وعلى إثر هذا التقرير،يصدر النائب أمره بالقبض على المبلغ عنه،وزجه بالسجن،وكانت سجون الديوان المخصصة لاعتقال المتهمين بالكفر أو الزيغ،وهي المعروفة بالسجون السرية غاية في الشناعة، تتصل مباشرة بغرف التحقيق والعذاب[3]، عميقة،شديدة الظلمة، مملوءة بالرطوبة، وكانت الجدران تطلى بالشحم لمنع السجين من الهروب، أو عمل أي أثر في الحائط للنجاة[4].

أما عن وسائل التعذيب المستعملة في محاكم التفتيش،فمنها التعذيب بالماء:وهو عبارة عن توثيق المتهم فوق أداة تشبه السلم ،وربط ساقيه وذراعيه إليها،مع خفض رأسه إلى أسفل ،ثم توضع في فمه جرعات كبيرة من الماء ،وقد يصل ما يتجرعه إلى عدة لترات من الماء،و تعذيب الجاروى: هو عبارة عن ربط يدي المتهم وراء ظهره، وربطه بحبل حول راحتيه وبطنه،ورفعه وخفضه معلقا،سواء بمفرده أو مع أثقال تربط معه،وسحق العظام بآلات ضاغطة،وتمزيق الأرجل،وغيرها من وسائل التعذيب[5] .

---

[1]-لوري كارديلك:المرجع السابق،ص ص:114-115.

[2]-عبد الله عنان،المرجع السابق، تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين ،ص:334.

[3]-عبد تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين الله عنان،المرجع السابق،،ص:338.

[4]-محمد علي قطب:المرجع السابق،ص:78.

[5]-عبد الله عنان:المرجع السابق، تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين ،ص:338.

وبذلك نجد أن محاكم التفتيش ،هي تتويج لانتصار المسيحية على الإسلام،ومواكبة التطورات التي عرفتها إسبانيا منذ القران السياسي بين الملكين الكاثوليكيين،بل أصبحت هذه المحاكم تنظر في تلك الأعمال المروعة التي كانت ترتكبها بعين الكبرياء والرضا، وترى فيها نوعا من الإنقاذ القومي ،وتطهير الدين والوطن من أثار الإسلام[1].

[1]-جمال يحياوي: المرجع السابق،ص:69.

**المبحث الثاني:موقف علماء المغرب الإسلامي من تنصير وتهجير مسلمي الأندلس.**

**أولا :موقف العلماء من تنصير المسلمين في الأندلس:**

كان من نتائج الثورات[1] التي قام بها الموريسكيون[2] ،أن تم تنصير معظم السكان في مدينة ألمرية ووادي أش، وبسطة، وأماكن أخرى من مملكة غرناطة، وذلك في عام 1501م، أما في العام الذي يليه ،فقد أنزلت أشد العقوبات الصارمة بحق الموريسكيين ،الذين كانوا يقاومون التنصير القسري مقاومة شديدة ، لذلك تعرضوا للبطش، وخاصة بعد قمع ثوراتهم ،و ارتكبت بحقهم الجرائم البشعة، مثل :قتل الرجال وسبي النساء، وقتل الأطفال أو وضعهم في أحضان الكنيسة[3].

كما وضعت قواعد خاصة بمعاملة من أكرهوا على النصرانية ، حيث رأى الديوان المقدس أن يأخذ بها المسلمين المتنصرين ،في تهمة الكفر والمروق،حيث يعتبر الموريسكي قد عاد إلى الإسلام إذا إمتدح دين محمد عليه الصلاة والسلام،و يجب على كل نصراني أن يبلغ عما إذا كان قد رأى أو سمع بأن أحدا من الموريسكيين ،يباشر بعض العادات الإسلامية ،كأن يحتفل يوم الجمعة بأن يرتدي ثيابا أنظف من ثيابه العادية،أو أن يمتنع عن أكل لحم الخنزير،وشرب الخمر ،أو يقوم بالوضوء والصلاة، أو يتزوج وفقا لرسوم الشريعة الإسلامية،وغيرها من القواعد[4].

كانت هذه الشبه وأمثالها، تتخذ ذريعة للتنكيل بالموريسكيين، بالرغم من تنصرهم، وانتمائهم إلى دين سادتهم الجدد، ولقد كان الإسراف في مطاردة المسلمين، نذير سخط فالثورة،

---

[1]- إنتفاضة البيازين سنة 1499م ،و ثورة البشرات سنة 1501م .محمد رزوق:المرجع السابق،ص ص:59-60.

[2]-هم المسلمون الذين بقوا في الأندلس بعد سقوطها،حيث أظهروا النصرانية وأبطنوا الإسلام،ويسمون المسلمون الصغار.عبد الرحمن الحجي: المرجع السابق،ص:569.

[3]-عبده حتاملة:المرجع السابق،الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة،ص:689.

[4]-محمد علي قطب:مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس،د.م.ن،1985م،ص:48.

ولكن الثورة أخمدت ، ولم تعدل السياسة الإسبانية عن مسلكها ،ولقد صور متنصر أندلسي أوضاع المسلمين في تلك الفترة [1]، حيث يقول:

فلما دخلنا تحت عقد ذمامهم بدا غدرهم فينا بنقض العزيمة

وخان عهودا كان قد غرنا بها ونصرنا كرها بعنف وسطوة

وكل كتاب كان في أمر ديننا ففي النار ألقوه بهزء وحقرة

ولم يتركوا فيها كتابا لمسلم و لا مصحفا يخلى به للقراءة

ومن صام أو صلى ويعلم حاله ففي النار يلقوه على كل حالة[2].

لقد تردد صدى هذه المحنة التي نزلت بمسلمي الأندلس، بسرعة في جنبات العالم الإسلامي فنجد "**إبن العباس أحمد الدقون**"[3] ،يندب فيها الأندلس، ويذكر النفوس بشجوها، حيث إفتتحها بنثر نصه:«**إنه لما غابت شمس الجزيرة الخضراء ،بأخذ الحمراء،قرعت باب النُّدبة لما تقدم من الصحبة،فقلت أبياتا صدرت من قلب كئيب،مبكية كل لبيب أريب، وسميتها بالموعظة الغراء،بأخذ الحمراء، مبيحا لمن رغب فيها ،ولم يرغب عنها،وفهم وعظها ولحظها، وإن كنت لا أحسن أن أقول،وربما أعزى بها إلى الفضول،لكني لا أعدم المثيل**»[4].

يقول في قصيدته:

وكيف لا وبقاع الدين خالية من أرض أندلس من أجل أهوال

عمت فغمت قلوب المسلمين فيا للمسلمين من أعداء وأنكال

---

[1]- عبد الله عنان:المرجع السابق، تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين ،ص:346.

[2]-المقري:المصدر السابق،أزهار الرياض،ج1،ص ص:111-112.

[3]-هو أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي، المشهور بالدقون،الشاعر الخطيب بجامع القرويين بفاس، توفي مستهل شعبان من سنة 921هـ.المقري: المصدر السابق ،أزهار الرياض،ج1،ص:104.أحمد بابا التنبكتي:المصدر السابق،نيل الإبتهاج ،ص:136 . محمد مخلوف: المصدر السابق،ج1،ص:276.

[4]-المقري:المصدر السابق،أزهار الرياض،ج1،ص:104.

جاشت بها من جيوش الكفر ما درست بهم معالم أخيار و أقيال[1].

ويصف "**المقري**" حال المسلمين المتنصرين،فيقول:«**وزالت حرمة المسلمين،و أدركهم الهوان والذلة ،واستطال عليهم النصارى،وفرضت عليهم المغارم الثقيلة،وقطع عنهم الأذان في الصوامع،و أمرهم بالخروج من غرناطة إلى الأرباض،والقرى،فخرجوا أذلة صاغرين،ثم بعد ذلك دعاهم إلى التنصر،و أكرههم عليه،وذلك سنة أربع وتسع مائة،فدخلوا فيه كرها،وصارت الأندلس كلها دار كفر**»[2].

ولم تكتف الكنيسة الصليبية بكل هذه الأنواع من القهر، و إنما ذهبت إلى أبعد من ذلك فأجبرت المسلمين على سب نبيهم،وحرمت عليهم ذكر إسمه على ألسنتهم، وعاقبت كل من ذكره بالضرب، والسجن والتغريم:

وقد أمرنا أن نسب نبينا ولا نذكرنه في رخاء ولا شدة

وقد سمعوا قوما يغنون بإسمه فأدركهم عنهم أليم المضرة

وعاقبهم حكامهم وولاتهم بضرب وتغريم وسجن وذلة[3].

وبعد رحيل الإسلام عن الأندلس، نرى بعض الشعراء يتمنون رجوعه إلى ربوعها،و لكن أصواتهم لا تعدو أن تكون نوعا من الحنين ،إلى عهد مضى وتولى،كما نرى عند "**الدقون**" ، حينما نظر إلى غرناطة،فرآها موحشة، بعد أن رحل عنها الإسلام، وتمنى أن تستعيد أنسها بعودته إليها، فقال وهو يدرك إستحالة أمنيته[4]:

[1]- المقري:المصدر السابق،أزهار الرياض،ج1،ص ص:104-105.

[2]-نفسه،ص:68.

[3]-نفسه،ص:112.

[4]-الربعي بن سلامة:أدب المحنة الإسلامية في الأندلس،رسالة دكتوراه،الجزائر،جامعة الجزائر،1992م،ص:272.

وهل يعود لها الدين الذي أنست به وقد أيست من فتح أبدال[1]؟

فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم كمثل عاد وما عاد بأشكال.[2]

وفي الغرض ذاته نجد قصيدة لأديب موريسكي،يدعى بإسمه المسلم **محمد بن داود**،يصف ألام شعبه و الإضطهاد الذي يعانونه ،ويستمد فيها الغوث والعون من الله ونبيه[3] ،فيقول:

**«إستمعوا إلى قصة الأندلس المحزنة ،وهي تلك الأمة العظيمة التي غدت اليوم ضعيفة،مهيضة،يحيط بها الكفرة من كل صوب،وأضحى أبناؤها كالأغنام الذين لا راعي لهم، وفي كل يوم تسام سوء العذاب ،ولا حيلة لنا سوى المصانعة،حتى ينقذنا الله مما هو شر، قد حكموا فينا اليهود الذين لا عهد لهم ،و لاذمام،وفي كل يوم يبحثون عن ضلالات وأكاذيب، وخدع وانتقامات جديدة، ونرغم على مزاولة الشعائر النصرانية وعبادة الصور، ومسخ للواحد القهار،ولا يجرأ أحد على التذمر أو الكلام،و إذا ما قرع الناقوس ألقى القس عظته، بصوت أجش،وفيه يشيد بالنبيذ ولحم الخنزير،ثم تنحني الجماعة أمام الأوثان دون حياء أو خجل»**[4].

ثم يصف وسائل إرهاقهم ،والتضييق عليهم من التسجيل والتفتيش وغيرها،فيقول:

**«ومن عبد الله بلُغَته،قوضي عليه بالهلاك،ومن ضبط ألقي إلى السجن،وعذب ليل نهار، حتى يرضخ لباطلهم،ثم يصف وسائل إرهاقهم،والتضييق عليهم من التسجيل، والتفتيش وغيرها وما يفرض عليهم من الضرائب الفادحة،وكيف تؤدى عن الحي والميت، والكبير والصغير،والغني والفقير ،وكيف يرهقهم القضاة الظلمة ولا يفلت من ظلمهم كائن، وكيف يلقى بهم في السجن ، ويرغمون على التنصير،بالإعتقال والتعذيب،وكيف تهشم أوصال الفرائس ،ثم**

[1]-يشير إلى ماهو معروف في المغرب من الإستنصار بالأولياء، وهم الأبدال عند إشتداد الأزمات.

[2]-المقري:المصدر السابق،أزهار الرياض،ج1،ص:106.

[3]-عبد الله عنان:المرجع السابق، تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين ،ص:362.

[4]-محمد ماهر حمادة:المرجع السابق:571.

**تحمل إلى الميدان لتحرق أمام الجمع الحاشد،وكيف تكدس الظالم على رؤوسهم تكديسا ،ويسومهم الخسف أصاغر النصارى،وكل منهم يتفنن في ضروب الإضطهاد»**[1].

ثم يقول:«**ولقد علقوا يوم العيد (عيد سقوط غرناطة) في ميدان باب البنود قانونا جديدا،وأخذوا يدهمون الناس في نومهم ،ويفتحون كل باب،يزعمون بتجريدنا من ثيابنا، وقديم عاداتنا،ويمزقون الثياب ،ويحطمون الحمامات،ونحن إذ نيأس من عدل الإنسان نستغيث بالنبي،معتمدين على ثواب الآخرة،وقد حثنا شيوخنا على الصلاة والصوم،و أن نقصد وجه الله فهو الذي يرحمنا في نهاية الأمر»**[2].

وفي ظل هذا العسف و القهر،يفزع الموريسكيون إلى إستفتاء فقهائهم من مسلمي شمال إفريقيا، فيما أجبروا على إرتكابه من مخالفات صريحة لأوامر دينهم، وقد تصدى للرد على إستفتائهم لفقيه أبي جمة شقرون الوهراني[3].

[1]-عبد الله عنان:المرجع السابق، تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين ،ص:363.

[2]-محمد ماهر حمادة:المرجع السابق،ص:572.

[3]- الربعي بن سلامة: المرجع السابق،ص:247.

**فتاوى الفقيه أبي جمة شقرون الوهراني[1]:**

في سنة 910ه/28 تشرين الثاني (نوفمبر) 1504م،أصدر "**أبي جمة الوهراني**"، فتوى إلى جماعة الأندلسيين المتنصرين[2]، حيث يقدم إليهم بعض النصائح، التي يعاون إتباعها على تنفيذ أحكام الإسلام خفية، وعن طريق التورية والتستر، حيث أفتى بعدم مسئوليتهم عما أجبروا على إرتكابه من المعاصي و الأثام وإن بلغت حد الكفر ، ما دامت قلوبهم ناكرة لها،ومؤمنة بوجوب تغييرها متى قدرت على تغييرها[3].

ومن جملة ما قدمه من نصائح لتسهيل تعاملهم مع الوضع الجديد نذكر ما قاله في نص الفتوى[4] :

فيما يخص وحدانية الله يذكر:«**فاعلموا أن الأصنام خشب منجور ،وحجر جلمود، لا يضر ولا ينفع،و أن الملك ملك الله ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله، فاعبدوه، واصطبروا لعبادته**»[5].

و أما الذي تعذر عليه أداء الصلاة في النهار،فباستطاعته تأديتها بالليل،كذلك التطهر لأداء الشعائر الإسلامية،هو الأخر يمكن أن يعوض ،وفي هذا الغرض[6] يقول:« **فالصلاة ولو بالإيماء والغسل من الجنابة ولو عوما في البحور، وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار، وتسقط في الحكم طهارة الماء، وعليكم بالتيمم، ولو مسحا بالأيدي على الحيطان،**

---

[1]-هو أحمد بن أبي جمة شقرون الوهراني أبو العباس،من أهل وهران،رحل إلى فاس ودرس بها،من أثاره:جامع جوامع الإختصاص والتبيان فيما يعرض بين المعلمين و أباء الصبيان.عادل نويهض:المرجع السابق،ص:347.

[2]-محمد ماهر حمادة:المرجع السابق،ص:568.

[3]- عبد الله عنان:المرجع السابق، تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين ،ص:342.

[4]-أنظر الملحق رقم:03.

[5]-محمد ماهر حمادة:المرجع السابق،ص:569.

[6]-لوي كارديلك:الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون،تع وتق:عبد الجليل التميمي ،مطبعة الإتحاد العام للشغل،تونس ،ط1، 1983،ص: 92.

**فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة ، وقضاؤها لعدم الماء والصعيد،إلى أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدي، والوجه إلى تراب طاهر ،أو حجر أو شجر، مما يتيمم به»**[1].

أما فيما يتعلق بوقت الصلاة،فإن الموريسكي المجبر إلى التحول إلى الكنيسة في نفس الساعة التي وجب عليه أداء صلاته الإسلامية المفروضة ،فإنه في هذه الحالة يعفى من أدائها،وتحسب عليه وكأنه أداها تماما[2]،فيقول:«**و إن أكرهوكم في وقت صلاة إلى السجود للأصنام ،وحضور صلاتهم ،فاحرموا بالنية ، وأوتوا صلاتكم المشروعة، و أشيروا إلى مايشيرون إليه من صنم، ومقصودكم لله، وإن كان لغير القبلة، تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الإلتحام**»[3].

وإذا أجبر الموريسكي على شرب الخمر، أو أكل لحم الخنزير، فبإمكانه القيام بذلك، ولكن بشرط أن يعتبر ذلك فعلا فاحشا،ويدخر لنفسه حسن النية[4] ،فيقول:«**وإن أجبروكم على شرب الخمر ، فاشربوه لا بنية إستعماله،و إن كلفوا عليكم خنزيرا، فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم، ومعتقدين تحريمه، كذا إن أكرهوكم على محرم**»[5].

وأما فيما يتعلق بإجبار المسلمين الزواج بالنصارى ،فيقول «**و إن زوجوكم بناتهم ، فجائز لكونهم أهل الكتاب،و إن أكرهوكم على نكاح بناتكم منهم،فاعتقدوا تحريمه لولا الإكراه،و أنكم ناكرون لذلك بقلوبكم،وكذا إن أكرهوكم على ربا،أو حرام،فافعلوا منكرين بقلوبكم**»[6].

---

[1]-عبد الله عنان:المرجع السابق، تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين ،ص:343.

[2]-لوي كارديلك:المرجع السابق،ص:92.

[3]-جمال يحياوي:سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين ،دار هومة،الجزائر ،2004م،ص:266.

[4]-لوي كارديلك:المرجع السابق،ص:92.

[5]-عبد الله عنان:المرجع السابق، تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين ،ص:343.

[6]-محمد ماهر حمادة:المرجع السابق،ص:570.

وفي حالة ما أجبر الموريسكيون على التنكر لعقيدتهم،فإنه يجب عليهم أن يكونوا مراوغين،في أجوبتهم،و إن ضغطوا عليهم فإنه يجب عليهم في أعماق قلوبهم إنكار ما أجبروا على التصريح به[1] «**وإن أكرهوكم على كلمة الكفر،فإن أمكنكم التورية،و الإلغاز فافعلوا،وإلا فكونوا مطمئني القلوب بالإيمان،إن نطقتم بها ناكرين لذلك**»[2].

وإذا أجبر الموريسكيون على سب الرسول (عليه أفضل الصلاة والسلام)،فإنه وجب عليهم في هذه الحالة تسميته بمحمد،شأنهم شأن المسيحيين،وكذلك عدم ربطه بأنه مبعوث من عند الله،ولكن بالشيطان،أو بشخصية يهودية بإسم ممد[3]« **و إن قالوا اشتموا محمدا،فإنهم يقولون ممد،فاشتموا ممدا،ناوين الشيطان أو ممد اليهود،فكثير بهم إسمه** »[4].

وإذا أجبر الموريسكيون على جعل عيسى إبن مريم هو إبن الله،وجب عليهم في هذه الحالة القول بالإكراه مع نية إسقاط المضاف «**وإن قالوا عيسى إبن الله،فقولوها إن أكرهوكم وانووا إسقاط مضاف،أي عبد الله مريم معبود بحق،وإن قالوا، قولوا المسيح ابن الله ،فقولوها إكراها، وانووا بالإضافة للملك كبيت الله،لايلزم أن يسكنه أو يحل به،وإن قالوا عيسى توفي بالصليب،فانووا من التوفية ،والكمال والتشريف من هذه،وإماتته وصلبه،وإنشاد ذكره، وإظهار الثناء عليه،بين الناس،و إنه استوفاه الله برفعه إلى العلو**»[5].

[1]-لوي كارديلك :المرجع السابق،ص:92.

[2]-عبد الله عنان:المرجع السابق، تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين ،ص ص:343-344.

[3]- لوي كارديلك:المرجع السابق،ص:92.

[4]-محمد ماهر حمادة:المرجع السابق،ص:570.

[5]-عبد الله عنان:المرجع السابق، تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين ،ص:344.

وبهذه الجملة من الحيل ، نشأ الإسلام السري في إسبانيا، وأصبح الموريسكيون يمارسون طقوسهم الإسلامية وفق ما اقترحه عليهم مفتي وهران،الذي غدت فتواه مرجعية للأجيال المتعاقبة إلى غاية طرد المسلمين نهائيا من الأندلس، وذلك سنة 1610م في عهد الملك فيليب الثالث[1].

وعلى الرغم من كل وسائل العنف التي استعملتها السلطات الإسبانية،لتنصير المسلمين إلا أنهم استمروا في ممارسة شعائر دينهم بصورة سرية، فكانوا يؤدون فروض الصلاة سرا في بيوتهم، وكانوا يغلقون بيوتهم يوم الأحد، موهمين السلطات بأنهم ذهبوا إلى الكنيسة، وعندما يتم تعميد أطفالهم في الكنائس ،يبادرون إلى غسلهم بعد رجوعهم إلى بيوتهم مباشرة، وكانوا يعقدون حفلات الزواج على الطريقة الإسلامية سرا ،بعد إجراء الاحتفال العلني في الكنيسة[2].

و لهذا أصبحت تعاليم الإسلام ،و ممارساته تقاليد موروثة ،يتوارثها الأبناء عن الآباء جيلا بعد جيل في حلقات مغلقة،لها صفة المجالس السرية،وقد تعرض بعد هذه الأسر إلى الاضطهاد و الإبادة بسبب زلة لسان صبي، يعيش حالة من الازدواجية[3].

**ثانيا:موقف العلماء من تهجير المسلمين:**

عاش المسلمون في الأندلس حياة مزرية ،ذليلة بسبب الظلم ،وثقل أعباء الضرائب التي أجبرهم الحكام المسيحيين على دفعها،ومما أجبر الغالبية على الهجرة هو إنشاء محاكم التفتيش التي تهدف إلى تنصير المسلمين بإشراف الكنيسة،و تطبيق أشد العذاب على من رفض ذلك،إضافة إلى

[1]- إبن شارل الخامس،حكم من سنة 1006هـ/159م إلى سنة 1030هـ/1621م،تولى الملك بعد الملكين الكاثوليكيين "فرناندو" و"إيزابيلا"، وشارل الخامس، ثم فيليب الثاني،فهو إذن أخر الملوك بالنسبة لتاريخ التواجد الموريسكي بإسبانيا. جمال يحياوي:المرجع السابق،ص:67.محمد زروق:المرجع السابق،ص:111.

[2]-خليل إبراهيم السامرائي وآخرون:المرجع السابق،ص:380.

[3]-عبدو حتاملة:المرجع السابق،التنصير القصري لمسلمي الأندلس،ص:111.

تشدد فتاوى العلماء في وجوب الهجرة،و قد استنكروا البقاء في ديار الكفر،وحثوا على ضرورة الهجرة[1].

أما عن الحديث عن إتجاه هجراتهم فيتحدث مؤلف كتاب نبذة العصر قائلا:«**ثم بادر المسلمون بالجواز إلى العدوة من المراسي،فخرج من بقي من أهل مالقة في ثلاثة أيام إلى بادس،وخرج أهل ألمرية في نصف اليوم إلى تلمسان،وخرج أهل الجزيرة الخضراء إلى طنجة وخرج أهل رندة وبسطة ،وحصن موجر،وقرية قردوش ،وحصن مرتيل إلى تطوان[2] و أحوازها، وخرج أهل ترقة إلى المهدية،وخرج أهل منسين إلى بلاد الريف،وخرج أهل دانية ،و أهل جزيرة صقلية إلى تونس والجزائر والقيروان**»[3].

ويضيف قائلا:«**وخرج أهل لوشة ،وقرية الفخار ،والبعض من غرناطة، وأهل مرشانة وأهل البشرة إلى قبيلة غمارة بزاوية سيدي الغزال،وخرج أهل بربرة وبرجة وأندرش إلى مابين طنجة وتطوان،ثم إنتقل البعض منهم إلى قبيلة بني سعيد من قبائل غمارة ،و خرج ما بقي من أهل غرناطة إلى بجاية ووهران ومازونة وقابس وسفاقس وسوسة**»[4].

**أ–فتاوى الونشريسي حول هجرة المسلمين[5] :**

أخذ الأمر في القرن التاسع للهجري ،بعد سقوط غرناطة مباشرة اتجاها غريبا محزنا فلقد عاش النصارى في ذمة المسلمين في الأندلس قرونا متطاولة ،وشاركوا جيرانهم النصارى مر الحياة وحلوها،و لم يتعرض أحد منهم إلى إجبار على ترك عقيدة أو تقاليد،إلا إذا شاء ذلك مختارا فلما

[1]–مريم بوعامر:الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الإزدهار الحضاري،رسالة ماجستير،تلمسان،جامعة أبي بكر بلقايد، 2010،ص:50.

[2]–مدينة تقع بالمغرب قرب مدينة مليلة.الحميري:المصدر السابق،ص:145.

[3]–مؤلف مجهول:المصدر السابق،ص:48.

[4]–نفسه

[5]–أنظر الملحق رقم:04.

تغيرت الأحوال،وبدأ النصارى يتغلبون على بلاد المسلمين،أخذت المسألة وجهة أخرى ،وتجلى شيئا فشيئا أن النصرانية الإسبانية لا تقبل مزاحمة فيما دان لها من البلاد،بدا الأمر في صورة اتجاه ثم أصبح بعد سقوط غرناطة بقليل سياسة تنفذ ببالغ العنف والقسوة[1].

ونتيجة لهذه الأوضاع حُمل بعض الأندلسيين على أن يهاجروا إلى الشمال الإفريقي فرارا بدينهم،وبأنفسهم إدراكا لهذا النذير المهلك،مما دعا أن يصاغ اللوم لمن رضي بالبقاء من المسلمين تحت السلطة النصرانية في المدن الأندلسية الذاهبة،و أطلق على هؤلاء "**المدجنون**" إسما عرفوا به،لعل هذا أيضا دعا بعض العلماء إلى حث المدجنين[2] على الهجرة إلى أراضي المسلمين من أمثال "**أبي العباس الونشريسي**"[3]،وكتب في ذلك كتابا (بفتوى) :**أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر**[4].

أما عن سبب هذه الفتوى: هو أن أحد الفقهاء تساءل عن حكم الشرع فيمن آثر من المسلمين الأندلسيين الهجرة من دار الإسلام ليعيش تحت حكم النصارى ،والمقصود بهؤلاء بنوع خاص أولئك الذين هاجروا من القواعد الأندلسية المفتوحة إلى بلاد المغرب،ثم لم يجدوا بها ما أملوا من رخاء ويسر في العيش،وترتب على ذلك أنهم ندموا على هجرتهم وتمنوا العودة إلى ديارهم القديمة تحت حكم ملك قشتالة[5].

---

[1]-أبي العباس الونشريسي :أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر ،تح : حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ،مدريد ،1377هـ/1975م،مج5،عدد:1-2،ص:09.

[2]-هم المسلمون الذين ظلوا على دينهم بين الإسبان،قبل سقوط غرناطة،وانتهى بهم الأمر إلى مصير الأندلسيين الموريسكيين. عبدو حتاملة:المرجع السابق،الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة،:673.

[3]-هو أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد الونشريسي،من تلمسان ،هو من جملة فقهاء القرن التاسع الهجري،له عدة مصنفات منها:كتاب القواعد في الفقه،الفائق في أحكام الوثائق،توفي سنة 914هـ.محمد المكناسي:درة الحجال في أسماء الرجال،تح: محمد الأحمدي،القاهرة،مكتبة دار التراث، ج1،ص:92.أحمد بابا التنبكتي:المصدر السابق،نيل الإبتهاج،ص ص:135-136.

[4]-الحجي:المرجع السابق،ص:531.

[5]-عبد الله عنان:المرجع السابق ،تاريخ الأندلس ونهاية العرب المتنصرين،ص:60.

تتضمن الرسالة الأسئلة التالية:ما حكم من تمادى من المسلمين في ذلك؟وكيف بمن رجع منهم بعد الحصول في دار الإسلام إلى دار الكفر؟،وهل يجب وعظ هؤلاء أو يعرض عنهم ويترك كل واحد منهم لما اختاره ،وهل من شرط الهجرة أن لا يهاجر أحد إلا إلى دنيا مضمونة يصيبها عاجلا عند وصوله جارية على وفق غرضه حيث حل من نواحي الإسلام؟أو ليس ذلك بشرط؟ بل تجب عليهم الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام إلى حلو أو مر أو وسع أو ضيق أو عسر أو يسر بالنسبة لأحوال الدنيا ،و إنما القصد بها سلامة الدين والأهل والخروج من حكم الملة الكافرة[1].

وقد رد الفقيه على تلك الأسئلة بما يلي:

أن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة ،وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنة ،و لايسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية على معاقلهم وبلادهم ،و لا يتصور العجز عنها بكل وجه وحال لا الوطن ولا المال ،فإن ذلك كله ملغى في نظر الشرع،و أما المستطيع بأي وجه كان و بأي حيلة تمكنت فهو غير معذور وظالم لنفسه إن أقام[2].

تحريم هذه الإقامة تحريم مقطوع به من الدين،كتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، وقتل النفس بغير حق،ومن خالف الآن أورام الخلاف من المقيمين متهم والراكنين إليهم فجوز هذه الإقامة واستخف أمرها ،واستسهل حكمها فهو مارق من الدين،ومفارق لجماعة المسلمين ومحجوج بما لا مدفع فيه لمسلم،ومسبوق بالإجماع الذي لا سبيل إلى مخالفته وخرق سبيله[3].

نبعث هذه الموالاة النصرانية في المائة الخامسة وما بعدها من تاريخ الهجرة ،وقت استيلاء ملاعين النصارى على جزيرة صقلية ،وبعض كور الأندلس ،سئل عنها بعض الفقهاء واستفهموا عن الأحكام الفقهية المتعلقة بمرتكبيها،فأجاب بأن أحكامهم جارية مع أحكام من أسلم ثم لما ولم يهاجر

[1]-أبي العباس الونشريسي:المصدر السابق،المعيار المعرب و الجامع المغرب، ج2 ،ص: 120 .محمد المنوني وآخرون:التاريخ الأندلسي من خلال النصوص ،المدارس للنشر والتوزيع،الدار البيضاء، ط1،1412هـ/1991م،ص:252.

[2]-أبي العباس الونشريسي،المصدر السابق،أسنى المتاجرفي بيان من غلب على وطنه النصارى،ص ص:23-24.

[3]-أبي العباس الونشريسي:المصدر السابق،المعيار المعرب و الجامع المغرب ،ج2،ص:124.

وألحقوا هؤلاء المسئول عنهم والسكوت عن حكمهم بهم،و سووا بين الطائفتين في الأحكام الفقهية المتعلقة بأموالهم وأولادهم ولم يروا فيها فرقا بين الفريقين[1].

**ب –إلزام الأندلسيين بالهجرة:**

أفتى الونشريسي بعدم جواز الإقامة في دار الكفر ،في شأن رجل من أهل مربلة[2]،معروف بالفضل والدين ،تخلف عن الهجرة مع أهل بلده ،ليبحث عن أخ له فقد قبل في قتال العدو بأرض الحرب ،فبحث عن خبره إلى الأن لم يجده،فأراد أن يهاجر فعرض له سبب أخر،و هو أنه لسان وعون للمسلمين حيث سكناه،ولمن جاورهم أيضا من أمثالهم بغربية الأندلس،يتكلم عنهم مع حكام النصارى فيما يعرض لهم معهم من نوائب الدهر،ويخاصم عنهم ،ويخلص كثيرا منهم من ورطات عظيمة ،بحيث أنه يعجز عن تعاطي ذلك عنهم أكثرهم،بل قلَّ ما يجدون مثله في ذلك الفن إن هاجر وبحيث أنه يلحقهم في فقده ضرر كبير إن فقدوه[3].

تضمنت الرسالة الأسئلة التالية:هل يرخص له في الإقامة معهم تحت حكم الملة الكافرة،لما في إقامته هناك من المصلحة لأولئك المساكين ،مع أنه قادر على الهجرة متى شاء؟ أو لا يرخص له، إذ لا رخصة لهم أيضا في إقامتهم هناك ،تجري عليهم أحكام الكفر، لا سيما وقد سمح لهم بالهجرة مع أن أكثرهم قادرون عليها متى أحبوا؟و لو رخص له في الإقامة هناك ،فهل يرخص له أيضا في الصلاة بثيابه حسب إستطاعته؟ إذ لا تخلو في الغالب عن نجاسة لكثرة مخالطته للنصارى،وتصرفه بينهم ،و رقاده وقيامه في ديارهم في خدمة المسلمين[4].

وقد رد الفقيه على الأسئلة بما يلي:

---

[1]– أبي العباس الونشريسي:المصدر السابق،أسنى المتاجر في بيان من غلب على وطنه من النصارى ،ص ص:30-31. أبي العباس الونشريسي:المصدر السابق، المعيار المعرب و الجامع المغرب،ج2 ، ص:125.

[2]–محمد المنوني وآخرون،المرجع السابق،ص:262.

[3]–أبي العباس الونشريسي:المصدر السابق،المعيار المعرب و الجامع المغرب ،ج2،ص:137.

[4]– أبي العباس الونشريسي:المصدر السابق،أسنى المتاجر في بيان من غلب على وطنه من النصارى ،ص:56.

**لا تجوز الإقامة في أرض الكفر لأن ذلك يتنافي مع عزة الإسلام:**

إن الله قد جعل الخزية في أعناق ملاعين الكفار،سلاسل وأغلال يطوفون بها في الأقطار، وفي أمهات المدائن والأمصار،إظهارا لعزة الإسلام ،وشرف نبيه المختار،فمن حاول من المسلمين إنقلاب تلك السلاسل والأغلال في عنقه،فقد حادَّ الله ورسوله،وعرض بنفسه إلى سخط العزيز الجبار حقيق أن يكبكبه الله معهم في النار[1]،قال الله تعالى:﴿**كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز**﴾[2].

الواجب على كل مؤمن ،يؤمن بالله واليوم الأخر ،السعي في حفظ رأس الإيمان ،بالبعد والفرار عن مساكنة أعداء حبيب الرحمن، والاعتدال بإقامة الفاضل المذكور،بما عرض من غرض الترجمة بين الطاغية والمسلمين،لا يخلص من واجب الهجرة،لأن مساكنة الكفار من غير أهل الذمة ،لا تجوز ولا تباح ساعة من نهار ،لما تنتجه من الأدناس ،و المفاسد الدينية والدنيوية طول الأعمار،منها أن غرض الشرع أن تكون كلمة الإسلام وشهادة الحق قائمة على ظهورها،عالية على غيرها[3].

**الإقامة في أرض الكفر تحول دون كمال الصلاة:**

ومنها أن كمال الصلاة التي تتلو الشهادتين في الفضل، والتعظيم والإعلان ،والظهور لا يكون ولا يتصور إلا بكمال الظهور، والعلو والنزاهة من الازدراء، و الاحتقار في مساكنة الكفار، و ملابسة الفجار،تعريضها للإزدراء ،والهزء واللعب[4]، قال الله تعالى:﴿**إذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزؤا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون**﴾.[5]

---

[1] – أبي العباس الونشريسي:المصدر السابق،المعيار المعرب و الجامع المغرب ،ج2،ص:138.

[2] –سورة المجادلة،الآية:21.

[3] – أبي العباس الونشريسي:المصدر السابق،أسنى المتاجر في بيان من غلب على وطنه من النصارى ، ص:57.

[4] –محمد المنوني:المرجع السابق،ص:63.

[5] –سورة النمل،الآية:18.

**الإقامة في أرض الكفر تعطل الزكاة والصيام:**

ومنها إيتاء الزكاة، ولا يخفى على ذي بصيرة وسريرة مستنيرة، أن إخراج الزكاة للإمام من أركان الإسلام ، وشعائر الأنام، وحيث لا إمام ،فلا إخراج لعدم شرطها، فلا زكاة لفقد مستحقها، وأما إخراجها لمن يستعين بها على المسلمين، فلا يخفى أيضا ما فيه من المناقضة للمتعبدات الشرعية كلها[1].

ومنها صيام شهر رمضان ، ولا يخفى أنه فرض على الأعيان، و زكاة الأبدان، وهو مشروط برؤية الهلال إبتداءا وإنقضاءا، وفي أكثر الأحوال إنما تثبت الرؤية بالشهادة، والشهادة لا تؤدى إلا عند الأئمة ، وخلفائهم، وحيث لا إمام ولا خليفة، ولا شهادة، فالشهر إذ ذاك مشكوك الأول و الأخر في العمل الشرعي[2].

**الإقامة في دار الكفر تمنع من الجهاد:**

الجهاد هو إعلاء لكلمة الحق، ومحو الكفر من قواعد الأعمال الإسلامية، وهو فرض على الكفاية، وعند أمس الحاجة ، ولا سيما بمواضع هذه الإقامة المسئول عنها، وما يجاورها ، ثم هم إما تاركوه من غير ضرورة مانعة، فهم كالعازم على تركه من غير ضرورة، والعازم على الترك من غير ضرورة كالتارك قصدا مختارا، و إما مقتحمون نقيضه بمعاونة أوليائهم على المسلمين، إما بالنفوس ،أو بالأموال ، فيصيرون حربيين مع المشركين[3].

[1] – أبي العباس الونشريسي:المصدر السابق، المعيار المعرب و الجامع المغرب ،ج2،ص:138.

[2] –نفسه،ص:139.

[3] – أبي العباس الونشريسي:المصدر السابق،أسنى المتاجر في بيان من غلب على وطنه من النصارى ،ص:59.

يؤكد الونشريسي على وجوب الهجرة،لإرتباطها بالعقيدة الصحيحة[1]، فيقول:«**فكيف يتوقف متشرع أو يشك متورع ، في تحريم هذه الإقامة مع إستصحابها لمخالفة جميع هذه القواعد الإسلامية الشريفة والجليلة**»[2] .

**تحريم الإقامة خوفا من نقض النصارى لعهودهم:**

وما يحرم إقامة مسلمي الأندلس في أرض الكفر أمور عدة منها:نقض العهد من الملك والتسلط على النفس، والأهل والولد، والمال، فقد روى أن عمر بن عبد العزيز،نهى عن الإقامة بجزيرة الأندلس، مع أنها كانت في ذلك الوقت رباطا، لا يجهل فضله، ومع ما كان المسلمون عليه من العزة والظهور ،و وفور العدد والعدة ،لكن مع ذلك نهى عنه الخليفة، ونصيحته لرعيته خوف التغرير، فكيف بمن ألقى نفسه ، وأهله و أولاده بأيديهم، وهم في حالة القوة، بالإضافة إلى أن عددهم كثير وعدتهم موفورة[3].

**الخوف من غلبة عاداتهم ولغتهم ولباسهم على المقيمين بينهم:**

ومنها الخوف من سريان سيرهم، ولسانهم ولباسهم، وعوائدهم المذمومة، إلى المقيمين بينهم بطول السنين،و إذا فقد اللسان العربي ، فقدت متعبداته[4].

وفي الغرض ذاته أفتى العلامة"**محمد العبدوسي**"[5]،للموريسكيين بأن المقام بين أظهر الكفار اختيارا، يعد كبيرة عظيمة،وبأنه يجب الخروج على من قدر ،ولو بتسليم أمواله،إن كان ما يبقي له إلى

[1]-مريم بوعامر:المرجع السابق،ص:50.

[2] - أبي العباس الونشريسي:المصدر السابق،المعيار المعرب و الجامع المغرب ،ج2،ص:139.

[3]-محمد المنوني وآخرون:المرجع السابق،ص:265.

[4]-أبي العباس الونشريسي:المصدر السابق،ج2،ص:139.

[5]- هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى بن معطي العبدوسي الفاسي، الفقيه الخطيب بجامع القرويين، توفي سنة 849هـ. إبن القاضي:المصدر السابق،ص:425. محمد مخلوف:المصدر السابق،ج1،ص:255.

دار الإسلام، وأما المقام بأرض الكفر من أجل الخوف على النفس والمال ،فهو جائز ولا يكون جرحة في المقيم[1].

[1]-العبدلي الغامدي:المرجع السابق،ص:515.

# الخاتمة

بعد قيامنا بدراسة موقف علماء المغرب الإسلامي من الصراع الإسلامي المسيحي بالأندلس خلال الفترة الممتدة ما بين القرن 6هـ/12م و القرن 9هـ/15م ، وتتبع فصول هذا الصراع وانعكاساته وموقف العلماء منه ، خلصنا إلى النتائج التالية:

01) شهد القرن 5هـ/11م في الأندلس إنحلال سياسي تام ،وتفككت وحدة البلاد الإسلامية من خلال ظهور الدويلات الطائفية العربية والبربرية والصقلبية ،واتسمت العلاقات بين ملوك الطوائف بالعداء ، مما أدى إلى ضعف المسلمين في المنطقة ، في مقابل ذلك عمل النصارى على ترسيخ الوحدة بينهم لتحقيق أهدافهم الوطنية والدينية.

02) يعد تدخل المرابطين في الأحداث التي شهدها الأندلس بداية من النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، مرحلة جديدة من تاريخ هذه المنطقة، حيث وحدت الأندلس ، وأزالت دول الطوائف، فغدت بذلك الأندلس ولاية تابعة للجبهة المغربية ،إلى جانب هذا حققت إنتصارات باهرة في عدة معارك نذكر منها: معركة الزلاقة سنة 479هـ، ومعركة إقليش سنة 501هـ.

03) وحين إنقرضت دولة المرابطين من الوجود بقيام الدولة الموحدية ،وأخذت هذه تفرض وجودها في المنطقة ، وتظهر نية جازمة للنهوض بمهام الجهاد في الأندلس ، حيث استطاعت أن ترد هجمات النصارى على القواعد الإسلامية بالأندلس، وحققت العديد من الإنتصارات نذكر منها :معركة الأرك سنة 591هـ، وبعد هذا الإنتصار العظيم لم يلبث المسلمون فترة قصيرة حتى تمت هزيمتهم في موقعة العقاب سنة 609هـ، وفي ظل هذه الهزيمة توفي محمد الناصر في شعبان 610هـ/1213م،وبعد وفاته بدأ يدب الضعف في صفوف البيت الموحدي، وانعكس ذلك على الأندلس ، فبدأت تصفية ما بقي للمسلمين في خلال بقية العصر الموحدي ولم تبق إلا مملكة غرناطة.

04) وأمام ضعف السلطة الموحدية في المحافظة على الدولة في المغرب والأندلس ،ظهرت زعامات محلية إستقلت في أماكنها بالمغرب هي الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى، والدولة الزيانية

بالمغرب الأوسط، والدولة المرينية بالمغرب الأقصى،تميزت علاقة هذه الإمارات بمملكة غرناطة بالإختلاف ،إذ لم تكن على درجة واحدة ، وإنما نجد تباينا ، وهذا راجع لتباين القوى بين الدول الثلاث ،ولكن عموما اتسمت العلاقات بالعمل في حدود الإمكانات المتاحة وظروف كل دولة من أجل العمل على حماية الأندلس من ضربات النصارى، ومنع سقوطها بأيديهم.

05)إن الدور الذي أداه بنو مرين في تضامنهم مع إخوتهم المسلمين في مملكة غرناطة لم يقتصر على المستوى الدولي بل تعدى إلى المجهود الشعبي بالمال والعتاد والرجال ، والتي هي دعائم أساسية في الحرب.

06)أدى بنو حفص دورا كبيرا في مساعدة المسلمين في مملكة غرناطة في وقت غابت فيه معظم الدول عن تقديم يد العون والمساعدة لمملكة غرناطة، كما أدى بنو زيان دورا كبيرا في تضامنهم مع مملكة غرناطة ، وأن الأوضاع التي كانت تعيشها تلك الدولة لم تكن لتشكل حاجزا بينها وبين التضامن على مستوى شعبها وحضورهم إلى جانب أخوانهم مسلمي مملكة غرناطة في حروبهم مع النصارى.

07) بعد تعاظم الخطر في الأندلس وتعاقب النكبات وسقوط المدن والمعاقل بيد النصارى تفاعل علماء المغرب الإسلامي مع هذه الأحداث، فكانت كل مدينة تسقط تثير مشاعر الحزن والأسى في نفوسهم، فيعبرون عن ذلك بكل الوسائل محاولة منهم للسيطرة على الوضع ولم الشتات ،وإعادة الوحدة إلى الأمة الإسلامية لتقف أمام عدوها صفا واحدا وإدراكا منهم لأهمية ذلك الأمر فكان منهم طائفة تدعو الناس إلى مناهضة العدو ومواجهة عدوانه عن طريق إصدار الفتاوى الشرعية الموضحة لفرضية الجهاد في بلاد الأندلس، وتصنيف كتب لغرض الدعوة إلى الجهاد ومواجهة الحملات الفكرية النصرانية ضد الإسلام والمسلمين في الأندلس.

08)وطائفة أخرى إتخذت من المساجد مكانا خاصا للقيام بهذا الدور الذي لم يكن مقصورا على الصلاة وأداء الشعائر الدينية فحسب، وإنما كان مكان لتخصيص الدروس والخطب بهدف توعية المسلمين ، والمكان الذي ينطلق منه المقاومون ، والمحاربون في سبيل الله.

09) وطائفة أخرى من العلماء متمثلة في الشعراء عملت على تحفيز الهمم ، والدعوة إلى العمل والحث على السعي ، ومضاعفة الجهد ، وقد أدى الشعراء واجبهم كاملا في حومة الصراع المرير ، وكان لشعرهم أثر كبير في تهيئة النفوس ، وتحريضها على الجهاد ، ومقاومة العدو لأنهم يعبرون في قصائدهم عما يختلج في نفوسهم من بغض الأعداء ،ورغبة ملحة في طردهم من بلاد المسلمين، كما كانوا يعبرون في الوقت نفسه عن أماني الشعب المسلم ، وتطلعاته في استعادة بلاده.

10) لم يقتصر دور العلماء في فترة الصراع على مهمة الوعظ والإرشاد ، وشحذ الهمم ، وتقوية النفوس وحسب ، وإنما حملوا السلاح ، وقاتلوا حتى نالوا الشهادة في سبيل الدفاع عن الأندلس، وهذا راجع إلى إستشعارهم ، وفهمهم لركن الجهاد الذي رسخه الإسلام كمفهوم أساسي، وواجب على جميع المسلمين عالمهم ،و جاهلهم ، وهو ما دفع بالعلماء للإنضمام للجيش الإسلامي كمتطوعين ، وبذلك نرى أن العلماء لعبوا دورا بارزا في مجال الجهاد الحربي ضد النصارى.

11)كما كان لعلماء المغرب الإسلامي حضور متميز في مجال الإنفاق على الجهاد الحربي ضد النصارى سواءا ما كان في إطار حماية المسلمين ، أو أخذ الأهبة للجهاد ، أو في معالجة الأوضاع بعده ، فكان هؤلاء القدوة في طليعة المنفقين في هذا المجال في شتى صوره.

12)من بين أهداف مشاركة العلماء في حركة الجهاد بأموالهم وأنفسهم ضد أعداء الأمة المسيحيين هو تأكيد مشروعية الحروب التي خاضها المسلمون، كما أن مرافقة العلماء للجيش والمشاركة في القتال كان يزيد من تحفيز وتشجيع المجاهدين على الإستبسال في المعارك والرغبة في تحقيق الحسنين إما النصر وإما الشهادة.

13) وكذلك بذل العلماء جهودا كبيرة في الحفاظ على الإسلام وحماية المسلمين عن طريق توجيه نصائح وفتاوى تساعد المسلمين في أداء واجباتهم الدينية في ظل الإضطهاد والتعسف النصراني.

14)أثبت العلماء أنهم حصون الأمة وقادتها ، وقدوة المسلمين ، ورموزهم لأن العلم إيمان وعمل وصدارة العلم لها مسؤولياتها وتكاليفها.

# قائمة الملاحق

# الملحق رقم:01

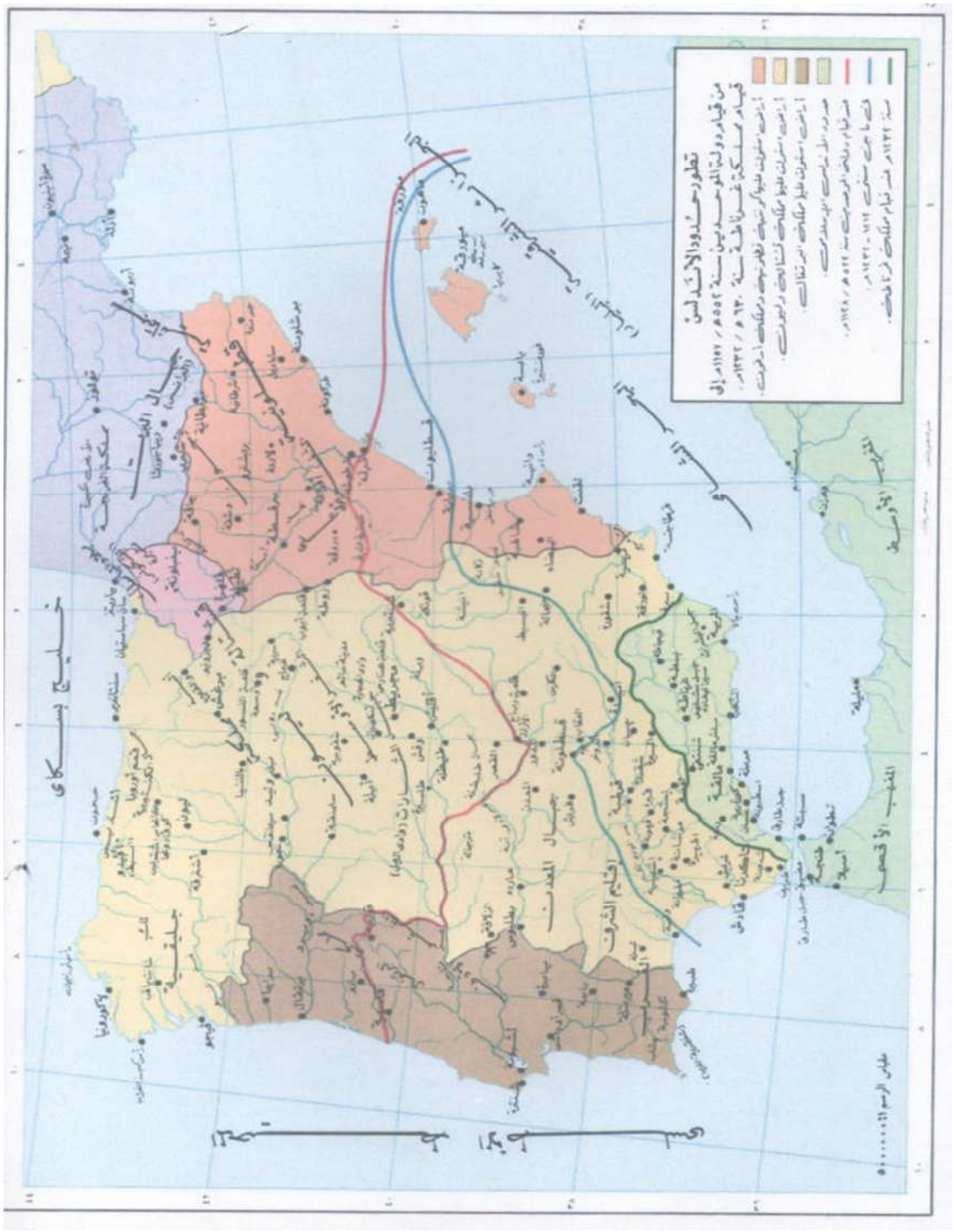

حسين مؤنس:أطلس تاريخ الإسلام،الزهراء للإعلام العربي،القاهرة،ط1407،1هـ/1987م،ص:175.

## الملحق رقم: 02

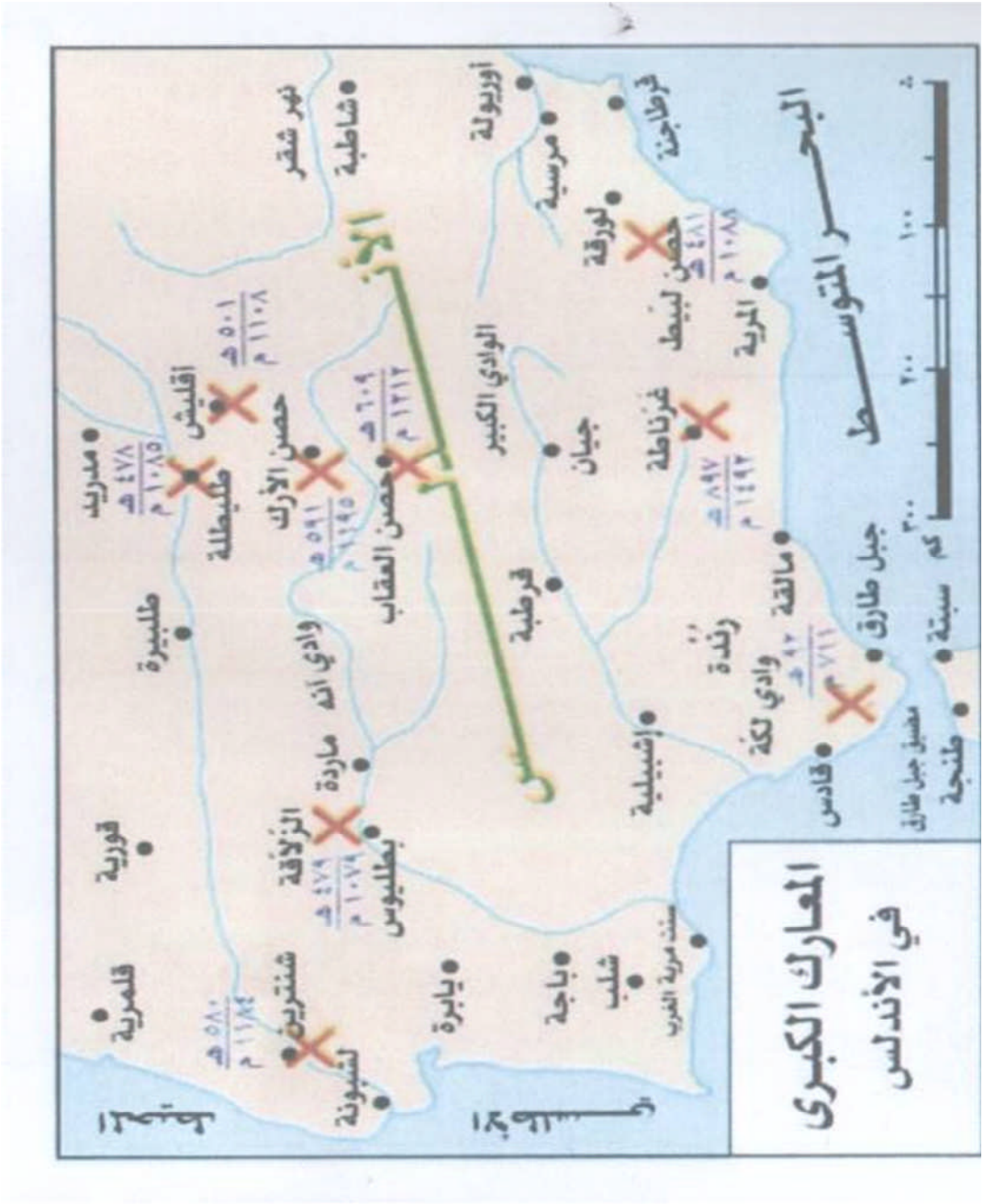


شوقي أبو خليل:المرجع السابق،ص:81

## الملحق رقم: 03

### رسالة موجة من الفقيه أبو جمة الوهراني إلى الموريسكيين الذين يسميهم الغرباء وفيها نصائح لهم تتعلق بتمكينهم من ممارسة شعائر الإسلام خفية رغم الإضطهاد وتاريخها أول رجب سنة 910هـ الموافق ل 28 تشرين الثاني 1504م

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وأله وصحبه وسلم تسليما

إخواننا القابضين على دينهم ، كالقابض على الجمر ، من أجزل الله ثوابهم فيما لقوا في ذاته ،وصبروا النفوس، والأولاد في مرضاته، الغرباء القرباء إن شاء الله ، من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته،وارثوا سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق ،وإن بلغت النفوس إلى التراق، نسأل الله أن يلطف بنا ، وأن يعيننا وإياكم على مراعاة حقه، ويحسن إيمان وصدق، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا.

بعد السلام عليكم ، من كتابة إليكم من عبيد الله أصغر عبيده وأحوجه إلى عفوه ومزيده، عبيد الله تعالى أحمد بن بوجمة المغراوي ثم الوهراني، كان الله للجميع بلطفه وستره ، سائلا من إخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء بالحسن الخلقة والنجاة من أهوال هذه الدار ،وحشر مع الذين أنعم الله عليهم من الأبرار ، وموكدا عليكم في ملازمة دين الإسلام أمرين به من بلغ من أولادكم ،إن لم تخافوا دخلوا شر عليكم من إعلام عدوكم بطويتكم فطوبى للغرباء للذين يصلحون إذا فسد الناس ، وإن ذاكر الله بين الغافلين كالحي بين الموتى ، فاعلموا أن الأصنام خشب منجور ، وحجر جمود لا يضر ولا ينفع ،أن الملك ملك الله ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ،فاعبدوا واصطبروا لعبادته ،بالصلاة ولو بالإيماء ،والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم أو رياء، لأن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم والغسل من الجنابة ولو عوما في البحور ،وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار ،وتسقط في الحكم طهارة الماء ، وعليكم بالتيمم ولو مسحا بالأيدي للحيطان ، فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء والصعيد إلى أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدي والوجه إلى التراب الطاهر أو الحجر أو الشجر مما يتيمم به ، فاقصدوا بالإيماء ، نقله إبن الناجي في الشرح الرسالة ، لقوله عليه السلام : فأتوا منه ما استطعتم ، وإن كرهوكم في وقت الصلاة إلى السجود للأصنام ، أو حضور صلاتهم فاحرموا بنية وانووا صلاتكم المشروعة ، وأشيروا لما يشيرون من الصنم

ومقصودكم الله ، إن كان لغير القبلة تسقط في حقكم كالصلاة الخوف عند الإلتحام ، وإن أجبروكم على شرب الخمر ، فاشربوه لا بنية إستعماله ،وإن كلفوا عليكم خنزيرا فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم ومعتقدين تحريمه ، وكذا إن أكرهوكم على محرم ، وإن زوجوكم بناتهم فجائر لكونهم أهل الكتاب ، وإن أكرهوكم على إنكاح بناتكم منهم فاعتقدوا تحريمه لولا الإكراه ، وأنكم ناكرون لذلك بقلوبكم ، ولو وجدتم قوة لغيرتموه ،وكذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم ، ثم ليس عليكم إلا رؤوس أموالكم و تتصدقون بالباقي إن تبتم إلى الله تعالى ، وإن أكرهوكم على كلمة الكفر فإن أمكنكم التورية والإلغاز فافعلوا ، وإلا فكونوا مطمئني القلوب بالإيمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك.

وإن قالوا اشتموا محمدا فإنهم يقولون له ممد فاشتموا ممدا، تأويل أنه الشيطان ،أو ممد اليهود فكثير بهم اسمه، وإن قالوا عيسى بن الله فقولوها إن أكرهوكم،وانووا إسقاط المضاف أي عبد الله مريم المعبود بحق ،وإن قالوا قولوا المسح إبن الله فقولوها إكراها ،وانووا بالإضافة للملك كبيت الله لا يلزمه أن يسكنه أو يحل به ،وإن قالوا قولوا مريم زوجة له فانووا بالضمير إبن عمها الذي تزوجها في بني إسرائيل ثم فارقها قبل البناء ، قاله السهيلي في التفسير المبهم من الرجال في القرآن ،أو زوجها الله منه بقضائه وقدره ،وإن قالوا عيسى توفي بالصلب فانووا من التوفيه ، والكمال ،والتشريف من هذه ، وإماتته وصلبه ، إنشاد ذكره، وإظهار الثناء عليه بين الناس ، وأنه استوفاه برفعه إلى العلو، وما يعسر عليكم فابعثوا فيه إلينا نرشدكم إن شاء الله على حسب ما تكتبون به، وإنا نسأل الله أن يديل الكرة للإسلام حتى تعبدوا الله ظاهرا بحول الله من غير محنة ،ولا وجلة ، بل بصدمة الترك الكرام ، ونحن نشهد لكم بين يدي الله أنكم صدقتم الله ورضيتم به ولا بد من جوابكم والسلام عليكم جميعا بتاريخ غرة رجب عام عشرة وتسع مئة ،عرف الله يصل الغرباء إن شاء الله تعالى.

محمد ماهر حمادة: المرجع السابق، ص ص:568-571.

## الملحق رقم: 04

## أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى

## ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر

فتوى في صورة سؤال وجهها أحد الفقهاء إلى فقيه المغرب محمد بن يحي التلمساني حول البقاء في الأندلس للمسلمين أو المهاجرة إليها.

كتب إلي الشيخ الفقيه المعظم الخطيب الفاضل القدوة الصالح ، البقية ، والجملة الفاضلة النقية العدل الأرضى أبو عبد الله بن قطية ، أدام الله سموه ورقيه ، بما نصه:

ماحكم من تمادى من المسلمين في ذلك ؟ وما حكم من عاد منهم إلى دار الكفر بعد حصوله في دار الإسلام؟ وهل يجب وعظ هؤلاء أو يعرض عنهم ويترك كل واحد منهم لما اختاره ؟ وهل من شرط الهجرة ألا يهاجر أحد إلا إلى دنيا مضمونة يصيبها عاجلا عند وصوله جارية على وفق غرضه حيث حل من نواحي الإسلام ؟ أو لليس ذلك بشرط بل تجب عليهم الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، إلى حلو أو مر أو وسع أو ضيق أو عسر أو يسر بالنسبة لأحوال الدنيا ، وإنما القصد بها سلامة الدين والأهل والولد ، والخروج من حكم الملة الكافرة إلى حكم الملة المسلمة ، إلا ما شاء الله من حلو أو مر أو ضيق عيش أو سعة، ونحو ذلك من أحوال الدنيا .

## جواب السؤال السابق بصورة فتوى من الشيخ أحمد بن يحي

## التلمساني الونشريسي عن هذه المسائل:

إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة ، وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل ،وهو يؤيد قوله بطائفة من الأحاديث النبوية.

ولا يسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية على معاقلهم وبلادهم ، ولا يتصور العجز عنها بكل وجه وحال ، لا الوطن ولا المال فإن ذلك كله ملغى في نظر الشرع ، وأما المستطيع بأي وجه كان و بأي حيلة تمكنت ، فهو غير معذور وظالم لنفسه إن أقام ، والظالمون أنفسهم إنما هم التاركون الهجرة مع القدرة عليها ، حسبما تضمنه قوله تعالى﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ ، والمعاقب عليه إنما هو من مات مصرا على هذه الإقامة.

وتحريم هذه الإقامة تحريم مقطوع به من الدين كتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وقتل النفس بغير حق ...ومن جوز هذه الإقامة واستخف أمرها واستسهل حكمها فهو مارق من الدين ومفارق لجماعة المسلمين ، ومحجوج بما لا مدفع فيه لمسلم ، ومنبوذ بالإجماع الذي لا سبيل إلى مخالفته وخرق سبيله ،قال زعيم الفقهاء القاضي أبو الوليد بن رشد في أول كتاب التجارة إلى أرض الحرب من مقدماته: « فرض الهجرة غير ساقط بل الهجرة باقية لازمة إلى يوم القيامة ، وأجاب بإجماع المسلمين على من أسلم بدار الحرب أن لايقيم بها حيث تجري عليه أحكام المشركين ، وأن يهجره ويلحق بدار المسلمين حيث تجري عليه أحكامه».

ثم لما نبعث هذه الموالاة النصرانية في المئة الخامسة وما بعدها من تاريخ الهجرة وقت إستيلاء ملاعين النصارى –دمرهم الله –على جزيرة صقلية وبعض كور الأندلس ، سئل فيها بعض الفقهاء ، واستفهموا عن الأحكام الفقهية المتعلقة بمرتكبها ، فأجاب بأن أحكامهم جارية مع أحكام من أسلم ولم يهاجر ، وألحقوا هؤلاء المسئول عنهم ، والسكوت عن حكمهم بهم ، وسووا بين الطائفتين في الأحكام الفقهية المتعلقة بأموالهم وأولادهم ، ولم يروا فيها فرقا بين الفريقين .

أبي العباس الونشريسي: المصدر السابق،المعيار المعرب والجامع المغرب ، ص ص : 119-135.

# فهرس الموضوعات

| | |
|---|---|
| **شكر وتقدير** | |
| **الإهداء** | |
| **قائمة المختصرات** | |
| **مقدمة** | أ-ي |
| **مدخل (12-27)** | |
| **الفصل الأول : صراع دول المغرب مع الممالك المسيحية في الأندلس (29-64)** | |
| **المبحث الأول** :صراع الدولة الموحدية مع الممالك المسيحية | 44-30 |
| **أولا** : معركة الأرك ونتائجها | 37-33 |
| أ-المعركة | 37-33 |
| ب-نتائجها | 37 |
| **ثانيا** : معركة حصن العقاب ونتائجها | 44-38 |
| أ-المعركة | 41-38 |
| ب-نتائجها | 44-42 |
| **المبحث الثاني** : صراع الدولة المرينية مع الممالك المسيحية | 55-44 |
| **أولا**: دور بني مرين في تدعيم الجبهة الإسلامية في الأندلس | 51-46 |
| أ-غزو قرطبة | 48 |
| ب-فتح جبل طارق | 51-49 |
| **ثانيا**:معركة طريف ونتائجها | 55-51 |
| أ-المعركة | 53-51 |
| ب-نتائجها | 55-53 |
| **المبحث الثالث** : صراع الدولة الحفصية والدولة الزيانية مع الممالك المسيحية | 64-56 |
| **أولا**:صراع الدولة الحفصية مع الممالك المسيحية | 60-57 |
| **ثانيا**:صراع الدولة الزيانية مع الممالك المسيحية | 64-60 |

| | |
|---|---|
| **الفصل الثاني : إسهامات علماء المغرب الإسلامي في الدفاع عن الأندلس (66–98)** | |
| **المبحث الأول : دور العلماء في الحض على الجهاد** | 81-67 |
| **أولا** : من خلال التأليف والفتاوى والدروس | 74-67 |
| أ- التأليف | 71-67 |
| ب-الفتاوى | 73-72 |
| ج-الدروس التحريضية | 74-73 |
| **ثانيا:** من خلال الخطب والرسائل والأشعار | 81-74 |
| **أ-**الخطب | 75-74 |
| ب-الرسائل | 77-76 |
| ج-الأشعار | 81-77 |
| **المبحث الثاني** : مشاركة العلماء في الجهاد الحربي ضد النصارى | 98-82 |
| **أولا** : من خلال المشاركة الميدانية في الحرب | 93-82 |
| **ثانيا** : من خلال إنفاق الأموال | 98-94 |
| **الفصل الثالث: دور العلماء في الحفاظ على العقيدة الإسلامية بعد سقوط الأندلس (100–129)** | |
| **المبحث الأول** :أوضاع المسلمين عقب سقوط مملكة غرناطة | 112-101 |
| **أولا**:سقوط غرناطة ومعاهدة التسليم | 104-101 |
| **ثانيا**:بداية التضييق على مسلمي الأندلس | 106-105 |
| **ثالثا**: بدء المحنة ومحاولة التنصير | 110-106 |
| **رابعا** :محاكم التفتيش | 112-110 |
| **المبحث الثاني**:موقف علماء المغرب الإسلامي من تنصير وتهجير مسلمي الأندلس | 129-113 |
| **أولا**:موقف علماء المغرب الإسلامي من تنصير مسلمي الأندلس | 121-113 |
| **ثانيا**:موفق علماء المغرب الإسلامي من تهجير مسلمي الأندلس | 129-121 |
| أ-فتاوى الونشريسي حول هجرة مسلمي الأندلس | 125-122 |
| ب-إلزام الأندلسيين بالهجرة | 129-125 |

| | |
|---|---|
| **خاتمة** | 134-131 |
| **قائمة الملاحق** | 141-136 |
| **قائمة المصادر و المراجع** | 155-143 |
| **فهرس الموضوعات** | 159-157 |

# قائمة المصادر والمراجع

**القران الكريم :**

## قائمة المصادر والمراجع:

### قائمة المصادر:


1-ابن الآبار،أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي(658هـ/1260): **التكملة لكتاب الصلة،** تحقيق:عبد السلام الهراس ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1415هـ/ 1995م،ج1،ج2.

2- ابن الآبار القضاعي،أبوعيد الله محمد بن عبد الله القضاعي(658هـ/1260م): **الحلة السيراء** ،تحقيق حسين مؤنس،دار المعارف،ط1985،2م،ج2.

3-ابن الأحمر،إسماعيل بن يوسف(807هـ/1404م) :**تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان** ، تقديم وتحقيق وتعليق:هاني سلامة ،مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع،بورسعيد،ط1421،1هـ/ 2001م.

4-ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي كرم(ت630هـ/1232م):**الكامل في التاريخ،** راجعه وصححه :محمد يوسف الدقاق،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط4 ،1424هـ/2003، مج9، مج10.

**5**-ابن بسام الشنتريني(ت542هـ/1147م):**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،**تحقيق :مصطفى سالم البدري،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،1419هـ/1998م،ج1،القسم الثالث.

6-البرزلي :**فتاوى البرزلي،** تقديم وتحقيق:محمد الحبيب الهيلة،دار الغرب الإسلامي،لبنان،ط2، 2002م، ج1.

7-الزركشي ،أبو عبد الله محمد(ت894هـ/1488م):**تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية،**تحقيق وتعليق:محمد ماضور،المكتبة العتيقة،ط2،دت

8-الونشريسي ،أبو العباس احمد بن يحي التلمساني:(ت914هـ/1509م):**المعيار المعرب والجامع المغرب**،إشراف محمد حجي،نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،الرباط،1981م، ج1،ج2،ج7.

9- الونشريسي ،أبو العباس احمد بن يحي التلمساني:(ت914هـ/1509م):**اسنى المتاجر في بيان من غلب على وطنه من النصارى و لم يهاجر** ، تح : حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، 1377 هـ / 1975 م ، مج 5 ، عدد: 1 – 2.

10-ابن أبي زرع الفاسي،علي بن عبد الله(ت741هـ/1340م):**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1972م.

11-الحميري،أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم(ت حوالي710هـ/1310):**الروض المعطار في خبر الاقطار**،تحقيق:إحسان عباس ،مكتبة لبنان،بيروت،ط2، 1984م.

12-ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله(ت626هـ/1229م):**معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1997م،مج1،مج2،مج3.

13-الكتاني،أبو عبد الله بن إدريس الكتاني:**سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس** ،تحقيق:عبد الله الكتاني وآخرون،دار الثقافة ،الدار البيضاء،دت،ج3.

14-ابن الكردبوس،أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري (عاش أواخرالقرن6هـ/12م):**تاريخ الأندلس**،تحقيق أحمد مختار العبادي،معهد الدراسات الإسلامية،مدريد،1971م.

15-مجهول:**الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**،تحقيق عبد القادر زمامة و سهيل زكار ، الدار البيضاء دار الرشاد الحديثة،1399هـ/1979م.

16-مجهول:**نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**،ضبطه وعلق عليه،ألفريد البستاني،مكتبة الثقافة الدينية،ط1،1423هـ/2002م.

17-المقري،أحمد بن محمد المقري التلمساني(ت1041/1631م):**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**،تحقيق:إحسان عباس،دار صادر بيروت،1433 هـ /1968م،ج1،ج2،ج4،ج5،ج6.

18-المقري،أحمد بن محمد المقري التلمساني(ت1041هـ/1631م):**أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**،تحقيق وتعليق:مصطفى السقا وآخرون،مطبعة لجنة التأليف، القاهرة،1939م،ج1، ج2،ج3.

19-المراكشي،عبد الواحد بن علي المراكشي(ت647هـ/1250م):**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق صلاح الدين الهواري،المكتبة العمرية،بيروت،ط1،1426هـ/2006م.

20-ابن مريم،الشريف التلمساني(ت1014هـ/1605م):**البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**،مراجعة :ابن أبي شنب،المطبعة الثعالبية ،الجزائر،1908م.

21-ابن مرزوق الخطيب،أبو عبد الله محمد بن احمد(ت781هـ/1071م):**المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**،دراسة وتحقيق:ماريا خيسوس، تقديم:بوعياد،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط1،1981م.

22- مخلوف،محمد بن محمد مخلوف:**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**،المطبعة السلفية ،القاهرةن1349هـ،ج1،ج2.

23-الناصري أبو العباس أحمد بن خالد:**الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ، تحقيق وتعليق: جعفر الناصر ومحمد الناصر،دار الكتاب،الدار البيضاء،1954م، ج1،ج2،ج3.

24-النباهي،أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الحسن الجذامي(ت بعد792هـ/1390م):

**المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**،تحقيق لجنة إحياء التراث العربي،دار الأفاق الجديدة ،بيروت،ط5،1403هـ/1983م.

25-ابن سعيد،أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي(ت685هـ/1286م):**المغرب في حلى المغرب**،تحقيق:شوقي ضيف،دار المعارف،القاهرة،ط4،1993م،ج1.

26-ابن سعيد،أبي الحسن علي بن موسى(685هـ/1286م):**الغصون اليانعة في محاسن المائة السابعة**،تح:إبراهيم الأبياري،دار المعارف،القاهرة،ط3،1977.

27-السخاوي،شمس الدين محمد **(ت902ه/1497م):**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،دار الجيل،لبنان،دت،ج5.

28-ابن عبد الملك المراكشي،أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي (ت703هـ) :**الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**،تحقيق محمد بن شريفة،دار الثقافة،لبنان،1964 م، س1،س4،س6.

29-ابن العماد الحنبلي،أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد(ت1089هـ/1679م):**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**،تحقيق وتعليق:محمد الأرناؤوط،دار ابن كثير لبنان،ط1،1406هـ/1986م، مج1 ،مج2،مج3،مج4،مج5،مج6.

30-ابن عذارى المراكشي،أبو العباس أحمد بن محمد عذارى المراكشي(ت706هـ/1306م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،تحقيق:ج س كولان وليفي بروفنسال،دار الثقافة،بيروت ط3، 1983م،ج3.

31-ابن عذارى المراكشي،أبو العباس أحمد بن محمد عذارى المراكشي(ت706هـ/1306م):**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،قسم الموحدين**،تحقيق:محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ،وزارة الثقافة للنشر والتوزيع،الدار البيضاء،ط1،1406هـ/1985م.

32-ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين(ت799هـ/1397م):**الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب**، دراسة وتحقيق، مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1417هـ/1995.

33-الصفدي،صلاح الدين خليل بن أيبك(ت764هـ):**الوافي بالوفيات**،تحقيق:أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى،دار إحياء التراث العربي،ط1،2000م،ج24،ج28.

34-ابن صاحب الصلاة،عبد الملك محمد بن أحمد(594هـ/1198م):**المن بالإمامة**، تحقيق :عبد الهادي التازي،دار الغرب الإسلامي،لبنان،ط3،1986م.

35-ابن القاضي،أبي العباس أحمد المكناسي(ت1025هـ/1616م):**جذوة الاقتباس في من حل من الأعلام مدينة فاس**،دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط،1973م.

36-ابن القاضي،أبي العباس أحمد المكناسي(ت1025هـ/1616م):**درة الحجال في أسماء الرجال** ،تحقيق محمد الأحمدي أبو نوار،مكتبة التراث القاهرة،دت.

37-القاضي عياض،أبو الفضل بن موسى اليحصبي(ت544هـ/1149م):**الإعلام بحدود وقواعد الإسلام**،تحقيق وتعليق:صديق المنشاوي،مراجعة عبد المنعم،دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة،دت.

38-ابن القنفذ،أبو العباس احمد(ت810هـ/1407م):**الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**،تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي،الدار التونسية للنشر،1968.

39- ابن القنفذ،أبو العباس احمد(ت810هـ/1407م):**الوفيات**،تحقيق:عادل نويهض دار الآفاق الجديدة،ط1403،4هـ/1983م.

40-ابن رشد،أبو الوليد محمد(ت520هـ/1126م):**فتاوى ابن رشد**،تقديم وتحقيق،الطاهر تليلي ، دار الغرب الإسلامي،لبنان،ط1،1987،ج1.

41-ابن رشد الحفيد،عبد الله أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي(ت595هـ):**شرح بداية المجتهد ونهاية المقتصد**،شرح وتحقيق:عبد الله العبادي ،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،ط1، 1416هـ/1995م،ج1.

42-ابن الشماع،أبو عبد الله محمد(كان حيا سنة861هـ/1456م):**الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**،تقديم وتحقيق،محمد المعموري،الدار العربية للكتاب،د.م.ن، 1404هـ /1984م.

43-التادلي،أبو يعقوب يوسف بن يحي(ت617هـ):**التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**،تحقيق احمد توفيق،مطبعة النجاح الجديدة،ط2، 1997م.

44-التجيبي،(ت666هـ):**برنامج التجيبي**،تحقيق وإعداد عبد الحفيظ منصور،د.م.ن،الدار العربية للكتاب،دط.

45-التنبكتي،احمد بابا التنبكتي(ت1036هـ/1627م):**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**،إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله،منشورات كلية الدعوة الإسلامية،طرابلس،ط1989،1م.

46- التنبكتي،احمد بابا التنبكتي(ت1036هـ/1627م):**كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**،دراسة وتحقيق:محمد مطيع،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،1421 هـ/2000م،ج1،ج2.

47-ابن الخطيب لسان الدين،محمد بن عبد الله بن الخطيب(ت776هـ/1374م): **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**،تحقيق:ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956م.

48- ابن الخطيب لسان الدين،محمد بن عبد الله بن الخطيب(ت776هـ/1374م): **الإحاطة في أخبار غرناطة**،تحقيق:عبد الله عنان،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط1393،2هـ/1973م ،ج1، ج2، ج3، ج4.

49- ابن الخطيب لسان الدين،محمد بن عبد الله بن الخطيب(ت776هـ/1374م): **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**،تحقيق مسعود جبران،دار المدار الإسلامي، ط1،2009م.

50-ابن خلدون ،أبي زكريا يحي(780هـ/1378م):**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**،تقديم وتعليق وتحقيق:بوزيان الدراجي،دار الأمل للنشر والتوزيع،2007م،ج2.

51-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(808هـ/1406م):**العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط خليل: شحادة،مراجعة :سهيل زكار،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت لبنان،1421هـ/ 200م،ج6،ج7.

## قائمة المراجع :

**52-** إيرفينج واشنطن:**أخبار سقوط غرناطة**،ترجمة:هاني يحي نصري،مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت،ط1،2000م.

53- أرسلان شكيب:**آخر بني سراج**،مطبعة المنارة،مصر،ط1434،2هـ/ 1924م.

54-أشباخ يوسف:**تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**،ترجمة: عبد الله عنان، مكتبة الخانجي،القاهرة،ط2،1996م.

55- برنشفيك روبار:**تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي**،نقله إلى العربية:حماد الساحلي، دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط1،1988م،ج1.

56-بشتاوي سعيد:**الأندلسيين الموراكة**،مطابع أنتارناسيونال برس،مصر،1983.

57- بشتاوي سعيد:**الأمة الأندلسية الشهيدة**،د.د.ن،لندن،2000م.

58-وات مونتغمري:**تاريخ إسبانيا الإسلامية**،ترجمة محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع،بيروت لبنان،دط،دت.

59- حومد أسعد:**محنة العرب في الأندلس**،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان،ط2، 1988م.

60- حجي محمد:**موسوعة أعلام المغرب**،دار الغرب الإسلامي،ط1،1417هـ/1998م، ج2.

61- الحجي عبد الرحمن:**التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**،دار القلم ،ط1402،2هـ/1981م.

62-الحريري محمد عيسى:**تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي**،دار القلم للنشر والتوزيع،القاهرةط2،1408هـ/1987م.

63- حتاملة محمد عبده:**الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**،مطابع الدستور التجارية، الأردن ،1420هـ/2000م.

64- حتاملة محمد عبده:**التنصير القصري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين** ،الجامعة الأردنية،الأردن،ط1،1400هـ/1980م.

65- يحياوي جمال:**سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين**،دار هومه،الجزائر،2004م.

66- كنون عبد الله:**ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة،** تقديم محمد عزوز،مركز التراث القافي المغربي،بيروت لبنان،ط1،1430هـ/ 2010م،ج2.

67-كاردليك لوي:**المورسكيون الأندلسيين والمسيحيون**،تعليق وتقديم:عبد الجليل التميمي، مطبعة الإتحاد العام للشغل،ط1،1983م.

68- لودر دوروني:**إسبانيا شعبها وأرضها**،ترجمة:طارق فوده،مراجعة وتقديم: فريد،مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر،نيويورك،1965م.

69- مؤنس حسين:**معالم تاريخ المغرب والأندلس**، د.د.ن،مكتبة الأسرة،2004م.

70- مؤنس حسين:**موسوعة تاريخ الأندلس**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1416 هـ/1996م، ج2.

71- محفوظ محمد:**تراجم المؤلفين التونسيين**،دار الغرب الإسلامي،ط1،1406هـ/1986، ج1.

72- أبو مصطفى كمال السيد:**بحوث في تاريخ الحضارة الأندلسية في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة،1997م.

73- مفتاح محمد:**ديوان لسان الدين بن الخطيب**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1989م، ج1.

74- نويهض عادل:**معجم أعلام الجزائر**،مؤسسة نويهض الثقافية،لبنان،ط2، 1980م.

75- نصر الله سعدون:**تاريخ العرب السياسي من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة**،دار النهضة العربية،بيروت لبنان،ط1،2003م.

76- سالم السيد عبد العزيز:**تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1999م، ج2.

77- السامرائي إبراهيم خليل وآخرون:**تاريخ العرب وحضاراتهم في الأندلس**،دار الكتاب الجديدة المتحدة،لبنان،ط1،2000م.

78- السعدي بالناصر:**جهاد الأعداء ووجوب التعاون بين المسلمين**،دار ابن قيم للنشر والتوزيع ،السعودية،1416هـ/1991م.

79- العبادي أحمد مختار:**دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**،مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،د.م.ن ،دط.

80-العبدلي حسين:**الصراع العقائدي في الأندلس**،مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، ط1، 1429هـ.

81- عمران سعيد:**حضارة أوروبا في العصور الوسطى**،دار المعرفة الجامعية، د.م.ن، 1988م.

82- عنان محمد عبد الله:**دولة الإسلام في الأندلس(دول الطوائف منذ القيام حتى الفتح المرابطي)** ،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط2،1970م.

83- عنان محمد عبد الله:دولة الإسلام في الأندلس(**تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين)** ،مكتبة الخانجي ،القاهرة،ط4،1417هـ/1997م.

84- عنان محمد عبد الله:**دولة الإسلام في الأندلس(نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين)** ،مكتبة الخانجي،1417هـ/1997م.

85- قطب محمد علي:**مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس**، د.م.ن،1985م.

86- القرقوطي معمر الهادي:**جهاد الموحدين في بلاد الأندلس**،دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر،دط.

87- أبو رميلة هشام:**علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**،دار الفرقان،الأردن،ط1،1404هـ/1984م.

88- رزوق محمد:**الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب**،إفريقيا الشرق،د.د.ن،ط3، 1998م.

89- الرقب عبد الرحمن:**شعر الجهاد في عصر الموحدين**،مكتبة الأقصى ،الأردن،1404هـ /1984م.

90- أبا الخيل محمد بن إبراهيم:**جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين**(483ه/1090م-640ه/1242م)، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، ط1، 1419هـ/1998م.

91- أبو خليل شوقي: **أطلس التاريخ العربي**، دار الفكر، دمشق، ط5، 2005م.

92-ذو النون طه عبد الواحد:**حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة**،دار المدار الإسلامي،لبنان،ط2004،1م.

93- الغامدي العبدلي:**الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى من الفتح الإسلامي92هـ حتى سقوط غرناطة897هـ**،مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع ،السعودية،ط1،1429هـ.

## المجلات والدوريات:

94- موسى محمد بدر:**دور القبائل العربية في الجهاد بالأندلس من خلال الشعر و الأدب**، مجلة المختار للعلوم الإنسانية، ليبيا، العدد28.

95- عبد الواحد العسري:**قواعد المناظرة وأخلاقياتها من خلال مجادلة محمد القيسي محمد الأنصاري للنصارى بالأندلس**،مجلة التاريخ العربي،العدد15.

96-عفاف عبد الجبار عبد الحليم:**الحياة السياسية والحضارية للدولة الحفصية في عهد السلطان أبو فارس عبد العزيز(796-837ه/1393-1433م)**،مجلة كلية الآداب، العدد95.

97- فريدة بن عزوز:**الأسير في رحلة مغربية موريسكية للمجهول من القرن الهجري التاسع تطوان**،جامعة عبد الملك السعدي،مقالة تاريخية،2009م.

## رسائل الدكتوراه والماجستير:

98- أحمد الدرة:**العلماء الشهداء في الأندلس(400–897هـ/1009–1492م)**، رسالة ماجستير، غزة، كلية الآداب، 1430هـ/2009م.

99- بولعراسي خميسي:**فن الحرب بالغرب الإسلامي من خلال عصري المرابطين والموحدين** ،رسالة دكتوراه،باتنة،جامعة الحاج لخضر،1435هـ/2014م.

100- ولد خسال سليمان:**جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي (633–922هـ)** ،الجزائر،جامعة الجزائر،كلية العلوم الإسلامية.

101- بن مصطفى إدريس:**العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول غرب أوروبا**،رسالة دكتوراه ،تلمسان،قسم التاريخ وعلم الآثار،1435هـ/2004م.

102-أبو لبدة إبراهيم:**شعر الحروب والفتن في الأندلس**،رسالة ماجستير فلسطين،جامعة النجاح الوطنية،كلية الدراسات العليا،2008م.

103-العواجي عبد القهار:**علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية(635هـ/897م)** ،رسالة دكتوراه،المملكة العربية السعودية،جامعة أم القرى،كلية الدراسات والشريعة الإسلامية، 1419هـ/1998م.

104- راكة عمر:**علاقات الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية والممالك المسيحية، بالأندلس** ،رسالة ماجستير،جامعة تلمسان،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية قسم التاريخ وعلم الآثار،1432هـ/2011م.

105- ابن سلامة الربعي:**المحنة الإسلامية في الأندلس**،رسالة دكتوراه،الجزائر،جامعة الجزائر، معهد اللغة والأدب العربي 1992م.

106- شقدان عبد الرزاق:**تلمسان في العهد الزياني(633هـ-962هـ/1235م-1555م)** ،رسالة ماجستير،فلسطين،جامعة النجاح الوطنية،كلية الدراسات العليا،1422هـ/ 2002م.